

للناشئين والشباب

٥

روائع الأدب العالمي

في كبسولة

عرض وتيسيط : مختار السويقي



■ مون فليت

■ عناقيد الغضب

■ الجمال الأسود

■ مزرعة الحيوان

■ سنوحي

■ قطعة من الجبل

■ الحرياء

■ حكاية شتاء



مكتبة الدار العربية للكتاب

روائع الأدب العالمي ٥
في كبسولة

٥

للناشئين والشباب

روائع الأدب العالمى فى كبسولة

عرض وتبسيط : مختار السويفى

CA ALEXANDRIA
للأنشولوجية

■ قطعة من الحبل ..

■ الحرباء ..

■ حكاية شتاء ..

■ مون فليت ..

■ عناقيد الغضب ..

■ الجمال الأسود ..

■ مزرعة الحيوان ..

الناشر

مكتبة الدار العربية للكتاب

مكتبة الدار العربية للكتاب

شارع عبدالله العربى - الحى السابع - مدينة نصر
ص.ب.7584 - القاهرة - تليفون : 2639851 - 2705799
e - mail ALMASRIHRASHAD@LINK.NET

جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر

تليفون : 3256098 - 3251043

رقم الإيداع : 2002 / 11082

الترقيم الدولى : 9 - 141 - 293 - 977

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : ربيع ثانى 1423 هـ - يونيو 2002 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْبَرُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

صدق الله العظيم

إهداء...

إلى حبيبة الروح ..

زهرة الشباب النقية الطاهرة ..

صاحبة البسمة الوضيئة ..

والطباع النبيلة الطيبة ..

ابنتي هالة ..

رحمها الله وأكرم مثواها ..

مقدمة

بدأت فكرة إصدار سلسلة « روائع الأدب العالمى فى كبسولة » بناء على طلب من الأستاذ الأديب « عبد الوهاب مطاوع » مدير تحرير جريدة الأهرام ورئيس تحرير مجلة « الشباب » التى تصدرها مؤسسة الأهرام . . أن أقدم عرضاً وتبسيطاً للأعمال الأدبية العالمية المقررة على الطلبة من الناشئين والشباب فى مراحل التعليم المختلفة من إعدادية وثانوية وجامعية . . وذلك ليكون نشر هذا العرض والتبسيط فى مجلة « الشباب » عوناً لهم فى تفهم تلك الأعمال الأدبية بطريقة مبسطة تساعدهم على تفهم النص الكامل المقرر عليهم فى مراحلهم التعليمية .

وقد أسفرت تلك التجربة عن نتيجة تجاوزت ما كنا نهدف إليه ، فقد أصبحت سلسلة « روائع الأدب العالمى فى كبسولة » من المواد التحريرية التى يقبل عليها قراء مجلة الشباب بمختلف مراحلهم العمرية ، بالإضافة إلى القراء من الطلبة الذين نشرت هذه المواد من أجلهم . . كذلك فقد كتب بعض نقاد الأدب فى بعض الصحف والمجلات يطالبوننى ألا يقتصر الأمر

على تقديم الأعمال الأدبية الروائية المقررة على المراحل التعليمية بالمدارس والجامعات ، وأن استمر في تقديم الأعمال الروائية العالمية الشهيرة بصرف النظر عن المقررات التعليمية . . وذلك باعتبار هذه الأعمال الأدبية من أهم عناصر « الثقافة العامة » التي يجب أن يتزود بها الناشئون والشباب والكبار على حد سواء .

وهكذا فقد بذلت كل ما أملك من جهد في عرض وتبسيط مجموعة كبيرة من أشهر الأعمال الأدبية القصصية والروائية الذائعة الصيت في أرجاء العالم أجمع ، والتي أبدعها كبار الكتاب والأدباء من القدماء والمحدثين من ذوى الشهرة العريضة في تاريخ الأدب العالمى .

ومما لا شك فيه أن هذه الأعمال الأدبية التى يزخر بها التراث الإنسانى من الأدب العالمى ، تعتبر من ركائز الثقافة العامة التى يتميز بها قراء الأدب ومحبوّه ، مهما اختلفت جنسياتهم ومواقع مواطنهم فى أرجاء المعمورة الواسعة . . ولذلك فقد انتشرت هذه الأعمال فى أرجاء العالم من أقصاها إلى أقصاها ، وترجمت هذه الأعمال إلى عشرات من اللغات التى تتكلمها الشعوب المختلفة فى عالم اليوم .

ولم يكن من الغريب أن معظم هذه الأعمال الأدبية التى كتبت منذ مئات أو عشرات السنين مازالت حية حتى اليوم ، ومازالت محل اهتمام قراء الكتب . . ومازالت أيضًا من الموضوعات المحببة التى تعرض على خشبات المسرح وشاشات السينما ومسلسلات التليفزيون . . وذلك لما تتضمنه من قيم

وعبر ومثل عليا ، وحكايات وأحداث وشخصيات يستمد منها الإنسان
حكمة الحياة ، أو يقضى معها وقتاً حافلاً بالسرور يسهم في تخفيف أعباء
الحياة ومسئولياتها الجسام .

ولعل هذا هو الدافع الذى شجعنى على تقديم هذه الأعمال الأدبية
العالمية فى هذا الشكل المبسط ، آملاً فى تعريف القراء من الناشئين والشباب
بهذا اللون العظيم من الأدب العالمى ، حتى تتاح لهم الفرص فى المستقبل
لقراءة هذه الأعمال كاملة فى نصها الأصيل .

أما المنهج الذى التزمت به فى عرض وتبسيط هذه الأعمال الأدبية العالمية ،
فهو اختصارها بطريقة دقيقة لا تخل بموضوعاتها ، ولا تفوت القيم والعبر
التي يرد ذكرها فى تلك الأعمال ، مع عدم إغفال روح الكاتب الأصيل
وأسلوبه الأدبى الذى تميز به .

وانطلاقاً من اقتناعى التام بأن « الكتاب » هو الوسيلة المثلى والخالدة فى
تثقيف العقول وتهذيب النفوس بما يتيح لقارئه من معارف ومعلومات يتميز
بها عن الذين لا يقرأون ، أو عن الذين انقطعت الأسباب بينهم وبين
الكتب ، أو عن الذين يقرأون كتباً غاب الضمير عن مؤلفيها وناشريها ،
فملأوها بموضوعات تافهة وخرافات ممجوجة تفسد العقول وتقتل وقت
الناس . . . فالكتاب فى رأى هو خير صديق للإنسان . . . وكما هو الحال بين
الأصدقاء ، هناك صديق صالح ومصلح ، وصديق طالح ليس وراءه إلا
الفساد . . . فهناك كتب تفيد قارئها وتثريه ، وكتب أخرى قد تجر الضرر إن لم
يكن لها نفع على الإطلاق .

وبالإضافة إلى إيماني الشديد بأن الناشئين والشباب هم أمل أمتنا وطلائع نهضتها ، وهم عماد المستقبل وصنّاعه ، فمنهم سيخرج من يتولى زمام الأمور في الحكم والسياسة والاقتصاد والعلم والدين . . وسيكون منهم الأدباء والحكماء والفلاسفة والمهندسون والمحاسبون والأطباء والمعلمون والعاملون في كل مجال من مجالات الحياة الاجتماعية بمختلف أنواعها ومستوياتها .

لذلك فقد رأيت أن أقوم بتجميع هذه الأعمال الأدبية القصصية والروائية في شكل سلسلة من الكتب لتوسيع دائرة المستفيدين من قراء الأدب العالمي . . وقد رحب المستولون « بمكتبة الدار العربية للكتاب » بتبنى هذا المشروع الضخم ، فأصدروا أربعة أجزاء من هذه السلسلة بالإضافة إلى هذا الجزء الخامس . . وبفضل الله فقد نجحت هذه السلسلة ، سواء في مصر أو في معظم الدول العربية ، ونفدت طبعاتها الأولى تباعاً ، الأمر الذي دفع دار النشر إلى إعادة إصدارها في طبعات ثانية وثالثة .

وفي النهاية أود أن أذكر القارئ الكريم بعناوين الأعمال الأدبية القصصية والروائية العالمية التي تضمنها كل جزء من الأجزاء الخمسة ، بالإضافة إلى أسماء الكتاب والأدباء العالمين الذي أبدعوا تلك الأعمال .

وعشمي كبير في أن يسعد القارئ الكريم بقراءة هذه الروائع الشهيرة من الأدب العالمي .

الجزء الأول :

- ١ - حول العالم في ثمانين يومًا . . جول فيرن
- ٢ - دكتور جيكل ومستر هايد . . روبرت لويس ستيفنسون
- ٣ - سجين زندا . . أنتوني هوب
- ٤ - اللؤلؤة . . جون شتاينبك
- ٥ - الآمال الكبرى . . تشارلس ديكنز
- ٦ - حكاية مدينتين . . تشارلس ديكنز
- ٧ - دافيد كوبر فيلد . . تشارلس ديكنز
- ٨ - أوقات عصيبة . . تشارلس ديكنز
- ٩ - الملك لير . . وليم شيكسبير
- ١٠ - حلم ليلة صيف . . وليم شيكسبير
- ١١ - الليلة الثانية عشرة . . وليم شيكسبير
- ١٢ - ماكبث . . وليم شيكسبير

الجزء الثاني :

- ١ - كنوز الملك سليمان . . هنرى رايدر هاجارد
- ٢ - ثورة على السفينة بونتي . . وليم بلاي

- ٣- أوليفر تويست . . . تشارلس ديكنز
- ٤- الرجل الخفى . . . هـ . ج . ويلز
- ٥- توم سوير . . . مارك توين
- ٦- كبرياء وتحامل . . . جين أوستن
- ٧- روميو وجوليت . . . وليم شيكسبير
- ٨- تاجر البندقية . . . وليم شيكسبير
- ٩- كما تحب . . . وليم شيكسبير

الجزء الثالث :

- ١- جزيرة الكنز . . . روبرت لويس ستيفنسون
- ٢- الكونت دى مونت كريستو . . . ألكسندر دumas
- ٣- الملاح وجزيرة العجائب . . . مؤلف مصرى قديم
- ٤- روبنسون كروزو . . . دانييل ديفو
- ٥- رجال عظام ونساء عظيمات . . . ليزلى ليفيت
- ٦- الفضيلة « بول وفرجينى » . . . برناردين دى سان بيير
- ٧- ضجيج بلا مبرر . . . وليم شيكسبير
- ٨- هاملت أمير الدنمارك . . . وليم شيكسبير

الجزء الرابع :

- ١- رجل لكل العصور . . روبرت بولت
- ٢- الشيخان . . د. طه حسين .
- ٣- سالومي «النص الأوبرالي» . . أوسكار وايلد
- ٤- ثلاثة رجال في قارب . . جيروم ك. جيروم
- ٥- نداء البراري . . جاك لندن
- ٦- ترويض الشرسة . . وليم شيكسبير
- ٧- العاصفة . . وليم شيكسبير
- ٨- عطيل . . وليم شيكسبير

الجزء الخامس :

- ١- مون فليت . . جون ميد فوكنر
- ٢- عناقيد الغضب . . جون شتاينبك
- ٣- الجمال الأسود . . أنا سويل
- ٤- مزرعة الحيوان . . جورج أورويل
- ٥- سنوحى . . مؤلف مصرى قديم
- ٦- قطعة من الحبل . . جى دى موباسان
- ٧- الحرباء . . أنطون تشيكوف
- ٨- حكاية شتاء . . وليم شيكسبير

وكما يرى القارىء الكريم فقد تضمن هذا الجزء الخامس من « روائع الأدب العالمى فى كبسولة » مجموعة من الروايات العالمية والقصص القصيرة ذات الشهرة العريضة فى الأدب العالمى .

● ويبدأ هذا الجزء بعرض وتبسيط لرواية « مون فليت » . . . وهى رواية تتكرر كثيراً فى المناهج التعليمية خصوصاً فى المراحل الاعدادية والثانوية ، على أساس أن بطلها « جون ترنشارد » - وهو صبى يتيم الأبوين وفى الخامسة عشرة من عمره - قد أتاحت له الظروف أثناء حياته فى قرية « مون فليت » أن يقوم بمجموعة من المغامرات الخطيرة .

ومن الطريف أن أذكر هنا أن هذه الرواية كانت مقررة علينا ونحن تلاميذ فى آخر عام دراسى بالمرحلة الابتدائية خلال فترة الأربعينيات من القرن العشرين . . . وكنا نلهث ونكتم أنفاسنا ونحن نتتبع فصول الرواية التى تحكى لنا المغامرات التى قام بها « جون ترنشارد » مغامرة وراء أخرى . . . وأذكر أن أحد التلاميذ قد انخرط فى البكاء حين انغلقت مقبرة « عائلة الموهون » على بطل الرواية وظل محبوساً بها إلى أن تم انقاذه من هذا السجن المظلم . . . وأذكر أيضاً ما أصابنا من قلق حين نزل « جون » إلى بئر القلعة لبحث عن الجوهرة المفقودة إلى أن عثر عليها فى نهاية الأمر . . . وهكذا تجاوبنا مع أحداث هذه الرواية المثيرة حتى انتهت بنهايتها السعيدة التى كنا نتمناها .

● أما رواية « عناقيد الغضب » فقد ذكرتني بفيلم سينمائي شهير يحمل نفس العنوان شاهدته منذ أكثر من ثلاثين عامًا . . وكان هذا الفيلم يشكل صدمة لكل من شاهده . . فمن المعروف لدى الناس جميعًا في جميع أنحاء العالم أن الولايات المتحدة الأمريكية هي أغنى دولة في العالم كله . . ويتصور الناس أن المواطن الأمريكي لديه من الدولارات ما يملأ جيوبه ويكفي كل احتياجاته من مأكّل وملبس ومسكن ، ويعيش حياة رغدة لا يحرم فيها من شيء . . ولا يتصور أحد من غير الأمريكيين وجود ملايين من الأمريكيين أنفسهم عاطلين عن العمل ولا يجدون لقمة من الخبز يقدمونها لأبنائهم الذين يموت مئات الآلاف منهم من شدة الجوع .

وقد وقعت أحداث تلك الرواية خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين حين حلت بأمريكا أزمة اقتصادية خانقة كادت أن تؤدي إلى إفلاس الدولة بعد أن أفلست معظم البنوك . .

وتحكى لنا الرواية قصة حياة عائلة فقيرة من المزارعين الصغار كانت تعيش في ولاية أوكلاهوما في الجانب الشرقي من قارة أمريكا الشمالية . . فقد فقدت هذه العائلة أرضها وأصبح رجالها بلا عمل وغير قادرين على توفير الطعام الذي يسد جوع أطفال العائلة .

وهكذا اضطرت العائلة إلى الهجرة من ولاية أوكلاهوما إلى ولاية كاليفورنيا في أقصى غرب الولايات المتحدة بحثًا عن العمل في جنى المحاصيل الزراعية . . وتعرضت أثناء قيامها بتلك الرحلة الطويلة إلى كل أنواع المهانة والإذلال

من جانب الأثرياء من أصحاب الأراضى الزراعية ، وعانت من سوء الأحوال الجوية إلى جانب ما كانت تعانيه من الجوع والعطش . . وأترك للقارىء التعرف بنفسه على مصير تلك العائلة في نهاية الأمر .

❶ ولا شك في أن القارئ يعرف أن كتاب « كليلة ودمنة » يعتبر من درر التراث في الأدب العربى . . وهو كتاب يحكى على ألسنة بعض الطيور والحيوانات قصصًا ومواقف نستمد منها الحكمة والموعظة الحسنة والدعوة إلى العدل وكراهية الظلم . وكتاب « كليلة ودمنة » فى حقيقة الأمر ليس من أصل عربى ، بل ترجع أصوله إلى الأدب الهندى المكتوب باللغة « السنسكريتية » . . ثم تمت ترجمته إلى اللغة « الفارسية » وعن هذه اللغة قام « عبد الله بن المقفع » بترجمته إلى اللغة العربية . . وبحكم الزمن فقد اندثرت أصول الكتاب المكتوبة باللغتين الهندية والفارسية وبقيت الترجمة العربية التى قام بها « ابن المقفع » حيث ترجمت فيما بعد إلى أكثر من ثلاثين لغة من اللغات المتداولة فى مشارق الأرض ومغاربها .

وقد تأثر بعض الأدباء العالميين بمنهج كتاب « كليلة ودمنة » فنسجوا على منواله قصصًا وروايات أدبية كتبوها على ألسنة العديد من الحيوانات أو الطيور بقصد تكريس الحكم والمواعظ أو نقد أنظمة الحكم والمواقف السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ومن هذه الروايات الأدبية التى تأثرت بمنهج « كليلة ودمنة » وحازت شهرة عريضة فى الأدب العالمى ، اخترت روايتين من أشهر الروايات المكتوبة

بالسنة الطيور أو الحيوانات ، وهما رواية « الجمال الأسود » ورواية « مزرعة الحيوان » .

أما الرواية الأولى فهي من تأليف الأدبية الإنجليزية « أنا سويل » التي تعتبر من أشهر كتاب الأطفال والناشئين في خلال القرن التاسع عشر ، وتعتبر رواية « الجمال الأسود » من أشهر أعمالها الأدبية ، فقد كتبتها بلسان حصان جميل ذى شعر أسود ، يحكى فيها قصة حياته منذ أن كان طفلاً . . وكيف تنقلت ملكيته بين ملاك طيبين كانوا يعاملونه معاملة حسنة ، وملاك آخرين غلاظ القلوب كانوا يعاملونه بطريقة سيئة خسنة ويلهبون ظهره بالسياط . . وقد اعتبرت هذه الرواية صرخة مدوية للمناداة بإنشاء جمعيات الرفق بالحيوان .

أما الرواية الثانية « مزرعة الحيوان » فهي من تأليف الأديب الإنجليزي الشهير « جورج أورويل » وتحكى لنا قصة مجموعة من الحيوانات قامت بثورة ضد صاحب المزرعة واستولت على المزرعة وأقامت نظام حكم ثوريا يسخر فيه المؤلف من كل نظم الحكم الديكتاتورية والنازية . . وتعتبر هذه الرواية من أشهر الروايات الخيالية ذات المغزى السياسى .

● أما بقية القصص والروايات التى تضمنها هذا الجزء الخامس من «روائع الأدب العالم فى كبسولة» فهي رواية « سنوحى » التى يعتبرها نقاد ومؤرخو الأدب من أقدم الروايات فى أدب الرحلات ، حيث كتبها أديب مصرى قديم مجهول ، ويرجع تاريخها إلى أكثر من أربعة آلاف سنة .

وذلك بالإضافة إلى مجموعة من أشهر القصص القصيرة التي يذخر بها
الأدب العالمى والتي كتبها أشهر الأدباء العالميين من فرنسيين وانجليز
وروس .

وعشمى كبير فى أن تحظى هذه الأعمال الأدبية العالمية بإعجاب القارئ
الكريم .

مع أطيب تمنياتى لكم جميعاً بدوام النجاح والتوفيق ، ،

مختار السويفس

كورنيش النيل - القاهرة

فى ٣٠ مارس ٢٠٠٢م

ج . مید فوکنر

مون فلیت

MOON FLEET

BY : JOHN MEADE FALKNER

تقع قرية « مون فليت » على الضفة الغربية لنهر « فليت » وبالقرب من شاطئ البحر . . . وكنت أظن أن القرية قد سميت باسم « مون فليت » لأن القمر يتلأأ نوره فوق سطح النهر . . . ولكنى علمت فيما بعد أن الاسم الحقيقي لهذه القرية هو « موهون فليت » وقد تحرف هذا الاسم وأصبح مون فليت .

أما كلمة « موهون » فهي إسم لعائلة كبيرة كانت تحكم الإقليم الذى تقع فيه القرية .

وأنا اسمى « جون ترنشارد » . . . وكان عمى خمسة عشر عاماً حين بدأت هذه القصة . . . وأنا يتيم الأبوين ، ولذلك فقد كنت أعيش مع خالتي « مس أرنولد » . وقد بدأت أحداث هذه القصة فى شتاء عام ١٧٥٧ . . . حين كنت أقرأ قصة « علاء الدين والمصباح السحري » وكيف أغلق عليه الساحر باب الكهف لأن علاء الدين رفض أن يعطيه المصباح السحري .

وشعرت بالخوف حين تخيلت انى محبوس فى حجرة ضيقة مغلقة مثل

علاء الدين ، لذلك فقد توقفت عن القراءة وخرجت إلى الشارع . وعندما مررت بالقرب من بيت « راتسى » حفار القبور ، رأيته وهو يعد شاهداً لقبر رسم عليه سفيتتين متحاربتين وتحتها هذه الكلمات : « دافيد بلوك . . عمره ١٥ سنة . . قتل بطلقة نارية أطلقتها السفينة إكتور في ٢١ يونيو ١٧٥٧ » .

وكان « دافيد » المسكين حديث جميع أهل القرية ، فهو الإبن الوحيد لصاحب حانة « هواى نوت » إلزفير بلوك .

وحين شاهدنى « راتسى » نادى على وقال : أهلاً بك يا جون . . تعال لتحمل لى المصباح حتى انتهى من إعداد هذا الشاهد !

● فى ذلك الزمن ، كان على التجار الذين يستوردون أى نوع من البضائع إلى انجلترا ، أن يدفعوا ضرائب باهظة لخزانة الملك . . ولذلك فقد ظهرت مجموعات من المهرين الذين يهربون البضائع إلى البلاد دون أن يدفعوا الضرائب المفروضة . . وكان هؤلاء المهربون يقتربون بسفنهم إلى بعض الشواطئ الخالية ويقومون بإنزال ما يحملونه من صناديق وبراميل إلى البر . ولذلك فقد اضطر الملك إلى تكوين مجموعة من رجال الضرائب لمهاجمة هؤلاء المهرين والقبض عليهم .

وكان « إلزفير » واحداً من هؤلاء المهرين . . وكانت إحدى السفيتتين اللتين رسمهما « راتسى » على شاهد قبر « دافيد » تابعة لرجال الضرائب ، بينما كانت السفينة الثانية تابعة للمهرين .

ويقال ان « المستر ماسكيو » الذى يملك أراض واسعة هو الذى أبلغ رجال الضرائب بوجود سفينة المهربين ، وكان على ظهر سفينة رجال الضرائب حين قتل « دافيد » ابن « إلزفير » .

وقال لى « راتسى » وهو ينظر إلى الشاهد الذى انتهى من إعداده : من المحزن أن يقتل غلام وهو فى هذه السن . . ويقولون إن المهربين الثلاثة الذين تم القبض عليهم سيعدمون شنقاً . . وعلى أية حال . . هيا بنا نذهب إلى حانة « هواى نوت » لأن « إلزفير » فى حزن شديد ، ويحتاج إلى من يواسيه .

وذهبت معه إلى الحانة وأنا متأكد من أن خالتى ستغضب إذا علمت بأنى ذهبت إلى حانة « هواى نوت » .

كان « إلزفير » جالساً بالقرب من المدفأة ، وحين رآنى قال لراتسى : لماذا أحضرت هذا الطفل إلى هنا . . ؟

فقال راتسى : إن « جون » ليس طفلاً . . انه فى عمر ابنك « دافيد » ولقد ساعدنى فى إنهاء نقش الشاهد الذى سنضعه على قبر « دافيد » .

فقال « إلزفير » بصوت حزين متوعد : نعم . . سيرقد دافيد بسلام . . أما الذين قتلوه فلن يعرفوا السلام أبداً !

واعتقد انه كان يقصد « مستر ماسكيو » بهذا التهديد . .

وجلس « راتسى » بجوار « إلزفير » وأخذا يتحدثان فى بعض الموضوعات . ثم نظر « إلزفير » نحوى وقال : لقد حان الوقت لتصرف أيها

الغلام . . إن « ذا اللحية السوداء » يتجول في المساء . . ولا اعتقد انك تريد أن تقابله !

● كان « ذو اللحية السوداء » هذا أحد أفراد عائلة « موهون » وقد مات من زمن طويل ودفن في المقابر التابعة للكنيسة . . ويقول أهل القرية إنه لم يكن مستريحاً في قبره ، لأنه فقد جوهرة ثمينة قبل موته ويخرج شبحة من القبر كل مساء ليواصل البحث عن تلك الجوهرة . ولذلك فقد كان الناس يخشون الاقتراب من المقابر بعد غروب الشمس حتى لا يقابلوا « ذا اللحية السوداء » . ويقال إن رجلاً اسمه « كراكي جونس » وجد مقتولاً ذات صباح بعد أن تقابل مع « ذى اللحية السوداء » أثناء الليل .

ومن المعروف أن « ذا اللحية السوداء » اسمه الحقيقي هو « جون موهون » . . وانه كان يعمل مأموراً للسجن الذى سجن فيه الملك « شارل الأول » . . وكان هذا الملك يتزين بجوهرة ثمينة عبارة عن قطعة ضخمة من الماس . وعرض « جون موهون » على الملك أن يساعده في الهرب من السجن إذا أعطاه هذه الجوهرة ، فقبل الملك هذا العرض وأعطاه الجوهرة . . ولكن ما أن شرع الملك في الهرب حتى لحق به « جون موهون » وقبض عليه وأعادته إلى السجن مرة أخرى . .

وسرعان ما اكتشف أمر تلك الخدعة الدنيئة ، فتم القبض على « جون موهون » وألقوه في السجن ، ولكنه استطاع الهرب وقام باخفاء الجوهرة في مكان ما .

ويقول الناس إنه لم يستطع العثور على الجوهرة بعد ذلك . . ولهذا السبب فإن شبحه يخرج من مقبرته كل مساء ليواصل البحث عن الجوهرة المفقودة .

وبالرغم من أنى أعرف تلك القصة ، فقد كنت أحب الذهاب إلى منطقة المقابر حتى أتمتع بمشاهدة البحر . . ولكنى كنت أنصرف قبل أن يحل الليل . . ومع ذلك فقد شاهدت فى إحدى المرات ضوء مصباح يتحرك فى منطقة المقابر أثناء الليل !



مرت عدة أيام على زيارتى الأولى لحانة « هواى نوت » . . وهطلت أمطار غزيرة وفاض النهر على الجانبين وغطت المياه معظم الطرقات . . وفى فترة بعد الظهر ، كنت أسير مع « راتسى » فى الطريق الذى يخترق منطقه المقابر لأنه كان أفضل الطرق الصالحة للوصول إلى القرية .

وهناك تقابلنا مع « المسترجلينى » وسيدة عجوز اسمها « مسز تاكر » ووقفنا بجوار قبر مرتفع يبدو وكأنه على شكل منضدة وتحيط به شجرتان . . شجرة على كل جانب .

وامتد الحديث بينهم حتى أوشكت الشمس على المغيب . . ولذلك فقد انتابنى الخوف وأردت الإنصراف للعودة إلى بيتى . . وفجأة ، حدث شىء جعلنى أرتعد من شدة الخوف . . فقد سمعنا أصواتا صادرة من تحت أرض المقابر . وهنا صاحت السيدة العجوز وهى تسرع بالفرار : الموهون يتحركون !! . . الموهون سيخرجون من قبورهم !!

فقال « مستر جلينى » يالها من سيده غبية . . كل ما فى الأمر أن مياه الأمطار قد تسربت إلى غرفة المقابر تحت الأرض فحركت التوايت وجعلتها تتخبط فى بعضها !

● ولم أشعر بالارتياح والاطمئنان إلا بعد غادرت هذا المكان وعدت إلى البيت . . ولكن ذهنى ظل مشغولاً طول الوقت بحكاية « جون موهون » وجوهرته التى خبأها فى مكان مجهول . .

وبعد يومين ، قررت الذهاب إلى منطقة المقابر لعل أسمع أصوات «الموهون» وهم يتحركون . . وقصدت القبر الضخم الذى يبدو كمنضدة بين شجرتين ، والذى كنا بجانبه حين سمعنا الأصوات الصادرة من تحت الأرض .

وهناك فوجئت بوجود «راتسى» و«إلزفير» واقفين . . وكان «راتسى» يضع أذنه على جدار القبر كما لو كان ينصت إلى صوت ما . . ولاحظت أن «راتسى» قد اعتراه الغضب عندما رآنى ، فسألنى عن السبب فى حضورى إلى هذا المكان فى هذا الوقت ، فقلت له : لقد جئت لأسمع أصوات «الموهون» وهم يتحركون !

ولاحظت أن «راتسى» يحاول أن يجد مبرراً لكى يبعدنى . . ولذلك فقد قال لى : إن «الموهون» لا يتحركون . . ودعك من هذه الخرافات والاشاعات الغبية . . كل ما فى الأمر أن مياه الأمطار قد تسربت تحت الأحجار . . وهأنذا أقوم باصلاحها . . عليك الآن أن تذهب إلى بيتى فى طريق

عودتك . . وأن تخبرهم بأنى سأتأخر فى العودة هذا المساء لأنى مشغول
باصلاح أحد المقابر !

* * *

● أصبح هذا القبر الضخم المرتفع الذى يشبه المنضدة مكانى المفضل
. . وكنت أجلس فوقه محتميا بظل الشجرتين وأتمتع بمشاهدة البحر والسفن
الشراعية العابرة من بعيد .

وفى عصر أحد الأيام بينما كنت جالسا فوق القبر . لاحظت أن بعض
الأتربة قد انهارت ، وتركت فجوة صغيرة تحت الكتلة الحجرية التى تسد
مدخل القبر . واستجمعت شجاعتى وقررت الدخول إلى القبر . . وما أن
لمست قدماى أرض القبر من الداخل حتى فوجئت بوجود ممر طويل . .
وكان هذا اكتشافاً رائعا . . فقد اعتقدت أن هذا الممر سيؤدى إلى المكان
الذى أخفى فيه ذو اللحية السوداء جوهرة الثمينة . . وتحيلت انى سأعثر
عليها وأصبح من الأغنياء .

ولاحظت أن الهواء بداخل الممر لطيف ومتجدد . . ولهذا فقد سرت
لمسافة طويلة إلى أن بدأ الضوء يخفت رويدا رويدا . . فشعرت بالخوف ،
وقررت العودة إلى الخارج ، كما قررت الحضور فى اليوم التالى على أن تكون
معى شمعة أستعين بضوئها .

* * *

● وعندما عدت إلى البيت ، كانت خالتي تنتظرني ، وأخذت تؤنبنى على كثرة غيابى . . وبعد أن انتهينا من تناول طعام العشاء ، قرأت لى خالتي بعض القصص والحكايات عن المثل العليا والأولاد الصالحين الطيبين ذوى الأوصاف الحسنة . . غير أن ذهني كان مشغولاً بأحلامى عن الجوهرة . . وصاحب اللحية السوداء ، والممر السرى الذى اكتشفته ، وعن الشمعة التى يجب أن آخذها معى عند عودتى إلى الممر.

● وعندما دخلت إلى حجرة نومي . . رقدت على السرير وأنا بكامل ملابسى منتظرا مرور الوقت حتى أتأكد من أن خالتي قد استغرقت فى النوم .

وبعد وقت طويل ، قمت بهدوء وخلعت حذائى وحملته فى يدى ، وتوجهت إلى غرفة الخزين وحصلت على شمعة كبيرة جيدة . . وتسلمت إلى خارج البيت .

وواصلت السير فى ظلام الليل حتى وصلت أخيراً إلى منطقة المقابر . . والحقيقة أنى بدأت أشعر بالخوف لأنى توقعت أن أرى صاحب اللحية السوداء ويقتلنى . . ولكنى لم أر أحداً حتى وصلت إلى فتحة الممر . . وهناك ترددت قليلاً . .

وفى ضوء القمر رأيت قارباً يرسو بالقرب من الشاطئ . . ورأيت إشارات بالنور الأزرق تنبعث من هذا القارب فى اتجاه الشاطئ . . وتأكدت عندئذ من أن هذا القارب يتبع بعض المهريين الذين يرسلون هذه الإشارات إلى زملاء لهم موجودين على الشاطئ .

ولم اهتم كثيراً بهذا الأمر ، وعزمت على الدخول فوراً خلال الفتحة المؤدية إلى الممر السرى . . وسرت حوالى عشرين خطوة داخل الممر ، وعلى ضوء الشمعة رأيت باباً يؤدي إلى حجرة وقلت لنفسى : ربما تكون هذه الحجرة هى حجرة دفن التوابيت الخاصة بعائلة «الموهون» . . ودخلت إلى الحجرة لأعرف حقيقة الأمر.

وصدق ظنى . . فقد رأيت مجموعة من التوابيت مرصوفة بداخل فتحات فى جدران الحجرة . . إلا أننى اندهشت حين رأيت مجموعة كبيرة من الصناديق والبراميل مختلفة الأشكال والأحجام . . وعرفت على الفور انها بضائع مهربة . وكان هذا هو الاكتشاف الحقيقى . وأدركت أيضاً أن «راتسى» و«إلزفير» يعملان فى التهريب .

● عاودت التفكير فى موضوع الجوهرة الثمينة وكيفية العثور عليها . . ففى أى تابوت يا ترى أخفيت هذه الجوهرة؟ . . إن جميع هذه التوابيت متشابهة ولا توجد عليها أسماء أصحابها . . وفجأة، سمعت رنين جرس الكنيسة يعلن انتصاف الليل . . ثم سمعت أصوات رجال قادمين من بعيد، ويقربون من حجرة التوابيت التى أقف فيها . . وتجمدت من شدة الخوف . . وكان لابد أن أخفى فوراً فى أى مكان بداخل تلك الحجرة . . ولاحظت وجود تابوت خشبى مدفون فى حفرة عميقة بجدار الحجرة ويعلو على أرضيتها بنحو مترين . . وأسرعت بالتسلق وأدخلت جسمى فى المساحة الضيقة التى تفصل التابوت عن جدار الحفرة .

وبدأت أسمع أصوات الرجال بوضوح وهم يتحدثون . . . وسمعت صوت «راتسى» وهو يقول : سوف أسد الفتحة بأحكام حتى لا يعلم أحد بمكان وجودها . . . وقال شخص آخر : لقد كنت فى بلدة «دور شستر» منذ أيام . . . وسمعت أن المهربين الثلاثة الذين تم القبض عليهم سيعدمون شنقاً . . . وعلمت أن «ماسكيو» كان هناك . . . وأنه يصبر على إعدام المهربين .

وقال أحد الرجال : لو أنى رأيت «ماسكيو» هذا فسوف أقتله على الفور! وهنا سمعت صوت «إلزفير» وهو يقول : دعوا أمر «ماسكيو» لى وحدى . . . أنا الذى سأنتقم منه . . . هل نسيتم انه قتل ابنى «دافيد» ؟!

وقال أحد الرجال : هناك صبى اسمه «جون ترنشارد» دأب على الجلوس فوق هذا القبر . . . لقد رأيته عدة مرات وأخشى أن يكون هذا الصبى جاسوساً علينا ، يراقبنا ويخبر «ماسكيو» بتحركاتنا .

وقال رجل آخر : وأنا أيضاً لاحظت أن هذا الصبى يحوم كثيراً حول بيت «ماسكيو» .

وكان هذا الرجل الأخير صادقاً فى قوله . . . لأننى كنت أذهب لأجلس على سور حديقة بيت «ماسكيو» لعلى أمتع نظرى برؤية «جريس» ابنة «ماسكيو» التى وقعت فى حبها . . . وأحياناً كنت اقترب من نافذة حجرتها وألوح لها بيدى محيياً .

وهنا بدأ «راتسى» يتكلم فى صالحى وقال : إن «جون ترنشارد» هذا

ولد طيب . . وقد أخبرنى انه يحب الذهاب إلى منطقة المقابر ليتمتع
برؤية البحر !

واندهشت حين سمعت « إلزفير » يقول : انه ولد شجاع . . وكم أتمنى
أن يكون إبنالى !

ومن حديث هؤلاء الرجال تبين لى بسهولة أن « إلزفير » هو قائد هذه
المجموعة من المهرين . . وأخيراً سمعت أحد الرجال يقول : هيا بنا نذهب
. . فقد تأخر الوقت . . وعلينا أن نعود الآن إلى السفينة .



● انصرف الرجال وخرجوا من الحجرة ، وسمعت وقع أقدامهم وهم
يعبرون الممر ليخرجوا من الفتحة السرية . . وأصبحت وحدى فى تلك
الحجرة المملوءة بتوايت الموتى وصناديق وبراميل البضائع المهربة .

وبدأت أتحرك محاولاً الخروج من حفرة التابوت التى اختبأت فيها . .
وكان الخروج من تلك الحفرة أصعب من الدخول إليها . . فقد كان على أن
أهبط من ارتفاع الحفرة حتى تلمس قدماى أرض الحجرة . . وعندما تحركت
لأشعل الشمعة التى كانت معى ، سقطت الشمعة من يدى وبدأت فى
السقوط وراءها . . وعندئذ حاولت الإمساك بأى شىء يمنع سقوطى ،
فأمسكت بالتابوت . . ولكنى فوجئت بأن خشب التابوت كان هشاً وتفتت
فى يدى كالتراب . وفى النهاية سقطت على الأرض . . ولكنى أحسست
بأننى أمسك شيئاً فى يدى !

وأشعلت الشمعة بعد أن عثرت عليها . . فتبين لى أن هذا الشيء الذى أمسكه فى يدى عبارة عن علبة صغيرة مصنوعة من الفضة التى يغطيها تراب الزمن . . ويبدو أنها كانت معلقة فى جثة « جون موهون » صاحب اللحية السوداء . . وتخيلت أنى قد عثرت على الجوهرة الثمينة .

وعندما فتحت العلبة ، فوجئت بأنها تحتوى على ورقة صغيرة عليها بعض الكتابات ، وعلى ضوء الشمعة قرأت الكلمات التالية :

قد يعيش الرجل ثمانين عامًا . .

يمشى قدما قدما تحت سيل الدموع . .

فاشرب من بئر السعادة .

لأن الموت سيأتى من جهة الشمال أو الجنوب .

وبعد قراءة تلك الكلمات الفارغة . . شعرت باليأس والاحباط . . وكان على أن أعود إلى البيت قبل أن يظهر نور الصباح . واتجهت إلى المكان الذى توجد فيه فتحة الدخول والخروج ، وفوجئت بصدمة هائلة حين تبين لى أن الفتحة أصبحت مسدودة باتقان بحجر ثقيل تم تثبيته بالملاط !

وحاولت جاهداً أن أزيل هذا الملاط ولكن بدون جدوى . . وبدأ نور الشمعة يتضاءل وينجبر ويبدأ ثم اختفى نهائياً وحل ظلام دامس . . ولم يكن هناك حل سوى أن انتظر حلول الصباح حيث يتسرب ضوء النهار من خلال الثقوب وكسرات الشقوق بين الأحجار . . ونظرًا لأنى أصبحت

أحس بقرصه الجوع وبشدة التعب والارهاق ، لذلك فقد جلست على الأرض واستغرقت في النوم .

● وعندما استيقظت تبين لى أننى نمت طوال نهار كامل . . وكانت نتيجة ذلك مفاجأة محزنة ، فقد كان على أن أقضى ليلة أخرى سجيناً في هذا القبر . . وبالرغم من هذا الاحساس باليأس ، فقد حاولت أن أخربش في الملاط لأزيع الحجر عن الفتحة . . ولم أصل إلى نتيجة سوى أنى أجهدت نفسى وجرحت أصابعى . . ولذلك فقد بدأت أصيح منادياً : يا «راتسى» . . يا «إلزفير» . . تعالوا وانقذونى من هذا السجن المظلم . . ولكن كل هذه النداءات ضاعت عبثاً . . ومن شدة التعب والارهاق واليأس ارتميت على الأرض مغشياً على !



● عندما عدت إلى وعى . . وجدت نفسى راقداً فوق سرير نظيف . . فحاولت أن أقوم إلا أنى لم استطع وشعرت بأنى ضعيف جداً ومريض جداً . . وأحسست بأن هناك شيئاً معلقاً برقبتى . . وكان هذا الشيء هو العلبة الفضية التى كانت معلقة حول رقبة « جون موهون » صاحب اللحية السوداء والتى عثرت عليها أثناء وجودى بالمقبرة .

فى تلك اللحظة دخل « إلزفير » إلى الحجرة فصحت به : إلزفير . . انقذنى . . انقذنى أرجوك !

وتقدم إلزفير نحوى ووضع يده الحنون فوق رأسى . . وأعطانى كوباً من

اللبن الساخن . . وأخبرنى بأنى الآن فى حانة «هواى نوت» . . وطلب منى أن أهدأ وأواصل النوم حتى يتم شفائى .

ومرت نحو عشرة أيام أو أكثر حتى شفيت تمامًا واستعدت قواى وصحتى . وكان «مستر جلىنى» هو أول من لاحظ تغيبى عن المدرسة ، ولذلك فقد ذهب إلى بيت خالتى ليستفسر عن سبب غيابى . . فأخبرته خالتى بأنى هربت من البيت ولا تعرف مكانى .

وبعد أن استعدت قواى ، ذهبت إلى بيت خالتى التى كانت غاضبة منى إلى أقصى حد . . وأخذت تكدرنى وتوجه إلى كلمات عنيفة قاسية . . وطردتنى من بيتها وهى تقول : إذهب إلى حيث كنت . . لعل الحانة تنفعك !

وهكذا خرجت مطرودًا من البيت الوحيد الذى أوانى . . وذهبت إلى حانة «هواى نوت» وأخبرت «إلزفير» بما جرى . . فبدا عليه السرور وقال بعطف : ليكن . . تعال وعش معى فى الحانة . . وستكون خير بديل لابنى «دافيد» .

واستقرت حياتى مع «إلزفير» . . وفى كل صباح كنت أذهب إلى المدرسة . . وأمضى أوقات ما بعد الظهر فى صيد الأسماك أو فى القيام ببعض أعمال الحديقة .

وكثيرًا ما كنت أجلس مع «إلزفير» ونحاول معًا أن نفهم ما تشير

إليه الكلمات المكتوبة على الورقة الصغيرة التى مازلت أحتفظ بها داخل
العلبة الفضية .



● فى بداية الربيع وصل إلى قرية «مون فليت» موظف كبير تابع
للملك . . وكان هذا الموظف يحضر إلى القرية مرة واحدة كل خمس سنوات
ليقوم بالتفتيش على أملاك الملك . . ولم يكن الملك يملك شيئاً فى «مون
فليت» سوى حانة «هواى نوت» أما بقية الأراضى فكانت مملوكة
لعائلة «الموهون» .

وعندما كان هذا الموظف الكبير يحضر إلى القرية ، كان يقوم بعمل مزاد
علنى لتأجير الحانة لمدة خمس سنوات تالية . وكان هذا المزاد يرسو دائماً على
«إلزفير» مقابل إثنى عشر جنيهاً دون أن ينافسه فيه أحد .

وكانت طريقة إجراء هذا المزاد تعتمد على إشعال شمعة ورشق
دبوس على بعد بوصة واحدة من شعلة الشمعة . . ويظل المزاد
قائماً حتى تسيح المنطقة المرشوق فيها الدبوس حتى يسقط الدبوس
من جسم الشمعة . وعندئذ يرسو المزاد على آخر شخص تقدم بسعر
منافس .

وجلس جميع الحاضرين حول الشمعة ينتظرون سقوط الدبوس . . وفجأة
ظهر «ماسكيو» بداخل الحانة . . وهنا حاول «إلزفير» أن يمنعه وقال : انت
لست صديقاً لى يا «ماسكيو» . . عليك أن تغادر الحانة فوراً !

ولكن «ماسكيو» قال للموظف الكبير : لقد جئت للمنافسة في المزاد . .
فما هو آخر سعر معروض؟!

قال الموظف : عرض «إلزفير» إثني عشر جنيهاً.

وهكذا بدأ «ماسكيو» و«إلزفير» ينافسان بعضهما بزيادة السعر الذي يعرضه كل منهما حتى وصل السعر إلى مائتي جنيه! . . وهو سعر عرضه «ماسكيو» . . وهنا سقط الدبوس من جسم الشمعة وفاز «ماسكيو» بتأجير الحانة للخمس سنوات التالية .



● ولعدة أيام تالية كان «ماسكيو» لا يجسر على السير في شارع القرية ، لأن جميع الرجال كانوا ينظرون إليه بغضب . . كما كانت النساء توجهن إليه كلمات قاسية . . لقد غضب عليه الجميع عندما علموا بما فعله في المزاد .

وقال بعض الرجال الذين كانوا يراقبونه إنه سافر إلى «واي ماوث» ليقابل رجال الضرائب . . وانه طلب منهم أن يرسلوا فرقة مسلحة حتى يقبضوا على المهرين في أول عملية يقومون بها .

ووصلت هذه الأخبار إلى «إلزفير» فقرر التوقف عن عمليات التهريب لفترة . . وفي مساء أحد الأيام أخبرني «إلزفير» بأن شحنة من البضائع قد وصلت وعلينا أن نستلمها . .

وقال «إلزفير» وهو يشرح لي تفاصيل العملية : لقد أبلغت السفينة التي

تحمل البضائع أن تتوجه شمالاً إلى منطقة تسمى « كهف بيجروف »
وهي منطقة تقع بالقرب من «رأس هور» حيث يمكننا أن نخفي البضائع في
هذا الكهف .

وفي تلك اللحظة ، شعرت بلفحة من الهواء البارد تهب على ظهري . .
فالتفت إلى الخلف فوجدت النافذة مغلقة . . ووجدت أن الباب أيضًا كان
مغلقًا . . ومع ذلك فقد شككت في الأمر ، ففتحت الباب بسرعة وخرجت
إلى الشارع ، ولكني لم أتمكن من رؤية أي شيء في الظلام . . وسألني
«إلزفير» مندهشًا : ماذا حدث؟

أخبرته بأنني أشك في أن أحدًا كان يتجسس علينا وينصت إلى حديثنا . .
ولكن «إلزفير» واصل حديثه قائلاً : لم يعد أمامنا سوى أسبوعين فقط حتى
نغادر هذه الحانة التي توارثت عائلتي حق إدارتها لأكثر من مائة عام . .
ولذلك فعلينا في الغد أن نسير على شاطئ البحر لنبحث عن بيت صغير
يكون بالقرب من منطقة «كهف بيجروف» .

ولم أقل شيئًا ولزمت الصمت . . فقد كان ذهني سارحًا في موضوع آخر
. . كنت حزينا لا اضطراري لمغادرة «مون فليت» وبالتالي سأفارق «جريس
ماسكيو» التي أحببتها من كل قلبي . . وسأفقد السعادة التي كنت أشعر بها
حين كنا نتجول سويًا في الغابة القريبة من بيتها حين يكون أبوها غائبًا عن
البيت . . والحقيقة أنني أخبرت «جريس» بكل شيء عن أسراري لأنني كنت
أثق بها ثقة لا حد لها . . وأعلم تمامًا أنها لا يمكن أن تبوح بهذه الأسرار لأي
أحد كان حتى لأبيها .

وفي آخر مرة قابلتها قالت لي بحنان : سوف أشعل شمعة وراء
زجاج نافذة حجرتي كل ليلة لعلك تراها وتسترشد بها وأنت تعمل في
البحر.

والآن . . . تقرر أن أغادر «مون قليت» وربما لن أستطيع أن أقابل
«جريس» مرة أخرى بعد ذلك أبداً . . . ولذلك فقد قررت أن أذهب في
الصباح إلى « الغابة » القريبة من بيتها . . . لعل أراها وأخبرها بما آل إليه
مصيري .



● وعندما تقابلنا في ذلك اللقاء الأخير ، أخبرتني «جريس» بأنها حزينة
بسبب مغادرة «إلزفير» لحانته وابتعاده عن «مون قليت» . . . وأن حزنها الأكبر
هو فراقى وابتعادي . . .

والحقيقة أن هذا الحزن الذي أبدته «جريس» كان من أسباب سعادتي ،
لأنني تأكدت الآن من أنها حزينة لفراقى ، ولأنني أصبحت ذا أهمية عندها .
وبعد فترة بدأت «جريس» تقول بعض الأخبار عن أبيها .

قالت إنه في الساعة التاسعة من مساء أمس - وهو نفس الوقت الذي
كنت أجلس فيه مع «إلزفير» بجوار المدفأة وكان يحدثني عن البضائع التي
سنخفيها في «كهف بيجروف» بعد أن نستلمها من السفينة - قام أبوها من
مقعده ، وقال إنه سيخرج من البيت ليتنزه قليلاً . . . وكان هذا أمراً غريباً لأن
الليلة كانت باردة . وبعد نحو ساعة عاد مسرعاً وقال إن عليه أن يسافر فوراً

إلى «واى ماوث» لأمر هام جداً . . . وانه من المحتمل أن يغيب هناك نحو يومين . ولبس معطفه وقبعته وانصرف فى ظلام الليل .

والحقيقة أنى بدأت أشك فى أن «ماسكيو» هو الشخص الذى تجسس علينا ليلة أمس .

وأخيراً أخبرتنى «جريس» بأن الوقت قد تأخر وحن موعد عودتها إلى البيت . . . وودعتنى !



● غادرنا - أنا و«إلزفير» - قرية مون فليت لنبدأ رحلتنا الطويلة إلى «رأس هور» التى تعتبر أعلى نقطة على الساحل . . . وكان جانبها المواجه للبحر عبارة عن تكوين صخرى شديد الانحدار . . . وكان هناك طريق ضيق جداً ووعر جداً يلف حول هذا التكوين الصخرى ، وهو طريق منحدر يربط ما بين قمة رأس هور وأرض الشاطئ .

وعندما وصلنا إلى أرض الشاطئ رأيت هناك نحو عشرين رجلاً كانوا فى انتظارنا . . . وجلست على الأرض لشدة احساسى بالتعب بعد أن مشيت هذا المشوار الطويل .

وعندما أطلقت السفينة الإشارة المتفق عليها ، بدأ الرجال فى تفريغ ما تحمله من بضائع . وبعد إنزال آخر قطعة من البضاعة ، بدأ الرجال فى السير نحو الطريق الضيق المنحدر الذى يصل بين الشاطئ وقمة رأس هور .

ولكن عند بداية هذا الطريق حدثت مفاجأة . . فقد رأى بعض الرجال شيئاً يتحرك خلف إحدى الأشجار وانطلق يجرى بأقصى سرعة . فوضع الرجال البضائع التي كانوا يحملونها على الأرض ، وانطلق بعضهم خلف الرجل الهارب إلى أن أمسكوا به وقبضوا عليه . وقد فوجئت بأن هذا الرجل كان «ماسكيو» بعينه .

وصاح بعض الرجال : اقتلوه . . اشنقوه . . اطلقوا عليه النار . . اقذفوا به إلى البحر من أعلى قمة رأس هور . . !!

وتقدم أحد الرجال وأخرج المسدس الذي كان يحمله «ماسكيو» في جيبه . . وألقى المسدس على الأرض بجانب قدمي «الزفير» الذي قال للرجال : دعوا أمره لي وحدي . . فقد حانت لحظة الانتقام من هذا القاتل الذي قتل ابني «دافيد» . . وعليكم أن تحملوا البضائع وتذهبوا إلى المكان المتفق عليه .

وهكذا تحرك جميع الرجال نحو الطريق الصاعد . . وبقي ثلاثة أشخاص فقط على أرض الشاطئ ، وهم «ماسكيو» و «إلزفير» وأنا . . ومسدس كان ملقياً على الأرض !



● كان «ماسكيو» جالساً فوق الرمال ، وظهره مسنود على صخرة . وكان مكتوف القدمين كما أن يديه كانتا موثوقيتين خلف ظهره . . ونظرات عينيه موجهة في ذلة نحو الأرض . ومع ذلك فقد حاول أن يبدو شجاعاً حين قال

لإلزفير بصوت مرتعش : أنا موظف لخدمة القانون . . وإذا لم تفك قيودي
وتطلق سراحى فسوف أطالب بشنقك !

ضحك «إلزفير» ونظر إليه باحتقار وقال : لا تحدثنى عن الشنق
والمشنوقين . . فسوف أصوب مسدسك هذا نحو رأسك . . وأقتلك كما لو
كنت أتخلص من وحش كاسر.

وهنا امتلأت عينا «ماسكيو» بالدموع وأخذ يستعطف «إلزفير» قائلاً
بصوت متحشرج : لا تقتلنى يا مستر إلزفير . . إن لى ابنة وحيدة ليس لها
عائل سوى . . فمن ذا الذى يرعاها ويحميها بعدى . . أنظر إلى حال تلك
المسكينة حين يحملون إليها جثة أبيها غارقة فى الدماء !

قال «إلزفير» : وأنا أيضاً كان لى ابن وحيد . . وقد حملوا إلى جثته غارقة فى
الدماء . . فمن ذا الذى قتله؟ . . وبأى مسدس قتل؟ . . انه نفس
المسدس الذى سأستعمله الآن فى قصف حياتك . . هيا أقم صلاتك
وتقرب إلى الله .

والتقط «إلزفير» المسدس الملقى على الأرض وأعدده للضرب . . وهنا بدأت
استعطف «إلزفير» وأرجوه أن يصرف النظر عن قتل «ماسكيو» . . فقال
«إلزفير» : إن لك قلباً طيباً يا بنى . . ربما كنت مصراً على قتله لأنى كنت
غاضباً عليه . . ولكنى الآن فى موقف حرج ، ولا أتصور كيف أقدم على
قتل رجل مكتوف اليدين والقدمين ومستسلم على هذا النحو . . ولكنك
تعلم ان الرجال كانوا سيقومون بقتله بأنفسهم ولكنى تدخلت لكى انتقم منه

بنفسى . . ولعلك تعلم أيضًا أنى إذا أطلقت سراحه فسوف يطالب بشنق
جميع الرجال بعد أن تعرف عليهم . . هل يرضيك هذا ؟ . . ليس أمامى
سوى أن أقتله !

وواصل «ماسكيو» بكاءه واستعطافه . . وعرض ألف جنيه ثم خمسة
آلاف ، ثم عشرة آلاف كفدية لانقاذ حياته . . بل ووعده أيضًا بإعادة حانة
«هواى نوت» إلى «إلزفير» . . ووعده كذلك بمغادرة «مون فليت» بصفة نهائية
ولن يعود إليها أبدًا .

ولم يستجب «إلزفير» إلى أى عرض من تلك العروض . . وأمسك
بالمسدس وجهزه لإطلاق النار . . وصوبه نحو رأس «ماسكيو» . . وفى
لمح البصر انقضضت على «إلزفير» لأمنعه من القتل . . واشتبكت معه
وأنا أحاول إبعاد المسدس من يده . . فسقط المسدس على الأرض ،
وانطلقت منه طلقة عشوائية اصطدمت بالصخرة ، ودوى صوتها فى
أرجاء الشاطئ .

وعندئذ توقف الاشتباك بينى وبين «إلزفير» ونظرنا ناحية «ماسكيو» فرأيناه
يضحك فى سرور وهو ينظر إلى أعلى قمة الطريق الصاعد . . ونظرنا نحن إلى
ما ينظر إليه . . ففوجئنا بظهور حوالى عشرين جنديا من جنود الملك
يحاصروننا من فوق القمة ويصوبون أسلحتهم نحونا !

لقد فهمنا الآن ما حدث بالضبط . . فقد اتفق «ماسكيو» مع هؤلاء
الجنود على أن يبدأوا هجومهم عندما يعطيهم إشارة من مسدسه . .

وانطلقت نحونا عدة طلقات نارية ، منهم طلقة أصابت «ماسكيو» في رأسه
فمات على الفور . . . والتقط «إلزفير» المسدس من الأرض وصاح بى : هيا
يا جون نجرى بأقصى سرعة لنختبئ خلف هذه الصخرة!

فجريت . . . وجرى «إلزفير» خلفى . . . ولكنى سقطت على ركبتي فجأة
. . . ووجدت نفسى غير قادر على الجرى . . . وشعرت بألم شديد فى قدمى
اليسرى . . . وقال «إلزفير» ملتاعاً : هل أصابوك يا جون ؟!

وتقدم نحوى . . . وحملنى بين ذراعيه . . . واحتمينا خلف الصخرة .



● قال «إلزفير» : هناك طريق ضيق جدًا يؤدي إلى قمة «رأس هور» . .
وهو طريق وعر ولكن من المؤكد أن الجنود لا يعرفونه . . هذا الطريق هو
الفرصة الوحيدة لنجاتنا . . وسوف أحملك فوق ظهري وأتسلق بك هذا
الطريق الخطر . . ولكن هناك بعض الأماكن الضيقة جدًا والأكثر وعورة ولا
تسمح لى باجتيازها وأنا أحملك على ظهري ، وعليك فى هذه الحالة أن
تزحف على يديك وركبتيك!

ولأننى كنت أشعر بآلام شديدة فى قدمى . . وأحسست بأن الدماء تسيل
داخل حذائي . . فقد طلبت من «إلزفير» أن ينجو بنفسه ويتركنى هنا
لمصيرى المحتوم . . ولكن «إلزفير» أخذ يشجعنى على احتمال الألم . . وحملنى
برفق فوق ظهره وبدأنا فى صعود هذا الطريق الخطر .

واستمر عذاب الصعود فترة طويلة . . وعندما نظرت إلى أسفل ، رأيت منظراً مربعاً يثير الهلع . . كانت مياه البحر الزرقاء تبدو بعيدة جداً من هذا الارتفاع . . وكانت طيور البحر تحلق تحتنا ، وكان الممر ضيقاً وشديد الوعورة ، وأية زلة قدم معناها نهايتنا . . ومع ذلك فقد واصل «إلزفير» الصعود وهو يحملني فوق ظهره ويشجعني بين حين وآخر . . إلى أن وصلنا في نهاية الأمر إلى قمة الطريق ، وارتمينا على الأرض نلتقط أنفاسنا !!



استرحنا لفترة قصيرة . . قال «إلزفير» خلالها ، إنه يعرف مكاناً آمناً اسمه «كهف جوزيف» وهو يبعد نحو سبعة أميال من هنا . . وقد تستغرق رحلتنا إليه النهار كله ، لأنه مضطر إلى السير ببطء وهو يحملني .

وواصلنا السير خلال مساحة واسعة من الحقول . . وكان الألم في قدمي يشتد كل لحظة . . وفي منتصف الطريق ، بدأت خطوات «إلزفير» تتباطأ وتصبح ثقيلة ، إلى أن وصلنا إلى بقايا حائط مهدم ، فوضعتني فوق هذا الحائط وارتمى على الأرض وأعلن أنه متعب ولا يستطيع مواصلة السير ، ويريد أن يستريح لفترة قصيرة ، وطلب مني أن أظل مستيقظاً لكي أراقب المكان .

ولا أدري كم مر من الوقت إلى أن تنبّهت مفزوعاً على صوت طلقة دوت في مكان قريب . . فقام «إلزفير» فوراً ووضع إصبعه أمام فمه إشارة لي بأن أسكت وألزم الصمت دون حركة . . وزحف هو خلف الحائط ليستطلع

الأمر . . وعاد بعد فترة وجيزة ليخبرنى بأنه شاهد ولدًا صغيرًا يصطاد الطيور
ببندقية . . وهاهو الصبى قادم نحونا . . فسأله «إلزفير» : أيها الصبى . .
ماذا تعمل هنا؟

فأجاب الصبى : أنى أصيد الطيور لفلاح اسمه «توب» .

فسأله إلزفير : هل لديك بارود كاف . . وهل يمكنك أن تعطينى بعض
البارود لأنى أريد أن أصيد أرنبًا بريًا من أجل عشائى ، ولكن ليس معى
بارود لأحشو به مسدسى . . وسوف أعطيك هذه القطعة الكبيرة من النقود!

وعندما شاهد الصبى هذه القطعة من النقود لمعت عيناه ووافق على
الفور، فتشجع «إلزفير» وقال للصبى : إعطنى كل ما معك من البارود
وسأعطيك قطعتين من النقود !

ووافق الصبى أيضًا على هذا الصفقة . . وهنا قال «إلزفير» للصبى :
بمنى البندقية أيضًا !

وهنا رفض الصبى هذا العرض وقال : لا . . إن الناس يقولون ان
هناك بعض المهرين فى هذه المنطقة وإن جنود الملك يبحثون عنهم
للقبض عليهم .

فقال «إلزفير» دون تردد : ولهذا السبب بالذات أريد أن اشترى منك
البندقية لأدافع بها عن نفسى ضد هؤلاء المهرين . . وسوف أعطيك قطعة
نقود ذهبية . . هاهى !

وأخرج «إلzfير» قطعة ذهبية من جيبه أخذها الصبى الذى أعطاه البندقية . . ولا أدرى ما الذى جعلنى لا أثق فى هذا الصبى . . وأخبرت «إلzfير» بشكوكى فى أن هذا الصبى سيذهب ليخبر الجنود بأنه رأى المهرين ويعرف مكانهم .

وقال «إلzfير» إنه يوافقنى على ذلك . . وعلينا أن نسرع فى الاختفاء فى «كهف جوزيف» الذى أصبح قريبًا وعلى مسافة قصيرة من مكاننا .

وحملنى «إلzfير» على ظهره مرة أخرى ، وأسرع فى السير نحو التل القريب . وعند سفح هذا التل شاهدت ثقبًا عميقًا فى الأرض . . وعندئذ قال «إلzfير» : ها هو «كهف جوزيف» الذى حدثتك عنه . . وسوف نختفى فيه إلى أن تشفى قدمك تمامًا .



● بقينا فى هذا الكهف حوالى شهرين حتى التأمت جروحي وتحسنت صحتى وبدأت استرد عافيتى . وكان «إلzfير» يخرج بين حين وآخر لإحضار الطعام . . ولم يكن هناك أحد يعرف سر وجودنا بهذا الكهف سوى «راتسى» الذى كان يحمل إلينا الطعام ويخبرنا بما يحدث فى «مون فليت» . .

وقال «راتسى» إن الجنود مازالوا يبحثون عنا فى كل مكان . . وكانوا قد أعلنوا فى البداية أننا قد سقطنا فى البحر . . ولكن هذا الوضع تغير الآن بعد أن أخبرهم صبى صغير بأنه شاهد واحدًا من المهرين ومعه صبى مصاب فى قدمه ، وأن هذا المهرب خطف منه بندقيته وباروده . . ولهذا فقد أعلن

قائد الجنود عن مكافأة خمسين جنيهاً لمن يقبض على «إلزيير بلوك» ومكافأة عشرين جنيهاً لمن يقبض على «جون ترنشارد» .

وهكذا مرت الأيام . . وبدأ «إلزيير» يفكر فيما سوف تفعله بعد أن يغادر الكهف . . وقال أنه يفضل أن نذهب إلى «نيو بورت» . . ونركب سفينة المهريين «بون أدفنشر» ونذهب بها إلى فرنسا . . ونختبئ هناك إلى أن يكف الجنود عن البحث عنا .

وبالفعل ذهب «إلزيير» إلى بلدة «بول» القريبة بعد أن علم أن السفينة ستكون موجودة هناك ليتفق مع بحارتها على الموعد المناسب لرحلتنا إلى فرنسا .

وفي أثناء غيابه بقيت وحدي في الكهف . . وحتى أسلى نفسي أشعلت شمعة وفتحت العلبة الفضية التي عثرت عليها في تابوت ذى اللحية السوداء . . وأخرجت الورقة الصغيرة ذات الكتابة الغامضة . . وقرأتها مرة أخرى . .

قد يعيش الرجل ثمانين عاماً . .

يمشى قدماً قدماً تحت سيل الدموع . .

فاشرب من بئر السعادة

. لأن الموت سيأتى من جهة الشمال أو الجنوب .

«جون موهون»

وفي تلك اللحظة . . جاء «راتسى» إلى الكهف . . وكانت ملابسه مبتلة بسبب الأمطار الغزيرة التى هطلت عليه فى الطريق إلى هنا . . ولكنه كان مسرورًا برؤيتى . وقال وهو يصافحنى : جون . . إن ما حدث طوال الشهرين الماضيين قد حولك من صبى إلى رجل .

بدأت العاصفة تشتد فى الخارج . . وتسلى الهواء البارد إلى داخل الكهف . . فأشعلنا النار فى الأخشاب وفروع الشجر . . وأحسنا بالدفء . . وأخبرت « راتسى » بأن « إلزفير » قد ذهب إلى بلدة « بول » ليتفق مع بحارة السفينة «بون أدفنشر» على سفرنا إلى فرنسا . . وشعر « راتسى » بكثير من الفرح والارتياح لهذا القرار . . ولكنه بعد أن صمت قليلاً ، قال وهو يدفء يديه :

- إن قلبى مملوء بالحزن يا جون . . لأن «إلزفير» لن يستطيع العودة إلى «مون فليت» . . وحانة «هواى نوت» مازالت مغلقة لأن «ماسكيو» قد مات قبل أن يبدأ العمل فيها . . ولأن ابنته «جريس» بنت صغيرة ومسكينة . . تصور يا جون انها لم تصدق الرجال الذين قالوا لها إنك أنت و«إلزفير» اشتركتما فى قتل أبيها . . بل وقالت لهؤلاء الرجال إن «إلزفير» لا يمكن أن يقتل رجلاً كان مكتوف اليدين والقدمين . . وحتى لو كان قد شرع فى قتل أبيها ، فهى تعلم جيداً أن «جون ترنشارد» سيبدل كل جهده لكى يمنعه !

كانت هذه الكلمات التى قالها « راتسى » أعذب فى أذنى من صوت الموسيقى . . لقد جعلتنى أشعر بأنى محل ثقة « جريس » وإنها مازالت تذكرنى بالخير . . لذلك فقد قلت « لراتسى » إنى لابد أن أرى «جريس»

وأخبرها بنفسى عن كل شىء مما حدث . . لابد أن أراها قبل أن أغادر
انجلترا إلى فرنسا .

ويبدو أن « راتسى » قد فهم مشاعرى نحو « جريس » لذلك فقد قال
بعطف : حقا يا « جون » إن « جريس » بنت جميلة وبيضاء مثل الزهرة . .
وربما ستكون خير زوجة لك عندما تصبح رجلاً . . وذلك إذا قبلت هى
الزواج منك !

ووضع « راتسى » مزيدًا من الأخشاب فى النار فارتفع لهيبها ووفرت لنا
مزيدًا من الضوء . فرأى الورقة الصغيرة الى كنت أقرأها . . فالتقطها
وتفحص فيها قليلاً ثم قال : ما هذه الورقة يا « جون » انها مكتوبة بطريقة
رديئة . . وفيها بعض الكلمات مكتوبة بحروف كبيرة فى الوقت الذى كان
يجب أن تكتب فيه بحروف صغيرة !

وأعطانى الورقة ، ثم قام واقفاً وقال : لن أستطيع أن انتظر « إلزفير » أكثر
من ذلك . . وعندما يعود عليك أن تخبره بما قلته لك . . وعليكما أن تغادرا
هذا المكان فى أقرب وقت !

وودعنى « راتسى » وانصرف . .

البتقطت الورقة وعادوت قراءتها . . ولاحظت بالفعل أن هناك كلمات
مكتوبة بحروف كبيرة وهى : **ثمانين . . قدما . . بئر . . جهة الشمال .**
لقد اكتشفت فى هذا اللحظة سر الجوهرة الثمينة . . فهى مخبأة فى بئر
. . عمقه ثمانين قدما . . من جهة الشمال . . ولكن شال ماذا ؟ !

واستغرقت فى محاولة حل هذا اللغز الجديد . . إلى أن عاد «إلزفير» وأخذ يعد لنا بعض الطعام . . وأخبرته بأمر تلك الكلمات المكتوبة فى ورقة ذى اللحية السوداء ، والمعنى الذى تشير إليه تلك الكلمات . فقال : إنك محق فى هذا الظن . . ولكن ماهو البئر المقصود ؟ . . أنا أعرف جميع الآبار فى «مون فليت» وليس بينها بئر واحد عمقه ٨٠ قدماً . . ومن المؤكد أن هذا البئر يقع فى منطقة خارج «مون فليت» . . ربما يكون فى قلعة «كاريسبروك» التى كان «جون موهون» يقوم فيها بحراسة الملك السجين . . أنا أعرف أن هناك بئرًا بداخل تلك القلعة . . فهيا بنا لنذهب إلى هناك . . إن لدى أصدقاء مخلصين فى القرية المجاورة لتلك القلعة . . ويمكننا أن نختبئ عندهم فى أمان!

وهكذا قررنا أن السفينة «بون أدفنشر» ستأخذنا إلى «كاريسبروك» بدلاً من الإبحار إلى فرنسا .

وفى اليوم التالى أحضر «إلزفير» سائلا بنيا صبغ به بشرة وجهى . . وتنكر هو بحلق لحيته . . وغيرنا ملابسنا بملابس فلاح وصبيه . وبهذا التنكر الجيد، تأكدنا من أن أحداً لن يتعرف علينا .

* * *

● بقيت لدينا ليلتان نقضيها فى الكهف قبل أن نبدأ رحلتنا إلى «كاريسبروك» . . وقررت بينى وبين نفسى أن أذهب إلى «مون فليت» لرؤيتها وتوديعها . ولكنى كنت حائراً فى اختيار الكلمات التى أبلغ فيها

«إلzfير» بهذا القرار . . ومع ذلك فقد تشجعت وقلت له بصوت متردد :
«إلzfير» . . لابد أن أذهب إلى «مون فليت» . . قرينا الحبيبة لألقى عليها
نظرة أخيرة قبل سفرنا . . وأنا أريد أن أذهب الآن . . وسأعود في الليلة
القادمة !

قال «إلzfير» : أنا أعرف لماذا تريد الذهاب إلى «مون فليت» . . إذهب
. . وسوف انتظر في الكهف حتى تعود سالماً في الليلة القادمة . . وإذا لم
تظهر حتى منتصف الليل . . فسوف أعرف أنهم قبضوا عليك . . وسوف
أحضر لمساعدتك بكل وسيلة .

وقام «إلzfير» بإعطائي كمية من الخبز واللحم، تكفى لطعامي خلال
رحلتي الذهاب والعودة . . كما أعطاني المسدس الذي كان مملوكاً من قبل
«الماسكيو» وقال : خذ معك هذا المسدس يا «جون» . . ولا تستعمله إلا
عند الدفاع عن نفسك إذا واجهت خطراً جسيماً !

وهكذا سرت طوال الليل حتى وصلت إلى «مون فليت» عندما أشرقت
شمس الصباح . . ولأنى كنت متكرراً فقد كنت على يقين من أن أحداً لن
يتعرف على . . وذهبت على الفور إلى بيت «جريس» وقرعت جرس
الباب . . وجاءنى صوتها العذب الجميل وهى تتساءل : من هناك ؟ !

غيرت نبرات صوتى وقلت : أنا صبي مسكين . . تهت في الطريق ولا
أعرف أين أنا . . !

وفتحت «جريس» الباب . . وسألتنى عن الجهة التى كنت أقصدها

.. فواصلت كلامي : أنا صبي فلاح .. جئت سيراً على قدمي من بلدة بعيدة قاصداً حانة اسمها «هواي نوت» يديرها شخص اسمه «إلزفير بلوك»!

اندهشت «جريس» لسماعها هذا الكلام .. وخرجت من البيت وسارت عدة خطوات لترشدني إلى مكان الحانة وهي تقول : يبدو أنك لا تعرف أن الحانة مغلقة منذ أكثر من شهرين ، وأن «إلزفير» قد غادر القرية .

وعندما أصبحنا وحدنا في هذا المكان الذي يبعد قليلاً عن باب البيت .. قلت لها بصوت منخفض «جريس» .. أنا «جون ترنشارد» .. جئت متخفياً لكي أراك .. ولدي أشياء كثيرة أريد أن أخبرك بها .. فهل هناك أحد غيرك في البيت ؟!

قابلت «جريس» هذه المفاجأة بسرور تام ، وقالت بهدوء : هيا نعود إلى البيت .. أنا هناك وحدي !

ودخلنا إلى البيت .. وجلسنا متقابلين .. ووضع كل منا يديه بيدي الآخر .. كانت لحظات سعيدة حلوة كما لو كانت حلماً جميلاً في منام مريح . وضحكت «جريس» كثيراً من ملابس الفلاحين الفقراء التي كنت متنكراً فيها ، ومن الصبغة البنية التي دهنت بها بشرة وجهي ويدي .

وأخبرت «جريس» بحقيقة كل ما حدث لأبيها .. وكانت تبكي وأنا أشرح لها التفاصيل إلى أن انتهيت من الحكاية ، وجففت «جريس» دموعها .. وسألتنى عن إصابة قدمي وهل شفيت منها تماماً .. فأجبته بالإيجاب ، ورويت لها الجهد الذي بذله «إلزفير» في علاجي .

وأخرجت العلبة الفضية من جيبى . . وشرحت لها سر الكلمات التى تدل على المكان الذى خبأ فيه «ذو اللحية السوداء» جوهرة الثمينة . . وأخبرتها بأننى سأذهب للبحث عن تلك الجوهرة ، ثم أصبح من أغنى الأغنياء فى هذه البلاد .

وسمعت «جريس» هذا الكلام بدون ارتياح ، وقالت لى : اسمع يا جون . . لا تفكر كثيراً فى أمر تلك الجوهرة . . ولا تحاول الحصول عليها . . لقد كانت مملوكة لرجل سيئ ، ولن يكون وراءها شئ سوى التعاسة . . وحتى لو عثرت عليها يا جون فبعها وانفق ثمنها لمساعدة الفقراء . . وإلا حلت بك التعاسة أنت أيضاً !! . .

وهكذا تواصلت بيننا أحاديث طويلة طيبة . . وأحضرت لى «جريس» خبزاً ولحماً ساخناً وبعض الفواكه من داخل البيت . . وعندما قمت لمغادرة البيت . . وقفنا متقابلين وكل منا يمسك بيدى الآخر . . وكانت آخر كلماتها : جون . . عندما تتجول داخل البحر . . أو عندما تكون قادماً إلى «مون فليت» من جهة البحر . . وهذا ما أرجو حدوثه فى يوم ما . . سترى شمعة مضاءة خلف نافذتى . . سأحرص على إضاءتها كل ليلة حتى تعود . . وعندما ترى ضوء هذه الشمعة خلف نافذتى . . فاعرف جيداً أن «جريس» مازالت تذكرك وتنتظرك حتى تعود . . أما إذا جئت يوماً ولم تر نور الشمعة ، فاعلم أن «جريس» قد ماتت !!



● كان الوقت متأخرًا حين وصلت إلى «كهف جوزيف» لأنام فيه آخر ليلة . . وفي مساء اليوم التالي ، أرسلت لنا السفينة «بون أدفنشر» أحد قواربها ليأخذنا من الشاطئ حتى نصعد إلى ظهرها . . وأبحرت بنا السفينة حتى وصلنا إلى بلدة «كاوز» . . ومن هناك واصلنا السير على الأقدام حتى قرية «كاريسبروك» . ودخلنا إلى حانة «باجل» حيث تناولنا الطعام ، ونمت على سرير نظيف .

وكان على «إلزفير» أن يقضى أغلب النهار بالخارج . . وتردد على القلعة عدة مرات . وأخيرًا قال لى «إلزفير» : لقد حاولت أن أضع خطة الوصول إلى البئر وحدنا ، إلا أن ذلك كان مستحيلًا تمامًا . . فهناك رجل يتولى حراسة الحجرة التى يوجد البئر بداخلها . . وبدون مساعدة هذا الرجل فلن نستطيع أن نفعل شيئًا . . لذلك فقد اضطررت لأن أخبره بأن هناك جوهرة ثمينة مخبأة فى البئر ونحن نعرف مكانها . . فوعدنى بأنه سيساعدنا فى الهبوط إلى البئر للبحث عن هذه الجوهرة بشرط أن يحصل هو على ثلث قيمة الجوهرة وأية جواهر أخرى نعر عليها . . والحقيقة أنى لا أثق فى هذا الرجل . . ولكن ليس أمامنا حل آخر . . واتفقت معه على أننا سنحضر متكرين فى ثياب عمال بناء جاءوا لكى يصلحوا جدران البئر . . وسيتولى هو أمر دخولنا إلى القلعة وإلى البئر .

وفى الصباح الباكر تنكرنا فى الثياب المتفق عليها وتوجهنا إلى القلعة حيث استقبلنا الحارس ، وأخذنا إلى الحجرة التى يوجد بها البئر . . ومنذ

أن رأيت هذا الرجل لم استرح إلى ملامح وجهه ولا إلى شكله العام وفقدت ثقتى فيه .

كان هناك برميل من الخشب معلقا ببكرة الحبال فوق فوهة البئر . . . فجذب «إلzfير» البرميل إلى ناحيته وقال لى : سأنزل أنا فى هذا البرميل . . . وسيتولى هذا الرجل الطيب انزال البرميل ببطء . . . وعليك يا «جون» أن تمسك بطرف هذا الحبل فى يدك وسأمسك أنا بطرفه الآخر فى يدى . . . إن هذا الحبل طوله « ثمانون » قدما بالضبط . . . وعندما يصبح هذا الحبل مشدودًا بيننا فعليك أن تطلب من الرجل الطيب أن يتوقف فورًا عن انزال البرميل .

لم أقتنع بتلك الخطة وعارضتها فورًا . . . لأنها ستجعلنى وحدى مع هذا الرجل الذى لا أثق فيه . . . وسوف يكون من الأفضل أن أنزل أنا فى البرميل ويبقى «إلzfير» مع الرجل لأنه يستطيع أن يتعامل معه إذا صدرت منه أية نية سيئة . لذلك فقد قلت لإلzfير وأنا أنظر إليه بنظرات ذات معنى : لا . . . دعنى أنزل فى البرميل لأننى خفيف الجسم . . . وابق أنت هنا لمساعدة هذا الرجل الطيب .

استاء الرجل من هذا التغير الذى لم يتوقعه ، وحاول أن يعارض هذه الخطة الجديدة ، إلا أن « إلzfير » قرر أن يبقى هو مع الرجل وأن أنزل أنا إلى البئر .



● وبدأ البرميل ينزل بى إلى أسفل البئر رويدا رويدا إلى أن وصلت إلى

نهاية الحبل الذى أدلاه «إلزفير» من أعلى والذى يبلغ طوله ثمانين قدمًا بالضبط . وعندئذ صحت بالرجلين أن يتوقفا عن انزال الحبل الذى يحمل البرميل ، فتوقف الهبوط فورًا .

وأخذت اتفحص الأحجار فى جدران البئر . . كانت كلها أحجارًا متشابهة . . وفى ضوء الشمعة التى كنت أحملها فى يدي ، لاحظت وجود حجر عليه علامة صغيرة على شكل حرف «Y» - وای - وهو الشعار الذى كانت تتخذه عائلة «الموهون» . . إذن فالجوهرة الثمينة مخبأة خلف هذا الحجر.

وأخذت أحفر حول الحجر محاولاً زحزحته من مكانه . . إلى أن تمكنت أخيرًا من خلعه ووضعته فى البرميل جوار قدمي . . ومددت يدي إلى داخل الثقب ، فعثرت على لفافة صغيرة تحسنتها ، فإذا بداخلها شئ صلب وكروى . . وما أن فتحت تلك اللفافة حتى وجدت بداخلها ماسة ضخمة .

وصاح حارس البئر بلهفة : هاه . . هل وجدت شيئًا ؟!

فصاحت بالرجلين أعلى البئر : نعم . . لقد وجدت الجوهرة . . هيا ارفعانى الآن إلى أعلى !

وأخذ البرميل يرتفع بسرعة . . وظلت أحلام الثراء تراودنى . . ولكنى تذكرت صوت «جريس» العذب الجميل وهى تقول لى : كن حذرًا يا جون . . إن هذه الجوهرة قد تجلب لك التعاسة!

وعندما أصبحت قريبًا من فوهة البئر، توقف الحارس عن جذب الحبل وصاح بى قائلاً : أين الجوهرة . . أين الجوهرة . . هيا اعطنى إياها !!



وهنا تدخل «إلزفير» فقال للحارس : ارفعه أولاً خارج البئر . . إن
الجوهرة ملك لهذا الصبي . . وسوف نعطيك نصيبك الذى اتفقنا عليه وهو
ثلث قيمة الجوهرة بعد أن نبيعها !

فقال الحارس بطريقة شرسة : إن الجوهرة ليست ملكا له . . ولا ملكا
لك أنت أيضا . . انها ملكى أنا . . لأن البئر بئرى أنا . . وسوف أقوم أنا
ببيعها وسأعطيك نصف قيمتها . . وسأعطى هذا الصبي قطعة نقود ذهبية
. . وهذا يكفى .

فقال «إلزفير» لا تكن غبيا . . إن الجوهرة ملك للصبي ، وسوف يحصل
على حقه كاملاً .

ولكن الحارس قال بسرعة : أنا لست غبيا بل أنت الغبى . . إن إسمك
هو « إلزفير بلوك » وهناك مكافأة خمسون جنيهاً لمن يقبض عليك . .
ومكافأة أخرى عشرون جنيهاً لمن يقبض على الصبي . . وأنتما الآن فى
قبضة يدي !

ولاحظت أن الحارس قد أخرج مسدسا من جيبه ، فصاحت على «إلزفير»
محذراً . . وصبوب الحارس مسدسه نحو «إلزفير» وأطلق عليه النار . . ولكن
الطلقة طاشت ولم يصب «إلزفير» بشئ . . وعندئذ ألقى الحارس مسدسه
الفارغ من الرصاص . . واندفع نحو «إلزفير» فى هجوم وحشى . ونشبت بين
الرجلين معركة شرسة .

وبذلت كل جهدى حتى صعدت خارجاً من البئر لكى أساعد «إلزفير»

في معركته ضد الحارس ، ولكنني وجدته في غير حاجة لمساعدتي . . فقد ألقى الحارس على الأرض . . فهب الحارس واقفاً وتراجع عدة خطوات إلى الخلف ليعاود هجومه مرة أخرى ، ولكنه انزلق على المياه الى كانت تحيط بحافة البئر فسقط على الأرض بقوة ، واندفع بفعل السقطة نحو حافة البئر وسقط في فوهة البئر . . وفي لمح البصر مددت يدي لكي أمنعه من السقوط ، إلا أن يدي لم تمسك إلا بسلسلة المفاتيح التي كانت معلقة في حزام حول وسطه . . وأحدث سقوط الحارس صوتاً مرعباً وهو يتخبط في جدران البئر ، ثم دوى صوت أكثر رعباً حين سقط جسمه في مياه البئر .

وأسرع « إلزفير » نحو البرميل ، ودخل إلى فوهة البئر وهو يقول : هيا يا «جون» انزلني بسرعة . . سأحاول أن أنقذه !

وأدليت البرميل بسرعة إلى أسفل البئر . . وأخذت أنصت باهتمام لأعرف النتيجة . . وبعد فترة طلب مني « إلزفير » أن أرفع البرميل إلى أعلى . . وعندما خرج من البئر لزم الصمت ، وعرفت بذلك أن الحارس قد مات .

فقلت متحسراً : دعنا نلقى هذه الجوهرة المشئومة في البئر يا « إلزفير » إنها لن تجلب لنا سوى التعاسة !

فقال « إلزفير » : لا يا « جون » . . اعطني الجوهرة لاحتفظ بها من أجلك !

وأعطيته الجوهرة . . وعدنا بسلام إلى الحانة . . وجمعنا حاجياتنا بسرعة . . واتجهنا إلى الميناء القريب . . وركبنا سفينة هولندية كانت على وشك الرحيل فوراً إلى هولندا . . !!



● أنزلتنا السفينة في ميناء « لاهاي » بهولندا . . وتعتبر هذه المدينة أشهر مكان في العالم لتجارة الماس . . وكان « إلزفير » يعرف بعض اللغة الهولندية . . وبحثنا على الفور عن تاجر ماس مناسب يمكن أن يشتري الجوهرة . . وقيل لنا إن « ألدوبراند » هو أغنى تجار الماس وأكثرهم شهرة .

وقبل غروب الشمس بنحو ساعة ، ذهبنا إلى بيت هذا التاجر . . وهو بيت غير مرتفع يطل على الطريق الرئيسى ، وملحقة به من الخلف حديقة واسعة . . وقرعنا جرس الباب ، ففتح لنا خادم طويل الجسم فأخبرنا بأننا نريد أن نبيع جوهرة .

بعد لحظات عاد الخادم ودعانا إلى الدخول حيث قابلنا التاجر « ألدوبراند » وهو رجل عجوز في حوالى السبعين من عمره . . وقال بصوت هادئ : أنا لا أتعامل فى الجواهر العادية . . بل فى الجواهر الثمينة فقط . . أين هى الجوهرة التى تريدون بيعها ؟!

فى تلك اللحظة كنت أمسك الجوهرة فى يدى فقدمتها إليه . . ورأيت ملامح الدهشة تبدو واضحة فى وجهه حين أمسك بها ورأى حجمها . . وبدأ يتفحصها بدقة ، ولكنه قال : لا يوجد هنا ضوء كاف . . اتبعانى .

ودخل بنا إلى حجرة لها نافذة تطل على حديقة البيت . . وجلس «الدوبراند» إلى مائدة في وسط الحجرة . . وأمسك الماسة بين أطراف أصابعه، وعرضها للضوء، وأخذ يفحصها بكل عناية واهتمام . . ولا أدري لماذا شعرت بعدم الارتياح لهذا الرجل الذي التفت إلى فجأة وسألني : ما اسمك أيها الصبي . . ومن أين جئت ؟!

فوجئت بالسؤال فقلت له بغباء : اسمي « جون ترنشارد » . . وجئت من قرية « مون فليت » بانجلترا . . !

وغمزني « إلزفير » ليحذرني . . ولشدة دهشتي لاحظت أن التاجر كتب اسمي في دفتر كان موجودًا على المائدة . . ثم سألني مرة أخرى : هاه . . من « مون فليت » . . ولكن قل لي كيف حصلت على هذه الجوهرة ؟!

وهنا تدخل « إلزفير » بسرعة وقال : إننا لم نحضر إلى هنا لتحقيق معنا . . فإذا كنت ترغب في شراء تلك الجوهرة ، فقل لنا ما هو الثمن الذي يمكنك أن تدفعه . . ويكفى أن تعرف أننا بحارة انجليز . . وأن هذه الجوهرة ملكنا . . وأنا نريد بيعها . .

وقال التاجر العجوز : نعم نعم . . ولكنني أريد أن أعرف المصدر الحقيقي لهذه الجوهرة لكي أفحصها جيدًا حتى أتأكد من أنها جوهرة حقيقية وليست مزيفة .

وقام التاجر وأحضر زجاجة صغيرة بها سائل أخضر . . ووضع نقطة من هذا السائل فوق الجوهرة . . وبعد قليل صدمنا بقوله : يا بني . . هذه

الجوهرة ليست ماسة حقيقية ، ولكنها مصنوعة من الزجاج بطريقة جيدة
وبدقة شديدة . . . وهى مع ذلك أحسن قطعة من الزجاج رأيتموها فى حياتى
. . . ولكنها ليست من الماس !!

أظلمت الدنيا فى عيني ، وكدت أسقط على الأرض مغشياً على . . . لقد
تبددت كل أحلام الثراء التى كانت تداعب خيالى . . . وضاع كل جهودنا
عبثاً . . . ومع ذلك فقد قال التاجر العجوز وكأنه يواسينا : أنا لم أقل إنها لا
تساوى شيئاً . . . فبالرغم من أنها مصنوعة من الزجاج إلا انها قطعة فنية
جيدة . . . ولذلك سوف أعطيكم عشرة قطع من النقود الفضية ثمناً لها !

وهنا قال « إلزفير » بغضب : لا . . . إننا لم نحضر إلى هنا لنحصل على
نقودك الفضية . . . نحن فى غنى عنها . . .

وبغضب شديد ، التقط « إلزفير » الجوهرة من يد التاجر العجوز ،
وألقى بها من النافذة المطلة على الحديقة . . . فهاج التاجر وصاح قائلاً : هل
أنت مجنون أيها الرجل . . . لماذا فعلت ذلك . . . لماذا ؟!!

وخرجنا يائسين من بيت التاجر . . . وكنت قد لاحظت حين قام « إلزفير »
بالقاء الجوهرة ، انها وقعت على أرض الحديقة بجوار زهرة حمراء كبيرة . . .
وعدنا إلى الحانة التى كنا نقيم بها دون أن نتبادل كلمة واحدة . . . وعندما
وصلنا إلى الحانة جلسنا لتناول طعام العشاء .

وبطبيعة الحال فقد كان ذهني مشغولاً بكل ما حدث . . . وأخذت أقلب
الأمر من جميع جوانبه . . . وفجأة توقفت عن تناول الطعام وفزعت واقفاً

وقلت: « إلزفير » .. إنا بلهاء .. إن الجوهرة ماسة حقيقية .. واستطاع هذا التاجر العجوز اللئيم أن يغشنا ويكذب علينا .. ويجب أن نذهب إلى حديقة بيت التاجر .. فأنا أعرف المكان الذى سقطت فيه الجوهرة .

قال « إلزفير » بعد فترة صمت : إنك على حق يا « جون » فأنا أعرف أن الجوهرة ماسة حقيقية .. وأنا على يقين من أننا سنعيش سعداء بدونها .. لأنها ستجلب علينا الشقاء والنحس والتعاسة .. فلا داعى لأن نفكر أو نعمل على استردادها !

ولكنى لم أقنع بما قال ، وأصررت على الذهاب إلى الحديقة لاستعادة الجوهرة . ولم يجد « إلزفير » مناصاً سوى أن يذهب معى .

وكان ظلام الليل قد حل حين تسلقنا السور الحجرى الذى يحيط بالحديقة الملحقة ببيت التاجر « ألدوبراند » .. واتجهنا مباشرة إلى المكان الذى توجد فيه الزهرة الحمراء .. وأخذت أتحسس الأرض بيدي .. ولكنى لم أعثر على شىء .. فقلت يائساً : لقد اختفت الجوهرة .. لا بد أن « ألدوبراند » قد سبقنا فى الوصول إليها .. لقد أخذها هذا التاجر اللئيم الغشاش !

ونظرت نحو بيت التاجر ، فرأيت نوراً ينبعث من إحدى النوافذ ، فاقتربت من النافذة واقترب معى « إلزفير » فشاهدنا التاجر وهو جالس إلى مائدة وأمامه جوهرتنا الثمينة .. وعندئذ وجدت نفسى أصعد بسرعة إلى

حافة النافذة ، وقفزت إلى داخل الحجرة . . وأمسكت الجوهرة بيدي . .
ولكن التاجر العجوز هب واقفاً يصيح مذعوراً : النجدة . . النجدة . .
إلحقوني . . لصوصن في البيت !!

وفي الحال ، دخل ستة من الخدم . . وأحاطوا بنا من كل جانب . .
وقبضوا علينا !



● قدمونا إلى المحاكمة . . وطبعاً لم يصدق القاضي أى كلمة من قصتنا
مع تلك الجوهرة التى حكيناها بكل تفاصيلها . . وحكم علينا بالسجن !
. . وأخذونا إلى سجن بعيد يسمى « إيمجوين » . . وبعد مرور نحو
اسبوع جاء بعض الحراس وأخذونى إلى كوخ حقير كريه الرائحة ،
وربطونى بالحبال إلى كرسي ضخم . . وكانت هناك نار مشتعلة وجاء أحد
الحراس بختم مصنوع من الحديد المحمى بالنار ، ووصمنى على جبينى
بعلامة على شكل حرف « Y » - واى - وهو أول حرف من « إيمجوين » . .
اسم هذا السجن . . وذلك حتى يعرف الجميع أنى سجين أتبع هذا
السجن الرهيب .

وبعد مرور عدة أيام ، قابلت « إلزفير » أثناء العمل الشاق فى ساحة
السجن ، وكان يحمل هذه العلامة أيضاً على جبهته .

ومرت سنوات طويلة كلها عذاب . . كل يوم كان شبيهاً باليوم السابق

.. نخرج إلى العمل الشاق طول النهار .. ونعود لتناول الطعام الرديء ..
ثم ننام لنحاول أن ننسى هذا العذاب .



● وبعد انقضاء عشر سنوات في هذا السجن .. جاءت مجموعة كبيرة
من الجنود المسلحين ، وأخذونا إلى ميناء « لاهاي » .. وهناك أفهمونا أننا
سنركب سفينة ستأخذنا إلى جزيرة « جاوه » وهي جزيرة تابعة لهولاندا وتبعد
عن أوزبا عدة آلاف من الأميال وتقع وراء الهند .. وأخبرونا أننا سنعمل
هناك في المزارع الهولندية لقصب السكر !

وكانت هذه المصيبة الجديدة نهاية محزنة لكل آمالي .. فلن
أتمكن أبداً من رؤية « جريس » مرة أخرى .. ولن أعود أبداً إلى « مون
فليت » .. وطوال السنوات العشر الماضية ، كنت أتصور أنني
سأستطيع الهرب في يوم ما .. أو ربما كانوا سيطلقون سراحى بعد مدة
لا أعرفها .. ولكن الآن ضاعت كل هذه الآمال والتوقعات .. ضاعت
إلى الأبد !

وكان « إلزفير » أيضاً ضمن مجموعة السجناء المرحلين إلى جزيرة « جاوه »
.. لقد أصبح الآن رجلاً عجوزاً شاب شعر رأسه وابيض .

وصعدوا بنا إلى تلك السفينة التي سترحل بنا إلى « جاوه » .. وأبحرت
السفينة لمدة يومين في بحر هادئ .. وفي اليوم الثالث هبت علينا عاصفة
عاتية .

كان معنا فى عنبر المسجونين عشرون سجيناً أصابهم الرعب والهلع خوفاً من تلك العاصفة . . أما بالنسبة لنا - أنا و « إلزفير » - فقد اعتدنا على مثل هذه العواصف .

ولكن يبدو أن تلك العاصفة كانت أقوى مما نتصور . . فقال « إلزفير » :
هناك سفن أكبر من هذه السفينة وأقوى منها كان مصيرها الغرق والتحطم فى مثل هذه العاصفة العاتية . . واعتقد أننا نبحر بالقرب من أحد السواحل . . ومن المتوقع أن تقذف بنا الأمواج العالية وتتحطم السفينة على صخور الشاطئ .

وفى تلك اللحظة فتح باب عنبر المساجين ، وظهر رجل من بحارة السفينة وقال وهو يلقي إلينا بمفتاح الباب : ليساعدكم الله . . تصرفوا بسرعة لتنقذوا أنفسكم !

وفهم « إلزفير » ما يقصده هذا البحار فقال للسجناء : معنى هذا أن السفينة ستغرق . . وانهم يعطوننا فرصة للنجاة !

ولاحظنا أن الجنود والبحارة قد غادروا السفينة وركبوا قوارب النجاة . . وصاح « إلزفير » : نحن قريبون من الساحل . . ومن المؤكد أن السفينة ستتحطم على صخورها الضخمة المديبة !

وكان من الواضح أننا بداخل أحد الخلجان . . ورأيت تلاً مرتفعاً يبدو شاخاً من بعيد . . وقد ذكرنى منظره وشكله بتل أعرفه ورأيت مراراً من قبل

.. وهنا صاح « إلزفير » بصوت مبتهج وينم عن الفرح : أنظر يا « جون »
.. إننا فى خليج « مون فليت » .. !!

وطلب السجناء من « إلزفير » أن يقود بهم قارب النجاة الوحيد
الباقى على ظهر السفينة .. ولكن « إلزفير » أفهمهم ان النزول إلى البحر
معناه الموت والهلاك غرقاً وسط هذه العاصفة العاتية وأمواجها العالية
العنيفة .. ولكن السجناء لم يقتنعوا .. وانزلوا القارب إلى البحر وركبوه ،
وانطلقوا إلى مصيرهم المحتوم .. وهكذا أصبحنا وحدنا على ظهر تلك
السفينة الموشكة على الغرق ، والتي تتقاذفها الأمواج وتدفع بها إلى
الارتطام بالصخور .

فى تلك اللحظات تخيلت ما يفعله أهالى « مون فليت » الآن وهم يرون
سفينة موشكة على الغرق .. تخيلت « راتسى » ومعه مجموعة من رجال
القرية يحملون المصابيح ويفكرون فى كيفية تقديم أية مساعدة لانقاذ الأحياء
الراكبين فوق ظهر السفينة ..

وخلال أطباق الظلام وسيول المطر ، رأينا نقطة من الضوء تلمع مثل
الجوهرة . فقال « إلزفير » : إنها « منارة ماسكيو » .. ألا تذكرها ؟!

آه .. ها هى « جريس » مازالت وفية بالعهد الذى قطعته على نفسها ..
حين وعدتني بأنها سوف تشعل شمعة خلف نافذة حجرتها فى كل ليلة حتى
يهتدى بها بحارة السفن العابرة إلى أن أعود إليها مرة أخرى .. إنها مازالت
تتظرنى .. وهأنذا عائد إليها !

ولاحظت أن عدد المصاييح التى كان يحملها رجال « مون فليت » قد ازداد . . . وبطبيعة الحال فانهم لا يعرفون أن هذه السفينة الموشكة على الغرق لا تحمل على ظهرها سوى اثنين من الرجال . . . وأن هذين الرجلين من أهالى « مون فليت » !

وعندما اقتربت السفينة من أرض الشاطئ لتلقى نهايتها المحتومة ، واشتد عويل الرياح وصخب الموج . . . صاح « إلزفير » : لقد اقتربت النهاية . . . وعلينا أن نلقى أنفسنا إلى البحر مع قدوم الموجة التالية . . . وها هى موجة قادمة . . . هيا يا « جون » . . . اقفز معى !!

وقفزنا . . . وسقطت على يدي وركبتي فى منطقة لا يزيد عمقها على متر واحد . . . ووقفت على قدمي . . . ولكن الأمواج العنيفة غلبتني . . . وحاولت الوقوف مرة أخرى ، ولكن بدون جدوى . . . ولم أعد أرى شيئاً . . . ولكنى أحسست بيد قوية تمسك بيدي . . . !



● غبت عن وعي ساعات طويلة . . . وعندما بدأت أفيق ، وجدت نفسى راقداً على سرير فى حجرة بها مدفأة موقدة . . . وفتحت عيني بصعوبة فرأيت رجلين جالسين بالقرب من سريري ، وكانا يتحدثان بصوت منخفض . . . وقال أحد الرجلين : يبدو انه سيستيقظ . . . وربما سيعيش ليحكى لنا من هو . . . وماذا حدث . . . وعلينا الآن أن نقدم له شراباً ساخناً . . . فالليلة باردة . . . والمكان فى هذه الحانة بارد أيضاً . . . تصور

يا صديقى أنى لم أدخل إلى هذه الحانة منذ أكثر من عشر سنوات . . منذ
أن غادرها «إلزفير» !

وعندما سمعت اسم «إلزفير» . . قمت جالسًا فوق السرير . . التفت
حولى بحثًا عن «إلزفير» ولكنى لم أجِد سوى هذين الرجلين . . ولذلك
فقد صحت ملتاعًا والخوف يملأ قلبى : إلزفير!! . . إلزفير!! . . أين
إلزفير؟ . . أين هو . . ؟!

حاول أحد الرجلين أن يهدئنى . . وقال لزميله : يا له من شاب مسكين
. . إنه يهذى !

فصحت مرة أخرى : أنا لا أهذى . . إنى أسألكما عن «إلزفير بلوك»
. . أين هو . . ؟!

وعندما سمع الرجلان هذا الاسم كاملاً ، نظر كل منهما إلى
الآخر نظرات حائرة . . وتقدم منى أحد الرجلين فتذكرته على الفور
بالرغم من شعره الأبيض وتجاعيد الزمن التى ملأت وجهه . . انه
«راتسى» . . فصحت به : «راتسى» . . ألا تعرفنى . . أنا «جون
ترنشارد» . . !!

احتضننى «راتسى» وقد امتلأت عيناه بالدموع ، وأمسك بيدي بين
راحتيه وأخذ يسألنى بلهفة . . أين كنت . . ومن أين جئت . . وما قصة
هذه السفينة . . ولكنى قلت له بإلحاح : سأحكى لك كل شىء فيما بعد
. . ولكن أخبرنى أين «إلزفير» !

قال «راتسى» : لا أدري أين هو . . هل كان معك على ظهر السفينة؟!

قلت على الفور : كان معى . . ولكن أين هو الآن . . ؟!

قال بصوت حزين : إن أحدًا لم يخرج من تلك السفينة حيًا سواك . .

انت الوحيد الذى خرجت حيًا !

ولازمنى « راتسى » طوال يومين كاملين . . وكان يعدلى الطعام ويطمئن على راحتى . . وعلمت أن الأمواج قذفت بجثة « إلزفير » إلى أرض الشاطئ . . وامتلاً قلبى بحزن عميق . . ودارت فى ذهنى مئات الذكريات التى ضاعفت أحزانى .

وأخبرنى « راتسى » بأن عليه أن يقوم بمشوار هام . . وسوف يعود إلى الحانة فيما بعد . . وانصرف وتركنى مع همومى وأحزانى . . وجلست على مقعد بجوار نار المدفأة . . ولا أدري كم مر من الوقت حين شعرت بخطوات تقترب . . وظننت أن « راتسى » قد عاد كما وعد . . ولكنى شعرت بيد رقيقة تربت بحنان على كتفى . . والتفت خلفى . . فإذا أجد أمامى شابة طويلة فى غاية الجمال والرقه . . كانت « جريس » بنفسها !!

قالت بصوت رقيق ناعم : جون . . هل نسيتهى يا جون ؟ . . هل رأيت ضوء الشمعة التى كنت أوقدها كل ليلة انتظارًا لعودتك ؟!

قلت وأنا أمسك يدها : جريس . . انت عندى أغلى الناس . . لكنى لا أستطيع الكلام عن الحب . . فأنت الآن شابة محترمة وعظيمة . . وما أنا

سوى انسان فقير لا يملك من حطام الدنيا شيئاً . . واحمل علامة السجناء
فوق جبينى !

ولكن « جريس » قالت برقة وحنان أكثر : لا تتحدث يا جون عما تملك
أو ما لا تملك . . لقد عدت الآن يا جون وأنت أكثر ثراء بتجاربك في
الحياة .

واستمر حديثنا جوار نار المدفأة لفترة طويلة . . وتعجبت كثيراً من أمر
تلك الشابة الجميلة العظيمة . . كيف تحتفظ لى بمكان في قلبها . . وما أنا
سوى إنسان فقير لا يملك شيئاً ؟ !



● بقيت في قصتي بعض التفاصيل الصغيرة . . فقد جاء إلى انجلترا
«الهر روستن» وهو أحد رجال القانون الهولانديين الذين يعملون في «لاهاى»
. . وأرسل إلى خطاباً قانونياً طويلاً يتضمن معلومات في غاية الغرابة .

يقول الخطاب إن تاجراً شهيراً اسمه « ألدوبراند » قد مات أخيراً وترك كل
ثروته لمن يدعى « جون ترنشارد » الذى يعيش بقرية « مون فليت » بانجلترا
. . ونظراً لأن هذا التاجر قد مات دون أن يكون له ابن أو أى وريث
شرعى ، فإنه يترك ثروته كلها « لجون ترنشارد » لأنه قد حصل منه بطريق
الغش والخداع على جوهرة ثمينة ولم يعطه ثمنها لها ، بل وأدخله إلى السجن
. . ولذلك فهو يترك جميع أمواله بعد موته « لجون ترنشارد » تكفيراً عن
الذنب الذى جناه ضده . . !!

وهكذا عاد إلى ثمن الجوهرة الثمينة . . ولكننا [أنا وزوجتي جريس]
قررنا أن نتبرع بكل هذه الأموال للفقراء !

وفي كثير من الأحيان كنا نخرج - أنا وجريس - للتنزه في الغابة القريبة . .
ونصحب معنا أولادنا : جون الصغير . . وجريس الصغيرة . . وإلزفير
الصغير!

وهناك نتمتع دائماً بمنظر الشمس الغاربة ، وهي تلقى أنوارها الذهبية
فوق قمم التلال . . ونتمتع بصوت البحر وهدير أمواجه . . !



جون شتاينبك

عناقيد الغضب

THE GRAPES OF WRATH

JOHN STEINBECK

وقعت أحداث هذه الرواية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين . . حين كان صغار المزارعين في ولاية «أوكلاهوما» والولايات الوسطى يزرعون القطن عامًا بعد عام مما أدى إلى إهلاك التربة الزراعية وإصابتها بالضعف ، فجفت التربة وتحولت إلى غبار يطير في الهواء بفعل العواصف الشديدة .

وفي خلال تلك الفترة حدثت أزمة اقتصادية عمت البلاد كلها . وبالتالي فقد امتنعت البنوك عن إقراض هؤلاء المزارعين ، بل وأخذت البنوك تعلن إفلاسها واحدًا بعد آخر . . وهكذا أصبح هؤلاء المزارعون الصغار من أمثال عائلة « جوود » بلا أرض ولا محاصيل ولا مال . . ويعانون من شدة الجوع .

وكان هؤلاء المزارعون يسمعون عن الازدهار الذي تعيش فيه ولاية «كاليفورنيا» ذات الجو الرائع والمحاصيل الزراعية الوفيرة . . وعلموا أيضًا أن أصحاب المزارع الكبرى في تلك الولاية يحتاجون إلى آلاف من العمال لجنى محاصيلهم . ولذلك فقد قرر الكثيرون من أهالي « أوكلاهوما » الرحيل إلى

الغرب لكى يصلوا إلى « كاليفورنيا » بعد رحلة طويلة صعبة للغاية ، على أمل الحصول على عمل هناك .

ولكن أهالى « أوكلاهوما » الذين رحلوا إلى هناك ، واجهتهم مشاكل من نوع آخر . . فقد كان كبار المزارعين فى « كاليفورنيا » يعانون من صعوبات فى تسويق محاصيلهم الزراعية بسبب وفرتها وزيادة عرضها على الطلب عليها ، فقل بذلك ثمنها ، وأصبحوا يبيعونها دون تحقيق ربح ، بل وبالخسارة فى كثير من الأحيان ، وبالتالي فلم يكن فى مقدورهم دفع أجور العمال الذين يقومون بجمع تلك المحاصيل . . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان هؤلاء المزارعون الكبار قليلي الثقة فى العمال الذين يفدون من « أوكلاهوما » وكانوا يسمونهم « الأوكيز » .

وكانت المصيبة الكبرى فى « كاليفورنيا » فى ذلك الزمن . . هى قيام المزارعين الكبار بترك محاصيل الفواكه حتى تتعفن وتتلفن . . بل وكانوا يقومون بحرق محاصيل البن والقطن ، ويلقون بمحصول البطاطس فى الأنهار حتى لا يحصل عليها الناس والجياع بلا ثمن . . ويقومون أيضاً بتدمير المحاصيل الغذائية حتى تظل أسعارها مرتفعة . وهكذا انتشر الجوع بين الرجال والنساء والأطفال . . بينما كانت رائحة الفواكه والخضروات العطنة تملأ أجواء البلاد . . الأمر الذى أدى فى النهاية إلى حالة عامة من الخوف والغضب .



وفى « أوكلاهوما » ماتت محاصيل القمح والقطن . . وتحولت التربة الزراعية إلى تراب وغبار تهب عليه الرياح فيملاً الجو ويغشى كل شيء . . الحقول والبيوت والأشجار . .

وفى يوم ما وصلت إلى الطريق السريع شاحنة حمراء ضخمة ، توقفت ونزل منها شاب فى حوالى الثلاثين من عمره . . وانحرف إلى الطريق الفرعى القذر الذى يغطيه التراب . . وكان الشاب يرتدى بدلة فضفاضة مصنوعة من قماش خشن رخيص . . وظل يواصل سيره فى الطريق إلى أن وصل إلى سور مهدم فى بعض أجزائه . . وهنا تذكر الشاب أن هذا السور قد بناه أبوه منذ عدة سنوات حول مزرعتهم « مزرعة عائلة جوود » التى تبلغ مساحتها نحو أربعين هكتاراً . .

وصل الشاب إلى بيت عائلته فوجده خاوياً من أى أثاث ، وخالياً لا يسكن فيه أى إنسان . . وقال الشاب محدثاً نفسه : يبدو أنهم رحلوا جميعاً . . ولكن إلى أين ؟!

وفى تلك اللحظة رأى الشاب رجلاً طويلاً ذا شعر أشيب كان يسير فى الطريق المجاور . . وتذكر الشاب أن هذا الرجل هو « المبجل كاسى » واعظ القرية فنادى عليه : أيها « المبجل كاسى » . . كيف حالك ؟!

فرد عليه الرجل قائلاً : من أنت ؟ . . هل أنت « توم » ابن العزيز « جوود » . . ؟!

ودار بينهما الحديث التالى :

- أين كنت يا «توم» طول هذه المدة ؟ . . لقد رحلت عائلتك إلى ناحية «رانسيس» القرية وتركوا مزرعتهم خاوية ويستهم خاليًا . . وسمعت أنهم يفكرون في الرحيل إلى الغرب حيث الحياة مزدهرة هناك .

- ألم تسمع بأنى كنت في السجن حيث حكم على يسبع سنوات لأننى قتلت رجلًا هاجمنى بسكين ليقتلنى فضربته على رأسه بالجاروف فسقط ميتًا . . وقد أفرجوا عني بعد أربع سنوات لحسن سيرى وسلوكى .

- سمعت أن والدك سيشتري سيارة ليرحل بها هو وعائلته إلى «كاليفورنيا» .

- فى الصباح سأذهب إليهم فى «رانسيس» . . فهل ستأتى معى ؟
- نعم سأذهب معك . . وعندما يقرر أهلك الرحيل إلى «كاليفورنيا» سأكون معهم !

ثم استغرق الرجلان فى النوم . . بينما بدأت الحيوانات الصغيرة تخرج من جحورها بحثًا عن أى شىء يؤكل !

* * *

استيقظ الرجلان قرب الفجر وقبل أن تشرق الشمس . . وبدأ فى السير وهما صامتين إلا من بعض كلمات كانا يتبادلانها بين حين وآخر . . إلى أن وصلا أخيرًا إلى «رانسيس» . . وهناك شاهدا بيتًا خشبيًا أشبه ما يكون بصندوق ضخيم غير مطلى . . وأمام مدخل البيت كانت هناك كومة من الأثاث القديم . . أسرة . . ومقاعد . . ومناضد . . إلخ .

وكانت هناك سيارة نصف نقل قديمة تقف وسط الفناء . . وفي هذه اللحظة شاهد « توم » أباه وهو يقوم بتحميل السيارة ببعض قطع الأثاث . . فتقدم منه وقال : أبى ! . . ولكن الأب العجوز لم يلتفت إليه وقال مزيجراً : هاه . . ماذا تريد ؟ !

كان الأب يرتدى قبعة سوداء قدرة وقميصاً أزرق وبنطلوناً قديماً . . وحين رفع نظره ليرى من يحدثه صاح في فرح : تومى ! . . لقد عدت يا تومى إذن ! . . هل هربت من السجن . . إنك لن تستطيع أن تختبئ في أى مكان ! فقال « توم » : لا يا أبى . . فقد أفرجوا عنى لحسن السير والسلوك . . وها هي الأوراق التى تثبت ذلك !

قال الأب بعد أن اطمأن : تومى . . نحن سنرحل إلى كاليفورنيا . . ويمكنك أن ترحل معنا . . والآن هيا لنفاجئ أمك بحضورك . . فقد كانت قلقة عليك ولديها إحساس كئيب بأنها لن تراك مرة ثانية .

كان « كاسى » واقفاً فى صمت وهو يشاهد اللقاء بين الأب وابنه الذى كان غائباً منذ سنوات . . وعندما رآه الأب ، رحب به . . ثم التفت إلى ابنه «توم» وقال : ولكن كيف سنبلغ أمك بهذا الخبر الذى سيسعدها ؟ . . هل أقول لها لدينا ضيوف فى حاجة إلى تناول طعام الإفطار ؟ . . على أية حال هيا بنا . . فأنا أريد أن أرى وجهها حين تراك أمامها !

وعندما اقتربا من مدخل البيت . . كانت هناك رائحة خشب يحترق . . مختلطة برائحة لحم مشوى . . وخيز . . وقهوة . . وكانت الأم منهمكة فى

العمل ، وهى ترتدى رداء طويلاً . . وقدماها الحافيتان قويتان . . وشعرها أشيب . . وأدركت أن زوجها قد حضر ومعه أحد الضيوف ، لذلك فقد قالت مرحبة : من حسن الحظ أنى صنعت مزيداً من الخبز !

وعندما أدركت أن الضيف هو ابنها . . ألقت عصا الفرن على الأرض ، واندفعت نحوه ، ووجهها ملىء بالسعادة والفرح ، قالت : حمداً لله . . حمداً لله ! . . ولكنها سرعان ما اعترها الخوف فقالت : تومى . . هل هربت من السجن ؟! . . فأفهمها « توم » بأنهم أطلقوا سراحه لحسن سيره وسلوكه . . فقالت وهى تبكى : كنا على وشك الرحيل بدونك . . ولكنك جئت فى الوقت المناسب وسترحل معنا . . !

والتفت الأم إلى زوجها وطلبت منه أن يذهب ليخبر الجد والجدة بعودة «توم» . . الحقيقة أن هذه الأم كانت مركز العائلة القوى . . وهى تدرك ذلك تماماً . . وتقوم بحماية الأسرة من أى حدث ضار يقع لأى فرد من أفرادها . . وعندما وصل الجد والجدة - وهما عجوزان هرمان - قام الجد بالترحيب « بتوم » ثم تساءل : أين طعام إفطارى ؟! . . فقامت الأم على الفور بتوزيع الأطباق التى تحتوى على الخبز ومرق اللحم . . وبدأ الجميع فى تناول إفطارهم .

وبعد تناول القهوة . . توجه الأب و « توم » إلى السيارة نصف النقل . . وعلى الفور رفع « توم » غطاء المحرك وأخذ يفحص أجزاء المحرك . . فقال له الأب : إن أخاك « آل » قد قام بفحص محرك هذه السيارة قبل أن نشتريها .

وتساءل « توم » : منذ متى يعرف « آل » محركات السيارات . . ؟!
أجاب الأب : لقد كان يعمل في إحدى الشركات . . وكان يقود سيارة
شحن كبيرة خلال العام الماضي !

وهنا تساءل « توم » : ولكن أين هو الآن . . وأين « روز » . وأين
« روث » و « وينفيلد » . . ؟!

أجاب الأب : ذهب « آل » إلى المدينة لبيع شيئاً . . وأخذ معه « روث »
و « وينفيلد » . . أما أختك روز فهي عند عائلة زوجها « كوني » . . فقد
تزوجت من « كوني » وهو شاب لطيف . . وهي الآن حامل في شهرها
الرابع !

وهنا قال « توم » : يبدو أن أشياء كثيرة قد حدثت أثناء غيابي . . وعلى
آية حال ، متى سترحل الأسرة إلى الغرب . . هل حددت موعداً للرحيل
يا أبى . . ؟!

قال الأب : نعم . . ربما نستطيع أن نرحل غداً أو بعد غد . . ولقد
أخبرني أحد الأشخاص بأن المسافة إلى كاليفورنيا حوالى ألفى ميل . .

وسأله « توم » : كم معك من النقود يا أبى . . فليس معى سوى
دولارين اثنين .

أجاب الأب : لقد قمنا ببيع بعض الأشياء . . وجمعنا مائتى دولار . .
دفعنا منها خمسة وسبعين دولاراً لشراء هذه السيارة القديمة . . ويجب أن

نتخلص من باقى الأشياء المكومة فى الفناء بيعها . . وفى هذه الحالة سيكون معنا حوالى مائة وخمسين دولارًا عندما نرحل .

وقال « توم » : سأذهب بالسيارة إلى المدينة لاحتضار « آل » والطفلين . .
لقد تعلمت قيادة السيارات أثناء فترة السجن !

* * *

وفى فترة بعد الظهر ، وصلت السيارة إلى فناء البيت ، وكان « توم » يقودها ويجلس « آل » بجانبه فى كابينة السيارة ، وعلى ظهرها ، كانت تجلس « روزا » مع زوجها « كونى » . . و « روث » التى تبلغ الثانية عشرة . . و « وينفيلد » الذى يبلغ العاشرة .

كان « توم » و « آل » يشعران بشىء من الحزن لأنها باعا الأشياء التى عرضاها للبيع مقابل ثمانية عشر دولارًا ، فى حين أن هذه الأشياء كانت تساوى أكثر من ذلك ، ولكن الحاجة الملحة للنقود جعلتها يقبلان بيعها بهذا الثمن الرخيص .

تجمع جميع أفراد الأسرة بجوار السيارة . . وقال الأب : أرجو أن تعلموا أن كل ما لدينا من نقود هو مائة وخمسون دولارًا . . وأن « آل » يقول إن السيارة فى حاجة إلى إطارات جديدة لا بد أن نشتريها . . وعلى أية حال ، فإن علينا أن نستعد فورًا للرحيل . . فهم يقولون إن المسافة إلى كاليفورنيا تبلغ نحو ألفى ميل . . فيا له من طريق طويل !

وهكذا بدأ الجميع فى احتضار كل ما كانوا يحتاجونه من أدوات وآلات

ومراتب وبطاطين مهترئة . . وأوانى وأطباق . . وكل شيء آخر يمكن أن ينفعهم أثناء تلك الرحلة الطويلة . . وقاموا بترتيب هذه الأشياء كلها في صندوق السيارة ، ووضعوا فوقها المراتب وغطوها بمشمع كبير . . وكانت الأم قد أعدت بعض الطعام لتتناوله الأسرة أثناء السفر .

وجلست الأم والجددة في كابينة السيارة بجوار « آل » بينما ركب الجد والأب ، وروزا وزوجها كوني ، وروث ، ووينفيلد ، وتوم ، والواعظ كاسي ، وجلسوا جميعاً فوق الحمولة . . وبدأت السيارة في التحرك عبر الطريق المترب ، متجهة إلى الطريق السريع المؤدى إلى الغرب . . وقال « آل » وهو يقود السيارة في بداية تلك الرحلة : يا لها من حمولة ثقيلة . . ويا له من طريق طويل . . !!



وظلت السيارة تمضى ببطء بحمولتها الثقيلة في الاتجاه غرباً نحو الطريق السريع . . وبازدياد حرارة الشمس ، بدأ البخار يتصاعد من مبرد السيارة بسبب غليان الماء . . وعندما اقتربوا من أحد الأكواخ رأوا أمامه مضختين للبترول وصنبوراً للمياه ، فتوقف « آل » بجانب خرطوم الصنبور . . وعلى الفور خرج من الكوخ رجل سمين سألهم بغضب : هل تنوون شراء أى شيء . . أم انكم تريدون الحصول على الماء بدون مقابل . . هل معكم نقود . . ؟ !

أجابه « آل » : نعم . . معنا نقود . . ونحن في حاجة إلى وقود .

فقال الرجل : إذن يمكنكم استخدام الصنبور . . إن هذا الطريق

أصبح مزدحمًا بالبشر .. الذين يريدون الحصول على الماء دون أن يشتروا شيئًا .. لا أدري ماذا جرى لهؤلاء الناس .. كل يوم تمر هنا خمسون أو ستون سيارة وكلهم يتجهون نحو الغرب .. لماذا .. ؟!

فأجابه « توم » : إنهم يفعلون ما نفعله نحن الآن .. يبحثون عن عمل ومكان يعيشون فيه .

وبعد أن تم تزويد السيارة بالوقود والماء .. تولى « توم » قيادة السيارة بدلاً من « آل » .. إلى أن وصلوا أخيراً إلى الطريق رقم ٦٦ وهو طريق الغرب السريع .. فقال توم : سنظل نسير على هذا الطريق طوال الرحلة حتى نصل إلى كاليفورنيا .

وعندئذ قالت الأم : ينبغي أن نجد مكاناً نتوقف فيه قبل غروب الشمس حتى أتمكن من عمل الخبز وطهي بعض الطعام !

وعلى جانب الطريق شاهدوا سيارة قديمة واقفة وبجوارها خيمة صغيرة ويتصاعد الدخان من موقد مجاور للخيمة . وكان غطاء محرك السيارة مفتوحاً ويبدو أنها كانت معطلة .. فتوقف « توم » بجوار تلك السيارة وسأل صاحبها : هل يمكن التوقف بجانبكم أثناء الليل .. ؟

أجاب صاحب السيارة : بكل سرور ! .. ثم نادى على زوجته التي كانت موجودة بداخل الخيمة قائلاً : سارى .. تعالى .. هناك بعض الضيوف ! .. فخرجت من الخيمة امرأة نحيفة قالت بصوت جميل : أهلاً بكم .. أيها الناس الطيبون !



ركن « توم » السيارة خلف السيارة الأخرى . . وهبط جميع من كانوا في السيارة . . وبدأت الأم تعمل بهمة . . وقالت للأطفال : إذهبوا لتجمعوا بعض الأخشاب لنشعل بها نارًا لطهى الطعام .

وسأل « آل » صاحب السيارة الأخرى : يبدو أن سيارتكم قد تعطلت . . وسأحاول إصلاحها . .

وفجأة . . بدأ الجد فى البكاء . . فاندفعت إليه الأم واحاطته بذراعيها . . وقالت « سارى » : يبدو انه تعب . . أدخلوه إلى خيمتنا حتى يستريح . وقامت الأم بمساعدة الجد فى الدخول إلى الخيمة . . وبعد أن خرجت ، نظرت إلى « كاسى » وقالت : الجد مريض . . مريض جدًا . . تعال وساعده بصلاتك !

وعندما دخل « كاسى » إلى الخيمة وبدأ صلاته . . كان الجد يتنفس بصعوبة فى لحظاته الأخيرة . . وانتفض جسده مرة واحدة . وواصل « كاسى » صلاته . . وهنا قال الأب : يجب أن نفكر فيما سنفعله . . فليس معنا سوى مائة وخمسين دولارًا لدفنه . . ولذلك فيجب أن ندفنه هنا . . ونكتب بياناته فى ورقة نضعها فى زجاجة ندفنها معه !

اقتنع الجميع بهذا رأى . . وأحضر الرجال أدوات الحفر . . وقامت الأم بغسل الجثة وإعدادها للدفن . . ووقفت العائلتان - عائلة « جوود » وعائلة « ويلسون » - حول القبر . . وألقى « كاسى » موعظة قصيرة .

ثم قام « توم » و « آل » بإصلاح سيارة « ويلسون » . . وقال « توم » :

إن حمولة سيارتنا زائدة في حين أن سيارة « ويلسون » ليست كذلك . .
ويمكننا أن نوزع الركاب على السيارتين . . على أن تسير السيارتان معًا طوال
بقية الرحلة .

وهنا قال « ويلسون » : ليس معى سوى ثلاثين دولارًا . . ولا نريد أن
نكون عبئًا عليكم .

فقالت الأم : لن تكونا عبئًا علينا . . لقد ساعدتمونا عندما مات الجد
. . سوف نواصل الرحلة معًا . . والآن هيا لكى ننام قليلاً !



في الصباح الباكر ، انطلقت السيارتان تحملان عائلة « جوود » وعائلة
« ويلسون » . . واجتازوا حدود ولاية أوكلاهوما ، ودخلوا إلى ولاية تكساس
. . وأصبح الطريق السريع مأواهم ، فغيروا أسلوب حياتهم . . وكانوا
يقطعون المسافات الشاسعة حتى خرجوا من ولاية تكساس ودخلوا إلى ولاية
نيومكسيكو بجبالها العالية .

كان « آل » يقود سيارة عائلة « ويلسون » . . ولاحظ وجود صوت فرقة
بدأ يصدر من المحرك . . فأبطأ سرعة السيارة وأعطى إشارة للسيارة الأخرى
وتوقف إلى جانب الطريق . . فتوقفت السيارة النصف نقل التى كان يقودها
« توم » الذى تساءل عن سبب التوقف . فقال « آل » بعد أن أدار المحرك :
اسمع هذا الصوت . . انه عمود الإدارة . . أليس كذلك يا « توم » . . ؟ !

قال « توم » : هذا صحيح .

وقال « ويلسون » : هل ذلك أمر خطير .

قال « توم » : طبعًا . . فيجب أن نفك عمود الإدارة ، ونحصل على عمود جديد نقوم بتركيبه .

قال « ويلسون » : إنها غلطتى . . فسيارتى القديمة المتهالكة هذه هى السبب فى كل المتاعب . . وعليكم أن تواصلوا طريقكم وتتركونا هنا . . أنا و « سارى » !

لم يوافق أحد على ذلك . . وقام « آل » بقيادة السيارة النصف نقل متجهًا إلى أقرب مكان لشراء عمود جديد . . وقام « توم » و « كاسى » بفك عمود الإدارة انتظارًا لوصول العمود الجديد . . وعندما عاد « آل » قام بمساعدة «توم» بتركيب العمود الجديد وربط الصواميل . وعادت السيارتان إلى السير فى الطريق السريع حتى وصلتا إلى معسكر به بعض الخيام وتقف بجانبها بعض السيارات . فاستقبلهم صاحب المعسكر الذى كان يجلس على كرسى بجوار البوابة وقال : المبيت هنا سيكون بمقابل نصف دولار .

فقال « توم » : لن نبيت فى معسكر . . ولكننا سنبيت هنا على جانب الطريق .

فقال الرجل : هناك قانون فى هذه الولاية يمنع ذلك . . وستعرضون إلى مشاكل .

وقال « توم » : إننا لسنا فى نزهة . . وإنما نحن ذاهبون إلى البحث عن عمل فى كاليفورنيا !

وأثناء هذا الحديث ، كان هناك رجل يرتدى ملابس رثة ، وأخذ يضحك عندما سمع كلمة كاليفورنيا . . . وتدخل في الحديث قائلاً : إذن انتم ذاهبون إلى كاليفورنيا للبحث عن عمل . . أنا عائد من هناك بعد أن ذهبت مع أسرتي للبحث عن عمل . . إن أصحاب الأعمال هناك يستعبدون العمال ويعطونهم أقل الأجور . . ولا توجد أعمال كافية ليعمل فيها كل الوافدين إلى كاليفورنيا . . وهأنذا عائد إلى بلدي بعد أن تضررت جوعاً أنا وأسرتي . . لقد مات طفلاي وماتت زوجتي لأننا كنا لا نجد ما يكفينا من طعام . . وظللت ألهث لمدة عام كامل محاولاً العثور على أى عمل فلم أجد سوى الجوع والذل .

واستدار الرجل ذو الملابس الرثة بعد هذا الحديث المفاجئ . . ومشى ببطء إلى أن اختفى في الظلام . . وعاد الجميع إلى أماكنهم في السيارتين !



واصلوا الطريق باتجاه الغرب . . وعبروا جبال نيومكسيكو . . ووصلوا إلى منطقة أريزونا المرتفعة . وقادوا السيارتين طوال الليل . . وفي ضوء الفجر شاهدوا نهر كلورادو ، فتوقفوا جوار الشاطئ . وجلسوا فوق السيارتين . وقال الأب : ها قد وصلنا . . نحن الآن في كاليفورنيا !

فقال « توم » : مازالت الصحراء أمامنا . . علينا الآن أن نستريح ونحصل على ما يكفينا من الماء .

كان هناك رجل وابنه جالسين في مكان مجاور ، فتقدم إليهما الأب وسأل الرجل : هل ستذهبان إلى الغرب . . ؟

قال الرجل بأسى : لا . . لقد عدنا من هناك . . وسوف نعود إلى بلدنا . . فمن الأفضل أن نموت من الجوع وسط أناس نعرفهم . . بدلاً من أن نموت جوعاً في مكان أهله يكرهوننا كراهية لا تطاق ولا تحمل !

قال الأب : انت ثانى رجل يقول لنا مثل هذا الكلام . . ونريد أن نعرف المزيد !

وقال « توم » : ولكن . . لماذا يكره أهل الغرب الوافدين عليهم . . ؟ !

فقال الرجل : اذهب إلى هناك لتعرف بنفسك . . إن كاليفورنيا بلاد جميلة . . كلها بساتين وأعناب . . ولكنها ليست لكم . . لو انكم زرعتم قليلاً من القمح فسوف تتعرضون للسجن . . والناس هناك يكرهونك ويحتقرونك . . ويعتبرونك انساناً قذراً . . هناك ثلاثمائة من أهل بلدى يعيشون هناك عيشة الكلاب . . ولن يمكنك الحصول على عمل دائم . . وحتى إن حصلت على عمل مؤقت فسوف يعطونك أقل الأجور . . تصور أن ثمار البرتقال تملأ الأشجار . . ولكن الحراس المسلحين يقفون بالمرصاد وعلى استعداد لإطلاق النار عليك إذا لمست برتقالة واحدة . . إذهبوا إلى هناك لتروا كل شىء بأنفسكم !!

كان الجميع جالسين على الأرض تحت ظل الأشجار ، وكانت الجدة مستلقية على حشية والأم جالسة بجوارها ، ورأت الأم أحد رجال الشرطة يحمل سلاحاً ويتقدم نحوها ، وقال : هيا . . قوموا من هنا . . إذا بقيتم هنا فسوف آخذكم إلى السجن !

أخبرت الأم بقية الرجال بتهديد رجل الشرطة . . وطلبت منهم الاستعداد فوراً للرحيل . ولكن « ويلسون » قال : لا يمكننا أن نرحل معكم . . إن « سارى » مريضة ولا بد أن تستريح . . ولا يمكنها أن تعبر الصحراء وهى فى هذه الحالة . . وإذا كان رجل الشرطة سيقبض علينا . . فليقبض علينا .

والتفت « ويلسون » إلى « كاسى » وقال : « سارى » تريد أن تراك .

فقال الواعظ : هل أنت متأكد من ذلك ؟ !

وذهبت الأم مع الواعظ إلى حيث ترقد « سارى » وعادت بعد قليل ولم تقل شيئاً . . وكان الرجال قد حملوا الجدة بالمرتبة التى كانت ترقد عليها ووضعوها فوق السيارة . . وأخرج الأب بعض النقود من جيبه ، وأحضر بعض البطاطس واللحم وقال « لويلسون » : نريدك أن تأخذ هذا الطعام وهذه النقود .

فقال « ويلسون » : لا . . لن أفعل ذلك .

فأخذت الأم النقود من الأب ووضعت الطعام فوقها وقالت : إذا لم تأخذها فسوف يأخذها شخص آخر .

وهنا قال « توم » : علينا أن نرحل الآن فوراً . . فالساعة قاربت الرابعة . . وأمامنا مسافة طويلة حتى ينتهى من عبور الصحراء !

وصعد أفراد عائلة « جوود » إلى صندوق السيارة . . وجلست الأم على قمة الحمولة بجوار الجدة . . وجلس « توم » و « آل » والأب فى كابينة السيارة . . أما باقى أفراد العائلة فقد جلسوا فى صندوق السيارة .

وقام الجميع بتوديع « ويلسون » وزوجته وانطلقت بهم السيارة . . وفي آخر محطة لخدمة السيارات قبل الوصول إلى الصحراء ، قام « توم » بشراء زيت ووقود ، وملاً مبرد المحرك بالماء . . وتم على الإطارات . وانطلقت السيارة نحو الصحراء .

وكان هناك رجلان يعملان في هذه المحطة . . قال أحدهما للآخر : كيف سيعبر هؤلاء الأغبياء الصحراء بهذه السيارة المتهالكة . . إنهم ليسوا من البشر مثلنا . . فالبشر لا يمكن أن يقبلوا العيش في مثل هذه القذارة وهذا البؤس .

فقال الآخر : انهم لا يدركون خطورة عبور الصحراء على هذا النحو . . ولكن لماذا تأسف عليهم . . فليذهبوا إلى الجحيم !!



مالت الشمس إلى المغيب عندما بدأوا في عبور الصحراء . . فقد كان من المستحيل السير في تلك الصحراء أثناء النهار بشمسها الحارقة . . ومرت ساعات الليل والسيارة تنهب الطريق وسط الظلام . . وأحياناً كانت تمر بهم بعض السيارات المتجهة إلى الغرب . . أو بعض الشاحنات الضخمة المتجهة إلى الشرق بهديرها المزعج . . وعندما انتصف الليل كانوا قد وصلوا إلى نقطة التفتيش عند مدخل مدينة « داجاتا » . . وخرج أحد ضباط التفتيش ومعه كشاف وطلب انزال حمولة السيارة لكي يقوم بالتفتيش . . فسأله « توم » : لماذا تفتشون . . إننا لا نحمل أشياء ممنوعة ؟!

قال الضابط : أنه تفتيش زراعى . . لنرى إذا كان معكم أية خضراوات
أو حبوب . . هذه هى الأشياء الممنوعة .

وهنا نزلت الأم من صندوق السيارة وقالت للضابط : معنا يا سيدى
سيدة عجوز مريضة جدًا . . ولا بد من عرضها على طبيب فى أقرب فرصة
ممكنة . . إن حالتها سيئة . . سيئة جدًا !

وصعدت الأم إلى صندوق السيارة ، وكشفت عن وجه الجدة العجوز
حتى يراها الضابط . فقام الضابط بتوجيه ضوء الكشاف إلى وجه الجدة ،
وقال انها مريضة فعلاً . . ويمكنكم عرضها على أى طبيب فى المدينة التالية
. . مع السلامة !

وانطلقت السيارة بقيادة « توم » مرة أخرى إلى أن توقف عند مدخل
المدينة التالية ، وتوجه إلى صندوق السيارة . . ليسأل أمه عن حالة الجدة ،
فقالت الأم : إنها على ما يرام الآن . . هيا واصل القيادة حتى ننتهى من
عبور الصحراء .

وتولى « آل » قيادة السيارة بدلاً من « توم » . . وبدأ ضوء الفجر يعلو
فوق خط الأفق . . فشاهدوا جبال الغرب العالية . . ثم قاموا بتزويد
السيارة بالوقود والمياه . . ثم واصلوا السير عبر الجبال . . وهنا قال « توم »
بفرح : الحمد لله . . لقد عبرنا الصحراء . . !

وفجأة ، شاهدوا وادياً عظيماً تحتهم . . فتوقفت السيارة . . وصاح
«توم» : انظروا . . ها هى مزارع الكروم ومزارع الخوخ تمتد على طول الوادى

الفسيح . . لقد وصلنا إلى كاليفورنيا . . أين أمى لكى تشاهد هذا المنظر الجميل .

هبطت الأم من فوق صندوق السيارة وكانت متعبة ، ولكنها قالت :
شكراً لله . . لقد وصلت العائلة إلى هذا المكان .

وسألوها عن حالة الجدة فقالت بحزن : لقد ماتت الجدة . . قبل أن
نصل إلى نقطة التفتيش ليلة أمس . . لقد اتاحت لها الفرصة لكى تدفن في
أرض جميلة خضراء بدلاً من دفنها في رمال الصحراء . . هيا . . واصلوا
الطريق حتى نعرف أين سنقيم !

وقال « توم » : يجب أن نبحث عن مكان مكتب الصحة أينما وجد . .
فلا بد أن ندفن الجدة بشكل قانونى سليم .

وعادت السيارة إلى السير . . وهبطت من الطريق الجبلى فى اتجاه الوادى
الأخضر .



هناك مجموعة من الحقائق لا بد من معرفتها . . فقد كانت كاليفورنيا منذ
زمن بعيد مملوكة للمكسيكيين . . ثم جاء الأمريكيون وكلهم نهم وطمع فى
امتلاك الأرض والاستيلاء عليها بالقوة الغاشمة . . وبعد فترة من الزمن
نسى الأمريكيون طريقة استيلائهم على تلك الأراضى التى امتلكوها . .
واتجهت أطماعهم إلى حب المال . . فتحولوا إلى أصحاب محلات تجارية ثم

إلى رجال أعمال . . وأصبحوا لا يعرفون شيئاً عن الأراضي المملوكة لهم ولا المحاصيل التى تزرع فيها . .

وعندما فقد المزارعون الصغار أراضيهم فى ولايات كنساس وتكساس وأوكلاهوما ، نزع أكثر من مائتى ألف جائع ومشرّد إلى الغرب بحثاً عن عمل . . وازدادت أعدادهم فيما بعد . . وكان هؤلاء الوافدون الجدد يأملون فى الحصول على عمل ومأوى . . ولكنهم لم يجدوا سوى الكراهية والاحتقار . . وأصبحوا هم ومن يعولونهم من نساء وأطفال يتضورون من شدة الجوع والبؤس والضياع . . بينما كان ملاك الأراضي يعيشون مرفهين وتمتلى بطونهم بأفخر أنواع الطعام !

وكان أصحاب المحلات التجارية يكرهون هؤلاء الوافدين لعدم وجود نقود معهم يشترون بها شيئاً . . وهكذا فقد تم إجبار هؤلاء الوافدين البؤساء على العيش فى خيام خارج المدن . . وفى عشش مبنية من الكرتون والصفيح . . ومع ذلك فقد كان أهالى كاليفورنيا يخشونهم ويحرقون الخيام والعشش باعتبارها أماكن خطيرة تنتشر منها الأمراض .

وكان أهالى كاليفورنيا يخشون ظهور قائد أو زعيم يتولى قيادة وتحريض هؤلاء المئات من الآلاف من الوافدين حتى يثاروا لكرامتهم المهذرة ويحصلوا على حقوقهم الضائعة . . لذلك فقد كانوا يبذلون كل ما فى وسعهم لتحطيم وتفريق هؤلاء البؤساء من المهاجرين .



وصلت السيارة إلى مدينة « بيكرز فيلد » وتوجهت إلى مكتب الصحة ، حيث حمل الأب والأم جثمان الجدة ، وخرجوا بعد أن قاما باتخاذ إجراءات دفنها . وقالت الأم : هيا نواصل السير لنبحث عن عمل ومكان نستقر فيه ! وواصلوا السير حتى وجدوا معسكرًا عبارة عن مجموعة من الخيام وبعض عشش الكرتون والصفيح ، ويجوار كل خيمة أو عشة تقف سيارة قديمة . وعندئذ قالت الأم : هيا ننصب خيمتنا في هذا المكان .

وبعد أن أنهوا من نصب الخيمة . . رأى « توم » شابًا كان يقوم بمحاولة إصلاح سيارته ، فتقدم منه « توم » وسأله : ألا يوجد عمل هنا أو في أى مكان قريب ؟

فقال الشاب : لا . . لا توجد محاصيل في الوقت الحالى . . ولم يكن بعد موعد قطف العنب . . أو جمع القطن .

وقال « توم » : ولكن هناك إعلانًا يطلبون فيه ثمانمائة رجل لجمع المحاصيل .

فقال الشاب : يقولون إن ثلاثمائة ألف رجل جاءوا بناء على هذا الإعلان . . هذه هى طريقتهم فى الاستغلال . . لو إنك صاحب عمل وتقدم إليك شخص واحد فسوف تدفع له الأجر الذى يطلبه . . أما إذا تقدم إليك مائة رجل وكل منهم يعول أطفالاً ، فسوف يتقاتلون للحصول على العمل بأقل الأجور . . إن آخر عمل قمت به كانوا يدفعون لى خمسة عشر سنتًا فى الساعة .

قال « توم » : لكنى رأيت بعض المحاصيل قد نضجت تمامًا وحن قطفها وجمعها .

قال الشاب : هذا صحيح . . فقد نضج محصول الخوخ . . وهم فى حاجة إلى ثلاثمائة ألف رجل لمدة أسبوعين لجمع المحصول . . وبعد ذلك فلن يكونوا بحاجة إليك ويطردونك شر طردة . . ويبعدونك عن المنطقة .

قال « توم » غاضبًا : ولكن إذا قام العمال بالإضراب عن جمع الخوخ وتركوه حتى يفسد فأعتقد فى هذه الحالة أن أصحاب الأراضى سيدفعون الأجر المناسب .

قال الشاب : هذا صحيح . . ولكن عندما سمعوا أحد العمال وهو يتحدث بمثل هذا الكلام . . قبضوا عليه فورًا وأودعوه فى السجن .

فى ذلك الوقت كانت « روزا » جالسة بداخل الخيمة بجوار زوجها « كونى » الذى كان غاضبًا إلى أقصى حد وقال لها : لو كنت أعلم أن الأمور ستصبح بهذا القدر من السوء ما كنت قد جئت معكم إلى هنا . . ولبقيت فى بلدى وواصلت دراستى فى ميكانيكا الجرارات . . وكنت سأحصل على ثلاثة دولارات نظير قيادة جرار .

قالت « روزا » : لا تخزن يا « كونى » سوف تدرس هنا كيفية عمل وإصلاح أجهزة الراديو . . وسوف يكون لنا بيت قبل أن يأتى الطفل الذى أحمله فى بطنى !

وخرج « كوني » من الخيمة . . واستلقت « روزا » على ظهرها ، وبدأت في البكاء !

وكانت الأم قد أوقدت نارًا خارج الخيمة لتقوم بطهي بعض الطعام . . وفجأة تجمع حولها بعض أطفال الجيران لعلها تعطف عليهم بقطعة من اللحم أو بلقمة من الخبز . . وقالت لها إحدى البنات بأدب : أستطيع أن أساعدك يا سيدتي بتكسير بعض الأخشاب .

فسألتها الأم : أتودين أن ندعوك إلى الطعام . . ؟

فقالت البنت : نعم . . أرجوك ! . . لقد بقينا في كاليفورنيا منذ حوالي ستة شهور . . وكنا نعيش في معسكر الحكومة . وهو مكان نظيف به دورات مياه وحمامات ويمكنك غسل الملابس بهاء الصنابير . . كما يقام حفل موسيقى راقص مساء كل يوم سبت . . ولكن عائلتي تركت هذا المعسكر للبحث عن عمل . . وعندما عدنا إليه . . كان المعسكر ممتلئًا عن آخره !

وهنا تنهدت الأم وقالت لنفسها : لا بد أن نذهب إلى هذا المعسكر ونعيش هناك ! . . وطلبت الأم من « وينفيلد » أن يذهب لاستدعاء جميع أفراد الأسرة لتناول الطعام الذي أعدته الأم ووضعت في أطباق معدنية قامت بتوزيعها على أفاد أسرتها وهي تشعر بحرج لوجود الأطفال الذين يتطلعون إلى الطعام بشغف . . فقالت لهم : هذا هو وعاء الطهي . . وعليكم أن تحصلوا على ما تبقى فيه . .



وبعد أن انتهى « آل » من تناول الطعام ، قال لأخيه « توم » : هيا بنا لنساعد الشاب في إصلاح سيارته . . لقد علمت أن اسمه « فلويد » . وقام « آل » بتقديم « توم » إلى « فلويد » حيث قام الرجال الثلاثة بالتعاون في إصلاح السيارة . . وفي أثناء قيامهم بهذا العمل قال « فلويد » : سيكون هناك عمل في الشمال . . فقد حان الآن موعد جمع ثمار الكمثرى . . ومزارعها تبعد بنحو مائتى ميل من هنا .

فقال « توم » بأسى : كنت أتمنى أن نجد عملاً هنا . . ونستأجر بيتاً نقيم فيه .

فقال « فلويد » : هناك أشياء يجب أن تعرفها . . فلن تتاح لك فرصة الاستقرار في مكان ما . . فليس هناك عمل دائم .

وفي هذه اللحظة توقفت بجانبهم سيارة كبيرة جديدة نزل منها رجل قال لهم : أترغبون في العمل أيها الرجال . . نحن في حاجة لعدد كبير لجمع الفاكهة .

سأله « فلويد » : أين . . وكم تدفعون . . ؟

قال الرجل : في منطقة « تولير » وسيكون الأجر ثلاثين سنتاً في الساعة تقريباً . . ربما يزيد أو يقل قليلاً !

قال « فلويد » : لقد صدقت هذه الألعاب مزتين من قبل . . فقد يكون الواحد منهم في حاجة إلى ألف رجل ، فيجد أمامه خمسة آلاف رجل . . وعندئذ ينخفض الأجر إلى خمسة عشر سنتاً في الساعة . .

وهنا قام الرجل بالنداء على رجل الشرطة الذى كان جالسًا فى السيارة ،
فنزّل رجل متين البنيان يضع على صدره نجمة مأمور الشرطة ويتمنطق
بمسدس . . وأشار الرجل إلى « فلويد » وسأل المأمور : هل رأيت هذا
الشخص من قبل . . انه يتكلم مثل الشيوعيين الحمر ويثير القلاقل !

قال المأمور بقسوة : نعم . . رأيته من قبل وهو يقود تلك السيارة
المسروقة ! . . هيا أصدع يا رجل إلى السيارة فأنت مقبوض عليك !
وهنا تساءل « توم » : لماذا . . إنه لم يرتكب خطأ يحاسب عليه .

فقال المأمور : لو تكلمت أكثر من ذلك فسوف نقبض عليك أنت
الآخر . . فالزم الصمت .

وكان بعض الرجال قد تجمعوا ليروا ما يحدث ، فقال لهم المأمور : إن
هذا المعسكر قذر ولا بد أن نزيله فورًا . . وسوف نشعل فيه النار غدًا .

وعندما أمسك المأمور بذراع « فلويد » . . ضربه « فلويد » ضربة قوية
فى وجهه ، وفر هاربًا . . وعندما استدار المأمور وشرع فى الجرى خلفه ،
وضع « توم » قدمه فى طريقه فسقط المأمور على الأرض منكفئًا على وجهه .
وعلى الفور أخرج المأمور مسدسه وأطلق النار . . فصرخت إحدى النساء
بعد أن أصابت الرصاصة أصابعها .

وعندما استعد المأمور لإطلاق النار مرة ثانية . . ظهر « كاسى » فجأة
من بين الحشد المتجمع ، وركل المأمور فى رقبته . . وهنا أسرع الرجل

بالدخول إلى السيارة التي كان يركبها وانطلق هاربًا . . فالتقط « توم » مسدس المأمور ، وأفرغه من الرصاص ، وألقاه بين الشجيرات الكثيفة .

واقترب « كاسى » من « توم » وقال له : يجب أن تهرب من هنا . . فقد رآك المأمور وأنت تمد قدمك لتعرقله . . ولا تنسى أنك مازلت تحت المراقبة ، ولسوف يرسلونك إلى السجن .

وسمع الرجال المتجمعون صوت « سارينة » سيارة شرطة قادمة من بعيد ، فتفرق الرجال على الفور ودخلوا إلى خيامهم . ولم يبق منهم سوى « كاسى » و « آل » . فقال كاسى : هيا أدخل يا « آل » إلى خيمتكم .

فسأله « آل » : ولكن ماذا عنك أنت ؟

قال « كاسى » : لا بد أن يقع العقاب على أحد الأشخاص . . وأنا ليس لدى أطفال . . أما أنت فإذا وقعت فى مشاكل فسوف يكون من السهل العثور على « توم » ويرسلونه إلى السجن .

وظلت « سارينة » سيارة الشرطة تدوى حتى توقفت بجوار « كاسى » . . ونزل منها أربعة رجال بأسلحتهم . . وسأله أحدهم : ماذا يحدث هنا بحق الشيطان ؟!

قال « كاسى » بهدوء : لقد طرحت هذا المأمور أرضًا . . فقد كان يصرخ فينا وأصاب امرأة . . ولذلك فقد ضربته .

فقال أحد رجال الشرطة : هيا اركب السيارة . . أنت مقبوض عليك !

أفاق المأمور وأخذ يحملق في « كاسى » وقال : إن هذا الرجل لا يشبه
الشخص الذى ضربنى !

فقال « كاسى » : لا .. أنا الذى ضربته .. وسأذهب معكم دون
مشاكل .. ولكن أرجوكم أن تساعدوا المرأة المصابة !

* * *

عندما علم الأب بما فعله « كاسى » من أجلهم تساءل : ما الذى جعل
الواعظ يفعل كل هذا .. ؟

أجابه « توم » : كان دائماً يقول أنه يريد أن يفعل أى شىء فى مصلحتنا !
وكانت الشمس قد غابت وراء الأفق .. وكانت الأم قد انتهت من
تقشير بعض حبات البطاطس وبدأت فى تقطيعها وقلعها .. وبعجوار الأم
كانت تجلس « روزا » التى تتساءل فى حزن : أين « كونى » ؟ .. لا يجب أن
يتركنى وحدى هكذا !

وكان « توم » و « آل » يتحدثان بهدوء .. وقال « آل » : لقد سألت
« فلويد » عن موقع المعسكر الحكومى فقال إن علينا أن نتجه جنوباً حتى
نصل إلى الطريق السريع رقم ٩٩ ونسير فيه لمسافة إثنى عشر أو أربعة عشر
ميلاً حتى نصل إلى هذا المعسكر .

وقال « توم » مخاطباً أمه : لا بد أن نرحل من هنا .. لأنهم سيحرقون
المعسكر ويطردونا من هنا .

وهنا سألته « روزا » : هل رأيتهما « كوني » . . ؟

فأجابها « آل » : نعم . . لقد غادر المنطقة واتجه إلى الجنوب .

فسألته : وماذا قال لكما . . ؟

أجابها : قال إنه من الأفضل أن يبقى في بلده ليتعلم قيادة الجرارات .

وهنا تدخل الأب وقال : كوني لم يكن ذا نفع . . فلا فائدة ترجى منه . . لقد هرب ونحن لا نريده !

فقالت الأم على الفور : لا تقل ذلك . . إن « روزا » ستلد طفلاً . . وهذا الطفل ابن « كوني » . وبعد أن أكلوا البطاطس ، بدأوا في تحميل السيارة استعداداً للرحيل . . وبدأت السيارات الأخرى تغادر المكان واحدة بعد أخرى . ولكن « روزا » أعلنت أنها لن تغادر المكان إلا بعد عودة زوجها . . فمالت عليها الأم وساعدتها على النهوض وهي تقول : من المؤكد أنه سوف يعثر علينا . . فلا تقلقى !

وبعد أن أصبح الجميع بداخل السيارة . . بدأت في السير في اتجاه المعسكر الحكومي الموصوف . . ولكن بعد مسافة طويلة ، ظهر صف من الأضواء الحمراء يقطع الطريق ، فأبطأ « توم » سرعة السيارة ثم توقف . . واطيقت السيارة على الفور بمجموعة من الرجال المسلحين بالعضى والبنادق . وتقدم أحد هؤلاء الرجال وسألهم : إلى أين أنتم ذاهبون ؟

قال « توم » : نحن غرباء . . وسمعنا أن هناك عملاً في منطقة « تولير » .

قال الرجل : لقد أخطأتم الطريق . . فنحن لا نريد أى أحد من الغرباء
فى هذه المدينة . . ولا تعودوا إلى هنا إلا فى موسم جنى القطن . . هيا . .
عودوا من حيث جئتم !

فاستدار « توم » بالسيارة وعاد من نفس الطريق الذى جاء منه . وقال :
سأحاول أن ألفت من خارج المدينة دون أن ندخل إليها . . وسنبحث عن
طريق آخر إلى المعسكر الحكومى .

وبعد فترة ، عثروا على علامة من علامات الطرق مكتوب عليها رقم ٩٩
. . وهو رقم الطريق المؤدى إلى المعسكر الحكومى .



كان الظلام حالكا . . كان « توم » يقود السيارة ببطء ليتعرف على معالم
الطريق . . وعلى أضواء السيارة رأى سورا من الأسلاك وفى نهاية السور رأى
بوابة المعسكر . . فنزل « توم » من السيارة وقال للحارس : هل يوجد مكان
لنا فى المعسكر . . ؟

قال الحارس : كم عددكم . . ؟

قال « توم » : أنا وأبى وأمى وإخوتى « آل » و « روزا » و « روث »
و « وينفيلد » . . سبعة أفراد . . والأخيران طفلان .

قال الحارس : لا بأس . . من الممكن استقبالكم . . تحرك بالسيارة ثم
انحرف نحو اليمين . . وستجد نفسك فى المنطقة الصحية رقم (٤) .

تساءل « توم » : ما معنى المنطقة الصحية . . ؟

قال الحارس : يعنى أن بها حمامات ومراحيض وأحواض للغسيل !
وهنا تساءلت الأم : هل لديكم فعلاً أحواض للغسيل ومياه جارية
وصنابير . . ؟!

قال الحارس : نعم . . بكل تأكيد .

تنهدت الأم بعمق وقالت : الحمد لله !

وقاد « توم » السيارة إلى حيث استقبله أحد المشرفين الذى قام بتدوين
البيانات الخاصة بعائلة « جوود » . . ثم قال المشرف : الإقامة في هذا
المعسكر تتكلف دولاراً في الأسبوع . . وإذا لم يكن معكم نقود ، فيمكنكم
المساعدة في تنظيف المعسكر . . وغداً ستقابلون اللجنة التى سيخبركم
أعضاؤها بكل التعليمات المعمول بها في هذا المعسكر . . وفي مساء كل يوم
سبت يقام حفل موسيقى راقص يمكنكم الاشتراك فيه إذا أردتم . . واذهبوا
الآن إلى الخيمة الخالية الموجودة في آخر هذا الصف من الخيام .

واتجه « توم » بالسيارة إلى حيث توجد تلك الخيمة . . وأبلغ الجميع بتلك
الأخبار الطيبة . . واتجه الجميع إلى الأسرة للنوم حتى الصباح . . ولكن
«توم» كان قلقاً فاستيقظ عند طلوع الفجر . . وخرج يتمشى ، فرأى ناراً
مشتعلة في فرن قديم تجلس بجواره إحدى الفتيات منهمكة في إعداد طعام
الإفطار . . وتسللت إلى أنفه رائحة الخبز الطازج واللحم المشوى .

وحين تقدم « توم » نحو الفرن ، خرج من الخيمة المجاورة رجل كبير ومعه شاب . . وقال « لتوم » : صباح الخير . . هل تقبل دعوتنا لتناول الافطار معنا ؟

قبل « توم » تلك الدعوة الكريمة بكل سرور . . وقال الشاب : نحن نعمل منذ إثني عشر يومًا . . واستطعنا شراء ملابس جديدة . . كما أصبحنا نأكل طعامًا جيدًا . . لقد حان الآن موعد ذهابنا إلى العمل . . تعال معنا فربما نستطيع أن نجد لك عملاً .

وهكذا امتلأ قلب « توم » بالفرح . . وقال الرجل الكبير : إن مكان العمل ليس بعيدًا من هنا . . ويمكننا الوصول إليه سيرًا على الأقدام .

وعندما مر « توم » أمام خيمتهم رأى « روث » مستيقظة فقال لها : « روث » . . قولي لهم انني وجدت عملاً . . وقولي لأمي أنني تناولت إفطاري مع جيراننا !

ووصل الرجال الثلاثة إلى مكان العمل وهو مزرعة كبيرة للفاكهة . واستقبلهم هناك رجل ذو وجه أحمر . . قال له الرجل الكبير : صباح الخير يا مستر « توماس » . . معنا صديق . . أرجو أن تمنحه فرصة للعمل .

فقال الرجل ذو الوجه الأحمر : لا مانع . . ولكنكم لن تتقاضوا ثلاثين سنتًا في الساعة اعتبارًا من اليوم . . فقد قررت جمعية المزارعين مساء أمس تخفيض الأجر إلى خمسة وعشرين سنتًا في الساعة . . فهل تقبلون هذا التخفيض ؟

أطرق الرجال بوجوههم نحو الأرض وقالوا : نقبل !

ونظر « توماس » إلى ساعته وطلب من الرجال أن يبدأوا العمل فوراً بعد أن تناولوا المعاول والفؤوس . . وشرعوا في العمل بكل هممة .

وعندما استيقظت الأم لاحظت على الفور أن « توم » غير موجود ، فخرجت من الخيمة وشاهدت « روث » و « وينفيلد » . . فسألتهما عما إذا كانا قد شاهدا « توم » . . فأخبرتها « روث » بأنه قد وجد عملاً وخرج من المعسكر . . فاحتضنتها الأم وأخذت تقبلها وهي تقول : الحمد لله . . الشكر لله !

وقالت « روث » وهي تشير إلى مبنى الحمامات : لديهم هنا حمامات ودورات مياه وصنابير . . لقد ذهبت إلى هناك .

وانطلق الطفلان يلعبان . . بينما توجهت الأم إلى مبنى الحمامات . . ورأت دورات المياه على صف واحد . . وكل دورة لها باب . . وشاهدت الأحواض والأدشاش . . وكان كل شيء نظيفاً أبيض . . واتجهت إلى أحد الأحواض وفتحت الصنبور فتدفقت المياه الساخنة ، وفتحت صنبوراً آخر فتدفقت المياه الباردة . . فغسلت وجهها ويديها وبللت شعر رأسها بالماء . . وفجأة سمعت صوتاً غاضباً لرجل يقول لها : ما هذا الذي تفعلينه هنا؟ . . هذا المكان مخصص للرجال . . أما المكان المخصص للنساء ففي الجهة الأخرى .

اعتذرت الأم بأنها لم تكن تعلم ذلك . . لأنهم وصلوا إلى هذا المعسكر في منتصف ليلة أمس .

وعندما عادت الأم إلى خيمة العائلة أيقظت الأب و « آل » و « روزا » .. وطلبت من الجميع أن يذهبوا إلى الحمامات ليغتسلوا ويلبسوا أنظف ما لديهم من ملابس حتى يكونوا في استقبال اللجنة وهم في أحسن حالة .

وعندما عادت « روزا » من الحمام قامت بتصفيف شعرها وارتدت حذاء أسود وأفضل فستان لديها ، وجلست بجوار الأم وسألتها : هل تعتقدين أن «كونى» سيعود اليوم . . ؟

قالت الأم : ربما نعم ، وربما لا . . سوف يعود عندما يعود . . هيا نقوم بتنظيم الأسرة وتنظيف المكان قبل حضور أعضاء اللجنة .

وبعد فترة قصيرة حضر أعضاء اللجنة وقاموا باللازم . . وبعد انصرافهم قالت « روزا » : لقد أفهموني بأن في إمكاني أن أعمل بالتمريض ورعاية الأطفال بعد أن أتعلم . . وقالوا إن هناك ممرضة تحضر كل أسبوع لترشدني إلى ما يجب أن أفعله حتى يولد الطفل سليماً وقوياً . . وقالوا إن هناك طفلاً ولد في الأسبوع الماضي وأقاموا له حفلاً وزعوا فيها الكعك !

أما الأب « وآل » فقد ركبا السيارة وخرجا للبحث عن عمل . . ومرا على معظم المزارع القريبة حيث علقت على بوابة كل مزرعة لافتة مكتوب عليها «لسنا في حاجة إلى عمال» . . فعادا يائسين إلى الخيمة . . ولكن الأم قالت لهما : لا داعي لليأس . . فقد عثر « توم » على عمل وسوف يعود هذا المساء . . والآن يا زوجي العزيز . . إذهب إلى محل البقالة واحضر لنا بعض

البقول والسكر وقطعة من اللحم والجزر . . فسوف أعدد للعائلة عشاء طيبًا
هذه الليلة !



ذات مساء ، اجتمعت عائلة « جوود » كلها بعد أن تناولوا طعام
العشاء . . وفجأة قالت الأم : لا بد أن نفعل شيئًا . . انظروا . . إن
« وينفيلد » مريض . . و « توم » عمل لمدة خمسة أيام فقط . . ولم يجد الأب
ولا « آل » أية فرصة للعمل . . وليس لدينا طعام إلا ما يكفى يومًا واحدًا
. . و « روزا » ليس لديها لبن ويجب أن تتغذى جيدًا . . وأنا لا أحب أن
أرى العائلة وهى تتضور جوعًا . . فماذا ستفعلون أمام كل هذا . . أليس
من الأفضل أن نرحل لنبحث عن أى عمل فى أى مكان آخر ؟ !

قال الأب : لكن هنا توجد حمامات ومياه ساخنة ودورات مياه !

فقالت الأم : إذا لم نأكل فلن نذهب إلى دورات المياه ! . لا بد أن نرحل
صباح الغد !

قال « آل » : لقد قال لى أحد الأشخاص إن محصول القطن فى منطقة
قرية من هنا تجاه الشمال ، قد نضج وحن وقت جنيه .
فقالت الأم : إذن علينا أن نرحل بمنتهى السرعة .

خرج « آل » من الخيمة وأخذ يتمشى ، ثم جلس فى مكان عند طرف
المعسكر . . وبعد دقائق قليلة ، جاءت فتاة شقراء جميلة الوجه وجلست

بجواره . وسرعان ما أخبرها بأن عائلته سترحل غدًا إلى الشمال للبحث عن عمل . . فسألته الفتاة : كيف ؟ . . لقد وعدتني بأننا سنتزوج قريبًا ؟ !

قال « آل » : ومازلت عند وعدى . . واعتقد أننا سنتغيب حوالى شهر !

وبعد الفجر بقليل فى صباح اليوم التالى ، قامت الأم بإيقاظ كل أفراد العائلة وقالت لهم : لا بد أن نرحل مبكرين . . ليس لدينا قهوة ولا إفطار سوى بعض البسكويت سنأكله فى الطريق . . هيا يا رجال . . قوموا فورًا بتحميل السيارة !

وبعد أن انتهى الرجال من تحميل السيارة ووضعوا المراتب فوق الحمولة . . قام « توم » بقيادة السيارة ببطء حتى خرجت من بوابة المعسكر . . ثم اتجه فورًا نحو الطريق رقم ٩٩ . . واستمر فى القيادة . . وقالت الأم التى كانت جالسة بجانبه : الشتاء أصبح على الأبواب . . وسمعت أن المطر يسقط بغزارة فى هذه المناطق . . ولا بد أن نقيم فى بيت حتى نتحاشى سقوط المطر .

وعلى جانب الطريق كانت تقف سيارة أطل منها رجل نادى على سيارة العائلة ، فتوقف « توم » بجواره ، وقال الرجل : هل تبحثون عن عمل ؟

قال « توم » : نعم يا سيدى .

وتساءل الرجل : هل يمكنكم جمع الخوخ ؟

قال « توم » يمكننا جمع أى شىء يا سيدى .

قال الرجل : هناك فرصة عمل لكم جميعًا . . عليك أن تسير حوالى أربعين ميلاً نحو الشمال حتى تصل إلى « بيكسلى » . . ثم انحرف شرقاً لمسافة ستة أميال . . واسأل هناك عن مزرعة « هوبر » . . وهناك ستجد عملاً كثيراً .

وقام « توم » بتقديم الشكر لهذا الرجل . . وقاد السيارة عبر الحقول . . وقالت الأم : لو وفقتم في الحصول على عمل في هذا اليوم ، فباستطاعتنا أن نشترى بالأجل بعضاً من البن والدقيق واللحم والصابون واللبن . . يجب الحصول على اللبن من أجل « روزا » .

وعندما وصلوا إلى « بيكسلى » اتجه « توم » شرقاً عبر طريق ضيق . وبعد فترة شاهدوا بعض السيارات الواقفة على جانب الطريق . واستوقفهم أحد رجال الشرطة وسألهم : إلى أين أنتم ذاهبون ؟

قال « آل » : نحن نبحث عن عمل في جمع الخوخ !

فقال رجل الشرطة : هيا . . انضموا إلى هذه السيارات وسيروا معاً حتى تصلوا إلى معسكر جمع الخوخ .

كان هذا المعسكر يتكون من خمسين وحدة سكنية أشبه بالصناديق ، لكل منها باب ونافذة . وهناك خزان للمياه على طرف المعسكر ، وبجانبه محل صغير للبقالة .

واستقبلهم أحد المشرفين وأخبرهم بأنهم سيقمون في البيت رقم ٦٣ . . كما أخبرهم بأن الأجر هو خمس سنتات مقابل كل صندوق . .

وعندما وصلوا إلى البيت رقم ٦٣ ، فتحت الأم الباب ، ودخلت . .
كانت الأرضية قدرة ، وكان البيت عبارة عن حجرة واحدة بها موقد قديم ولا
شيء غير ذلك .

وقام الرجال بتفريغ حمولة السيارة وإدخالها إلى البيت . . ثم جاء أحد
الكتبة وسأل : كم عدد الذين سيقومون بالعمل . . ؟

قال « توم » : ثلاثة رجال . . ولكن هل العمل صعب . . وهل يمكن
أن يشترك هذان الطفلان معنا . . ؟ !

أجاب الكاتب : إن العمل هو جمع ثمار الخوخ ووضعها في الصناديق
. . وهذا عمل يستطيع أن يقوم به أى شخص . . وسوف تحصلون على
خمس سنتات مقابل كل صندوق مملوء . . والآن تعالوا معى حتى أريككم
منطقة العمل !

وعندما وصلوا إلى هناك شاهدوا مجموعة كبيرة من العمال يقومون بجمع
ثمار الخوخ من فروع الأشجار ويضعونها في سلال ، ثم يقومون بتفريغ تلك
السلال في صناديق . . ثم يحملون تلك الصناديق إلى « الفراز » . . وقال
الكاتب قبل أن ينصرف : عليكم أن تجمعوا الثمار بعناية شديدة . . فنحن
لا نحسب الثمار الفاسدة ولا الثمار المخدوشة . . ها هي السلال . . وها
هي الصناديق . . هيا !!

انطلق الأب و « توم » و « آل » في جمع الثمار بسرعة . . وعندما أكمل
« توم » ملء صندوق . . حمله واتجه إلى « الفراز » . . فقال الفراز على الفور :

لا يمكن محاسبتك على هذا الصندوق .. فجميع الثمار مخدوشة لأنك قطفتها بسرعة وبدون عناية .. هيا اعمل بهدوء وعناية !

قال « توم » : حاضر يا سيدى ..

واتجه إلى كل من « آل » وأبيه وقال لهما : انهم لا يقبلون الثمار المخدوشة .. وعليكما قطف الثمار بعناية .. ووضعها فى السلال بعناية .. ثم وضعها فى الصناديق بعناية .

ثم جاءت الأم ومعها « روث » و « وينفيلد » واشتركوا فى جمع الثمار حتى ملأوا عشرين صندوقاً فى آخر النهار .. فحمل « توم » و « آل » هذه الصناديق وقدموها إلى الفراز الذى فحصها بعناية .. وقال « توم » : لقد ملأنا عشرين صندوقاً .. فهل يمكننا أن نشتري بالأجل مقابل الدولار الذى عملنا به ..

قال الفراز : طبعاً .. سوف أعطيك ورقة تشتري بها ما تحتاجه فى حدود دولار واحد .

أخذ « توم » الورقة وأعطائها لأمه لكى تذهب بها إلى محل البقالة لشراء ما تحتاجه الأسرة فى حدود دولار واحد . وسألته الأم بفرح : ماذا تريد أن تأكل؟

قال « توم » : لحم وخبز وكمية من البن للقهوة المحلاة بالسكر !
وذهبت الأم إلى محل البقالة .. وهناك فوجئت بأن أسعار جميع الأشياء

أعلى بكثير من أسعارها المعروفة . . فناقشت البقال في ذلك ، فاعترف لها بأن الأسعار مرتفعة فعلاً ، ولكنه لا يملك شيئاً في ذلك ، لأن الشركة هي التي حددت تلك الأسعار وعليه تنفيذ أوامر الشركة . . وهكذا قامت الأم بشراء بعض قطع من الهامبورجر والخبز والبن في حدود دولار واحد . ثم تذكرت السكر . . فقالت للبقال . . هل يمكنك أن تعطيني بعض السكر بما يعادل عشرة سنتات سأعطيها لك غداً فنحن نعمل في جمع الخوخ ومن المؤكد أننا سنحصل على أجر آخر غدا . .

قال البقال : لا أستطيع أن أعطى شيئاً دون الحصول على ثمنه فوراً . . إن ذلك يعرضني للمسئولية وربما يقبضون على !

ومع ذلك فقد أخرج البقال من جيبه عشرة سنتات ووضعها في الدرج وقام بوزن بعض السكر وأعطاه للأم التي اندهشت من هذا التصرف الكريم . وقالت للبقال : لقد علمتني درساً رائعاً . . وهو أنك إذا وقعت في ورطة أو كنت في حاجة إلى المساعدة . . فعليك أن تلجأ إلى الناس الفقراء ، فهم وحدهم الذين يقبلون مساعدة الفقراء من أمثالهم !!

وعندما عادت الأم إلى البيت ، شرعت على الفور في إيقاد الموقد وقامت باعداد الطعام ... ثم قامت بتوزيع الطعام في الأطباق . . كل طبق يحتوي على قطعتين من الهامبورجر وحبّة من البطاطس ، وثلاث شرائح من الخبز . وبدأ الجميع يأكلون في صمت . ولكن « توم » قال : هل لديك المزيد من الطعام يا أمي . . فأنا ما زلت جائعاً . . ؟!

قالت الأم : هذا كل شيء استطعت شراءه مقابل الدولار الواحد . .
فالأسعار هنا مرتفعة جدًا . . وغدًا سنعمل يومًا كاملاً . . وسيكون في
استطاعتنا أن نحصل على المزيد من الطعام !

* * *

بعد أن تناول « توم » طعامه القليل ، خرج ليمشي عبر الحقول حتى
وصل إلى سور المزرعة المصنوع من السلك ، فتسلل من تحته حتى أصبح في
الطريق العام . . وكان هناك جسر حجري فوق مجرى مائي صغير ، وأسفل
الجسر رأى خيمة بداخلها فانوس مضيء . . اقترب « توم » من الخيمة
فخرج رجل يسأل : من هناك . . ؟ فقال « توم » : أنا مجرد عابر سبيل . . !

كانت هناك مفاجأة غير متوقعة . . فقد تعرف « توم » على « كاسي » . .
كما تعرف « كاسي » على « توم » . . فاحتضنا بعضهما . . وأخذ « كاسي »
إلى داخل الخيمة حيث يجلس ثلاثة رجال آخرين . . قال لهم « كاسي » هذا
هو « توم جوود » الذي حدثتكم عنه . . ثم سأله « كاسي » عن أحواله
وأحوال عائلته . . فشرح له « توم » باختصار ، انهم يعملون في جمع الخوخ
مقابل خمس سنتات للصندوق ولكنه مبلغ غير كبير ويكفى بالكاد لطعام
متواضع يأكله الإنسان .

وبعد فترة صمت قصيرة قال « كاسي » : اسمع يا « توم » . . لقد جئنا
نحن أيضًا مع مجموعة كبيرة من الرجال لنعمل في جمع الخوخ مقابل خمس
سنتات للصندوق . . ولكن أصحاب العمل خفضوا هذا الأجر إلى سنتين

ونصف .. فقررنا الإضراب عن العمل .. فأحضروا لنا الشرطة وطرّدونا خارج المعسكر .. ولكن لو كان بقية العمال أضربوا مثلنا لاضطر أصحاب العمل إلى إعطائنا خمس سنتات للصندوق خوفاً من فساد المحصول على أشجاره .. والآن « يا توم » عليك أن تحكى هذا الموقف للعمال الآخرين .. وحرّضهم على الإضراب عن العمل .. هذه هى الطريقة المثلى للتعامل مع هؤلاء الطماعين الذين تجردوا من أى إحساس إنسانى ! .. وتأكد « يا توم » ان الدور سيأتى عليكم غداً .. ولن يدفعوا لكم سوى سنتين ونصف لكل صندوق .

ولكن « توم » قال : إنهم مازالوا يدفعون خمس سنتات للصندوق .. فلن يستمع أحد لكلامى .. لقد كدنا نموت جوعاً .. أما الآن فنحن نأكل لحماً .. وروزا أختى فى حاجة إلى لبن .. ولن تقبل أُمى أن تضحى بجنين ابنتها من أجل بعض أشخاص يتصايحون وينادون بالإضراب عن العمل .

وفى تلك اللحظة سمع الرجال أصوات رجال آخرين قادمين نحو الخيمة وهم يحملون كشافاً له ضوء مبهر يعمى البصر .. وصاح أحد هؤلاء القادمين : ها هم هناك !

وخرج « توم » و « كاسى » والرجال الثلاثة من الخيمة .. وتقدم رجل قصير قوى البنية ويحمل عصا غليظة نحو « كاسى » وهو يشير إليه قائلاً : ها هو ذا المحرض على الإضراب !

ورفع الرجل عصاه الغليظة ووجه ضربة قوية شجّت رأس « كاسى » الذى سقط على الأرض فاقد النطق . . ولم يحتمل « توم » رؤية هذا المنظر ، فانقض على الرجل القصير وخطف منه العصا الغليظة ، وانهاه بها على رأس الرجل القصير فسقط هو الآخر على الأرض فاقد النطق . . ثم فوجئ « توم » بضربات قوية تنهال على وجهه فانطلق يعدو هاربًا قبل أن يتمكن الرجال المهاجمون من قتله .

وأخذ يجرى بكل ما يستطيعه من سرعة حتى وصل إلى سور المزرعة فتسلل إلى داخلها . . وكان أنفه متورمًا والدماء تتدفق من ذقنه . . فاستلقى على بطنه وغسل وجهه ببعض الماء المتجمع فى حفرة . . ثم قام واتجه نحو البيت . . فوجد الأم مازالت سهرانة . . وفوجئت برؤية وجه « توم » المتورم والدماء التى مازالت تنزف من جرح بذقنه ، فسألته الأم : ماذا حدث لك يا « توم » . . ؟!

استيقظ الجميع ، وشرح لهم « توم » ما حدث فقال وهو يعانى من شدة الألم : لقد عثرت على « كاسى » وعلمت أنه تزعم الدعوة إلى الاضراب عن العمل بعد أن خفضوا الأجر إلى سنتين ونصف . . فجاء بعض الرجال وقتلوه . . فجن جنونى . . وأمسكت العصا التى قتل بها « كاسى » وضربت من قتله حتى سقط على الأرض ولا أدري إن مات أو لم يموت . . وأنا اعتقد انهم سيدفعون سنتين ونصف للصندوق اعتبارًا من اليوم . . خصوصًا بعد مجيء مجموعة من العمال يطلبون العمل بأى ثمن .

قامت الأم وغمرت قطعة من القماش في الماء الساخن وطلبت من «توم» أن يضع تلك الكمادة على وجهه . . ثم طلبت من جميع أفراد العائلة أن يقولوا إن «توم» مريض إذا سأل أحد عنه .

وقال «توم» : لا بد أن أهرب . . فأنا لا أريد أن أتسبب لكم في مشاكل .

فقالت الأم بغضب : لن تهرب يا «توم» . . العائلة هكذا ستتفسخ . . و «روزا» ستلد طفلها . . ونحن في حاجة إليك لتساعدنا على ما نحن فيه . . وسوف نذهب الآن للعمل حتى نحصل على بعض النقود .

وخرج جميع أفراد العائلة للعمل فيما عدا «روزا» التي قالت «لتوم» : لقد قتلت شخصاً . . وهذا هو ثانى شخص تقتله . .

فقال «توم» : لا ترفعى صوتك . . أتريدين أن يحضر أحدهم إلى هنا ليقبض على . . ١٩

قالت «روزا» بصوت مرتفع : وماذا يهمنى في ذلك ١٩ . . يا للظروف السيئة التي سألد فيها طفلي ! . . لقد رحل زوجي «كوني» . . ولا أتغذى جيداً . . ولا أجد لبناً أشربه . . ثم تأتي أنت الآن وتقتل رجلاً آخر ! . . أنا لا أريد أن أرى وجهك !!

وغطت رأسها بملاءة وأخذت تبكى .

* * *

قبل حلول المساء عادت الأم والأب و « آل » . . فسألهم « توم » : هل خفضوا الأجر كما كنت أتوقع . . ؟ !

قال الأب : نعم خفضوه إلى سنتين ونصف !

وقالت الأم : لا بد أن نرحل من هذا المكان . . لا بد أن نرحل ! سأعد لكم عصيدة من دقيق الذرة !

وفجأة دخلت « روث » وقالت بصوت متقطع : ماما . . « وينفيلد » مريض جدًا . . لونه شاحب وسقط على الأرض . . لقد ظل يأكل الخوخ طوال اليوم !

أسرعت الأم وهي تجرى بصعوبة مع ابنتها الصغيرة . . وحملت « وينفيلد » بين ذراعيها وعادت إلى البيت وأرقدته فوق إحدى المراتب . . وقال « توم » إن الولد جائع . . ولا بد أن يشرب بعض اللبن حتى يسترد قواه . .

فسألت الأم زوجها : كم حصلنا من نقود في هذا اليوم . . ؟

أجاب الأب : دولار وخمسة وأربعين سنتًا .

فقالت الأم : إذن . . إذهب إلى محل البقالة واحضر علبة لبن «لوينفيلد» .

وعندما عاد الأب بعلبة اللبن ، ملأت الأم كوبًا وناولته «لوينفيلد» الذي قال انه لا يستطيع أن يشربه حتى لا يتقيأ . وهنا قالت « روزا » : أنا لم أشرب لبنًا منذ فترة . . يجب أن أشرب هذا اللبن !

فقالت الأم : لا . . انك لست مريضة مثل هذا الولد ! . . والآن علينا أن نقوم بتحميل السيارة حتى نرحل في الصباح الباكر .

قال «توم» : ارحلوا أنتم . . أما أنا فسوف أبحث عن مكان أختبئ فيه .

قالت الأم : قلت لك من قبل انك ستكون معنا في جميع الأحوال . . وعندما نقوم بتحميل السيارة فسوف نضع مرتبة على أرضية الصندوق لترقد عليها وسنضع بقية المراتب فوقك لنخفيك عن الأنظار وسوف نترك مسافة لكي تستطيع التنفس . . هذا ما سوف نفعله ولا جدال في ذلك !

وهذا ما فعلوه فعلاً . . ثم ركب الجميع في أماكنهم بالسيارة . . وبدأ «آل» في قيادتها ببطء حتى وصل إلى بوابة المعسكر ، فسألهم الحارس : هل سترحلوا الآن ؟ . . وأجابه «آل» : نعم . . فقد حصلنا على عمل بأجر معقول .

وانطلقت السيارة في الطريق السريع رقم ١٠١ وهو الطريق الذي يربط الجنوب بالشمال . . ثم انحرفت بعد ذلك إلى طريق فرعى توجد على جانبيه حقول القطن . وشاهد «آل» لافتة مكتوب عليها «مطلوب عمل لجنى القطن» . . وعلى جانب الطريق كانت هناك مجموعة من الحاويات مدهونة باللون الأحمر . . وتعيش بداخلها عائلات العمال الذين يعملون في جنى القطن . وعندما توقفت السيارة بجوار إحدى الحاويات الخالية قال «توم» : يمكنكم أن تسكنوا في هذه الحاوية أما أنا فسوف اختفى بداخل هذه الشجيرات الكثيفة الموجودة بالقرب منكم . . وأثناء الليل يمكنكم أن تحضروا إلى شيئاً آكله !

وأخذ « توم » بطانية قديمة ليتلحف بها وقال للجميع : تصبحوا على خير!

وقالت الأم : لا شك أن هذه الحاوية ذات سقف يحمينا من المطر !



كانت عائلة « جوود » محظوظة فقد حصلت على عمل فى جنى القطن وفر لهم بعض النقود ، كما حصلوا على مأوى بداخل إحدى الحاويات . . . حيث كانت كل حاوية مقسمة بداخلها إلى قسمين متساويين تفصلهما ملاءة مفرودة فى المنتصف . . . وكانت هناك عائلة أخرى تعيش فى النصف الثانى من الحاوية هى « عائلة وينرايت » التى تتكون منه ومن زوجته وابنة فى السادسة عشرة من عمرها اسمها « آجى » .

وفى أول يوم سبت توجهت عائلة « جوود » إلى المدينة حيث اشتروا بعض الملابس وموقدًا صغيرًا . . . وفى مساء كل يوم ، بعد أن يعود أفراد العائلة من العمل كانت الأم تقوم بإعداد عشاء من اللحم والخبز الطازج .

وفى إحدى الأمسيات ، جاء « وينفيلد » وقال لأمه : ماما . . . لقد تكلمت « روث » عن موضوع « توم » المختبئ . . . حين تشاجرت مع إحدى الفتيات . . . فقالت « روث » إنها ستحضر أخاها الأكبر « توم » الذى قتل رجلين . . . وهو على استعداد أن يقتل أفراد عائلة تلك الفتاة كلهم !

صعقت الأم لدى سماعها هذا الكلام . . . وفى تلك اللحظة جاءت « روث » وكأبت الدماء تقطر من أنفها بسبب الشجار مع الفتاة الأخرى ،

وألقت بنفسها فى أحضان أمها وبدأت فى البكاء . . وقالت لها الأم : انك لم تدركى خطورة ما قلتيه لتلك الفتاة عن أخيك « توم » . . ولكن علينا أن نتصرف الآن بحكمة .

وتناولت الأم أحد أطباق الطعام وغطته بقطعة من ورق الجرائد ، وخرجت من البيت وأخذت طريقها إلى حيث يختبئ « توم » . . واستقبلها « توم » بعد أن خرج من مخبئه وشكرها على رعايتها له . . وعندما بدأ فى أكل الطعام قالت له الأم : « توم » . . لقد حدثت مشكلة . . لقد تشاجرت « روث » مع إحدى الفتيات . . وحكت كل شىء عنك . . وعن سر اختبائك لأنك قتلت رجلين . . ويجب أن ترحل من هذا المكان فوراً . . ولكن أخبرنى عن جرحك وهل التأم الآن . . إنى أرى أن أنفك مازال متورماً . . !

قال « توم » : ربما كان ذلك فى صالحى . . فسوف لا يتعرف على أحد! وواصلت الأم كلامها : لا بد أن ترحل يا « توم » فى أسرع وقت ممكن . . وقد أحضرت لك سبعة دولارات حتى يمكنك أن تتركب الأتوبيس لترحل إلى مكان بعيد!

فقال « توم » : لن آخذ النقود يا أمى . . فأنتم أولى بها . . واعلمى ان أثناء وجودى فى هذا المخبأ وحيداً ، فكرت فيما كان يقوله « كاسى » ورأيت انه كان محقاً فى كل أقواله . . لا بد أن يتكاتف العمال معاً . . وسأدعوهم للعمل سوياً وأن يحافظوا على حقوقهم . . ولا بد أن يتكاتف الجميع لكى

يعودوا إلى زراعة أراضيهم التي طردوا منها . . سأقنع جميع أهاليها بأن نعود إلى بلدنا لنزرع أرضنا ونعيش في بيوتنا .

وقامت الأم بتوديع ولدها . . وكانت عيناها تترقرقان بدموع حبيسة . . وسارت في الطريق عائدة إلى البيت . . وفجأة ظهر رجل بجوارها وقال : مساء الخير . . يبدو أن السماء ستمطر !

قالت الأم : أرجو ألا يحدث ذلك . . لأن جنى القطن سيتوقف فور سقوط المطر . . ونحن نعمل في جنى القطن وسيتوقف عملنا بالتالي .

قال الرجل : وأنا أيضًا في حاجة إلى جنى القطن قبل سقوط الأمطار الغزيرة . . لدى عشرون هكتارًا مزروعة بالقطن . . وأنا في أشد الحاجة إلى عمال لجنى هذا المحصول .

قالت الأم : نحن خمسة عمال . . فهل يمكننا أن نعمل عندك . . ؟
قال الرجل : بكل سرور . . وسوف أعلق لافتة أطلب فيها عمالاً لجنى القطن .

وقالت الأم : سنكون عندك صباح الغد !

وعندما وصلت الأم إلى الحاوية ، رأت زوجها جالسًا مع « وينرايت » فأخبرتهما بموضوع الرجل الذي يبحث عن عمال لجنى القطن . . فسألها « وينرايت » : هل يمكن أن نعمل نحن أيضًا معكم في جنى القطن . . ؟

قالت الأم : بكل تأكيد . . فالرجل يبحث عن عمال آخرين . . ويمكنكم أن تركبوا السيارة معنا عندما نرحل صباح الغد .

وهنا قال الأب مخاطبًا زوجته : « وينرايت » لديه مشكلة . . كنا نتحدث فيها قبل مجيئك .

وأطرق « وينرايت » ببصره إلى الأرض وقال ببطء : ابتنا « آجىي » فتاة صغيرة عمرها ستة عشر عامًا . . وهى تتجول مع ابنكم « آل » طوال الليل . . وأخشى أن تكون قد وقعت فى مشكلة . . فماذا يحدث لو رحلتم أنتم أو رحلنا نحن . . ثم اكتشفنا أن « آجىي » فى ورطة . . إننا لا نود أن يلحق العار بعائلتنا !

قالت الأم : لن يلحق بكم أى عار بسببنا . . وسوف نتحدث مع « آل » فى هذا الشأن !

وعندما اطمأن « وينرايت » قام وذهب ناحية الستارة التى تفصل بين قسمى الحاوية وجلس مع زوجته . . وفى هذه اللحظة وصل « آل » فقالت له الأم : تعال يا « آل » واجلس بجانبنا . . لقد كنا نتحدث بخصوصك ! فقال « آل » : وأنا أيضًا أريد أن أتحدث معكم . . فسوف أرحل من هنا . . لقد اتفقنا أنا و « آجىي » على الزواج . . وسوف أحصل على عمل فى جراج ونستأجر بيتًا !!

قالت الأم : ونحن سعداء بقرارك يا « آل » . . فأنت الآن رجل ناضج وفى حاجة إلى زوجة . . ولكننا نرجوك أن تبقى معنا حتى الربيع . . فمن سيقود لنا السيارة . . ؟ !

وبطبيعة الحال ، فقد سمعت مسر « وينرايت » ما قاله « آل » لأمه وأبيه

.. عن اتفائه مع « آجىى » على الزواج .. لذلك فقد دخلت إلى القسم الذى تعيش فيه عائلة « جوود » وقالت : لقد سمعنا أن « آل » سىتزوج « آجىى » .. وهذا أمر يستحق أن نصنع كعكة !!

فقالآ الأم .. سأقوم أنا بصنع هذه الكعكة وسأصنع قهوة أيضًا !
فقالآ مسز « وىنراىآ » : لدينا سكر .. ىمكنك أن تستخدمىه ! ..
أما « آجىى » فسوف ترتدى فستانها الجديد .. وستكون معكم فى خلال دقىقة واحدة .



وبعد انتهاء هذا الحفل الذى فرحت به العائلآان .. ناموا جمىعًا حتى ىمكنهم الاستىقاظ فى البصباح الباكر .. وعندما استىقظوا .. أصرت « روزا » على الذهاب للعمل معهم .. بالرغم من أن الأم حاولآ منعها بسبب ظروفها الصحية وهى فى أواخر أيام الحمل .. وأمام هذا الاصرار من جانب « روزا » طلب منها الأم أن تأخذ معها بطانية تحمىها من لسعات البرد .

ودارت السىارة وهى تحمل عائلآى « جوود » و « وىنراىآ » واتجهآ فورًا إلى مزرعة القطن التى تقع على بعد مىلین .. وقالت الأم : سنكون أول من ىصل إلى هناك !

ولكن عندما وصلوا إلى المزرعة رأوا الساحة مليئة بالسىارات .. واستقبلهم صاحب المزرعة ودون اسماءهم فى دفتر ثم قال : الآن ىمكنكم البدء فى العمل .

وبالرغم من هبوب ريح عاتية شديدة . . وظهور سحب سوداء ثقيلة
محملة بالمطر الذى لم يبدأ فى السقوط . . واصل العمال جنى القطن بسرعة
يسابقون بها الزمن . . وفى الساعة الحادية عشرة كان حقل القطن قد اكتمل
جنيه . . ووقف العمال فى صف ليقبضوا أجورهم . . وعاد العمال إلى
سياراتهم فى صمت .

وما كادت عائلة « جوود » وعائلة « وينرايت » تصعدان إلى السيارة حتى
بدأ المطر فى السقوط بغزارة شديدة . . ولاحظت الأم أن « روزا » بدأت
ترتجف . . فصرحت الأم قائلة : اسرع يا « آل » . . إن « روزا » ترتجف . .
يبدو أنها أصيبت بنزلة برد . . ويجب أن تتدفأ وأن تضع قدميها فى ماء
ساخن !

وعندما وصلوا إلى الحاوية التى تعيش فيها العائلتان . . حاولت « روزا »
النزول من السيارة والسير غير أنها لم تستطع إلا بعد أن ساعدتها أمها ومسز
« وينرايت » التى قالت : يبدو أن ساعة وضعها قد حانت .

وطلبت الأم أن يجمع الرجال أكبر قدر من قطع الأخشاب للمدفأة . .
وجلس أفراد العائلتين حول نار المدفأة وهم يسمعون رخات المطر الغزير
وهى تضرب سقف الحاوية . وقالت « روزا » : غطينى يا أمى . . فأنا أشعر
ببرودة شديدة فى كل أنحاء جسمى .

فقامت الأم بتغطيتها بكل البطاطين الموجودة . . وقال الأب : يا إلهى
. . المطر اكتسح المنطقة كلها .

وبالفعل ظل المطر الغزير يهطل ساعة بعد ساعة دون انقطاع . .
وأخذت المياه تشكل بركاً صغيرة اختلط فيها الطين بمياه الأمطار . . وارتفع
منسوب المياه في المجرى المائى القريب وفاض على الجانبين وبدأت المياه في
الوصول إلى القواعد التى توجد عليها الحاويات . وقال الأب : لو ارتفع
منسوب المياه أكثر من ذلك فسوف تدخل المياه إلى الحاويات . . وسوف
نواجه مصيبة مؤكدة .

وهنا أطلقت « روزا » صرخة حادة . . أعقبتها صرخات أخرى . .
وامتلاً وجهها رعباً . . فنادت الأم على مسر « وينرايت » وقالت لها : انظرى
. . يبدو أن موعد ولادتها قد حل . . وربما تكون الحمى قد عجلت بموعد
الولادة !

وقالت الأم « لروزا » كى تشجعها : ستلدين طفلاً جميلاً . . هيا قومى
لكى تتمشى قليلاً بداخل الحاوية .

ولكن « روزا » لم تستطع السير سوى لبضع خطوات قليلة ، فأرقدوها
على مرتبة وهى تصرخ وتصرخ . . وأخيراً حل صمت . . لا يسمع فيه سوى
قطرات المطر وهى تتساقط باستمرار . . وارتفع منسوب المياه تحت السيارات
. . وحاول « آل » أن يدير المحرك دون جدوى . . فقد كان المحرك غارقاً فى
المياه . . واستطاعت بعض السيارات أن تدير محركاتها . . وعندما قادها
أصحابها غرزت عجلاتها فى الطين وعجزت عن الحركة .

وعندما تساءل الأب عما إذا كان الطفل قد ولد أم لا . . قالت له مسر

«وينرايت» وهى تشير إلى صندوق : إذا لم يتنفس الطفل . . فلن تكتب له الحياة!

* * *

قالت مسز « وينرايت » : إن وجود هذا الطفل الميت يسبب ألماً وحزناً لنا جميعاً . . فهل يمكنكم دفنه ؟!

قال الأب : أنت على صواب . . صحيح أن ذلك مخالف للقانون ولكنى سأفعله . .

وتناول الأب جاروفاً وناولته مسز « وينرايت » الصندوق . . وقام الأب بدفن الطفل فى مكان مرتفع جاف . . وبعد عودة الأب من تلك المهمة . . قالت له الأم : لا بد أن نرحل من هنا فقد ارتفعت المياه فى أرضية الحاوية .

وعندما استيقظت « روزا » من نومها سألتها الأم عن حالها ، فأخبرتها «روزا» بأنها متعبة جداً . . ثم سألت الأم عن مصير طفلها وهل هو على ما يرام . . فقالت الأم بصوت متقطع : سيمكنك إنجاب طفل آخر فى المستقبل . . لقد بذلنا كل ما فى وسعنا . . ولكن . . . !

وهنا أدركت « روزا » أن طفلها قد مات . . فغطت عينيها بذراعيها وانخرطت فى بكاء صامت .

وقالت الأم : لا بد أن نرحل . . فقد ارتفعت المياه فى أرضية الحاوية وأصبح من المستحيل البقاء فيها . . لا بد أن نرحل أنا و « روزا » و « روث »

و « وينفيلد » إلى مكان أعلى يكون جافا . . ولا أدري ماذا سيكون حال «روزا» لو استمر البرد والمطر وهى فى هذه الحالة من الضعف .

وطلبت الأم من الأب أن يساعد « روزا » على المشى حتى تصل إلى الطريق العام للبحث عن مكان جاف . . وقالت « لآل » : عليك أن تبقى هنا . . وسوف نعود عندما تنحسر مياه الأمطار وتصبح السيارة صالحة للسير.

كان المطر قد توقف قليلاً عندما وصلت الأم وأبناؤها إلى الطريق العام . . وبعد عدة خطوات بطيئة شاهدوا حظيرة صغيرة فوق أرض عالية فتوجهوا إليها . وفتحت الأم باب الحظيرة وقالت : شكراً لله . . هناك قش يمكننا أن نستريح فوقه . .

ولكن « وينفيلد » قال وهو يشير إلى ركن بالحظيرة : انظرى يا أمى . . هناك شخصان !

وتطلعت الأم إلى ركن الحظيرة فشاهدت رجلاً عجوزاً مستلقياً على ظهره وصبيًا يجلس بجواره . . ونهض الصبى واقفاً ببطء وسأل : هل أنتم أصحاب هذا المكان ؟!

فقالت الأم : لا . . لقد جئنا إلى هنا لكى نحتوى من المطر المنهمر بالخارج . . ومعنا فتاة مريضة . . هل لديكم بطانية جافة ؟!

ذهب الصبى إلى ركن آخر بالحظيرة وقدم بطانية قديمة قدرة . . فشكرته الأم على ذلك وسألته عن الرجل الراقد . . فقال الصبى : إنه أبى . . وهو

مريض جدًا . . يكاد يموت من شدة الجوع . . لأنه لم يأكل منذ ستة أيام!! . . سيموت أبى إذا لم يحصل على شيء قليل من اللبن . . !

وهنا تطوعت « روزا » بأن تسقيه لبنًا من صدرها . . وتمددت بجانب الرجل المريض الذى أخذ يهز رأسه من جانب إلى جانب . . وقالت له «روزا» : يمكنك أن ترضع من صدرى . . هيا إشرَب . . إشرَب !!

وأسندت رأسه بحنان . . وبدأ الرجل المريض فى الرضاعة . . !!



أنا سويل

الجمال الأسود

BLACK BEAUTY

ANNA SEWELL

أصبحت الآن حصانًا كبيرًا . . وحتى أحكى لكم قصتى كاملة . .
فسوف أبدؤها بذكرياتى عن أيام الطفولة حينما كنت مهرًا صغيرًا أرضع من
ثدى أمى لأنى كنت لا أستطيع أن آكل العشب . . وطوال النهار كنت
أجرب بجوار أمى . . وعندما يحل الليل ، كنت أنام بجانبها .

وكنا نعيش فى مزرعة بها أشجار خضراء كثيرة . . وكان بها أيضًا ستة
أمهر صغيرة أخرى كنت ألعب معهم ألعابًا ممتعة . . حيث نتبادل الركلات
والرفس أو نعض بعضنا . . وعندما شاهدتنى أمى وأنا أعض وأرفس ،
نادت على وقالت بحنان :

- لا تتعلم من الآن تلك العادات السيئة . . فلا تركل أو ترفس أو تعض
أحدًا . . !

كنت أحب أمى كثيرًا وأسمع كلامها وأطيع نصائحها . . وقد لاحظت
أن سيدنا صاحب المزرعة - وهو رجل طيب وحنون - يحنو كثيرًا على أمى
ويطلق عليها اسم « بيت » ويفضلها عن بقية الجياد الأخرى ، وهى التى
كانت تجر عربته عندما يذهب إلى السوق . . وكان كثيرًا ما يربت على

ظهرها ويسألها عن ابنها « بلاكى » . . وكان السيد يطلق على هذا الاسم بسبب لونه الأسود . .

وكان هناك صبي سيء الطباع اسمه « ديك » يأتى إلى المزرعة بين حين وآخر ليأكل من ثمار التوت حتى يشبع . . ثم يقوم بعد ذلك بإلقاء الحصى على الجياد الموجودة فى المزرعة . وفى يوم ما شاهده صاحب المزرعة وهو يقوم برميها بالحصى ، فأمسك به وشد أذنه وقال له : إنك ولد شرير . . هيا أخرج من المزرعة وإياك أن تحضر إلى هنا مرة أخرى .

وهكذا تخلصنا من هذا الصبي الشرير . . وقام السيد بتعيين السائس « دانيال » العجوز ليتولى خدمتنا ورعايتنا . . وكان هذا الرجل طيبًا عطوفًا علينا مثل السيد تمامًا .

● وعندما بلغت السنة الرابعة من عمري ، جاء شخص اسمه «سكوير جوردون» وأخذ يفحص فمى وأسنانى ، وعينى وسيقانى ، وشاهدنى وأنا أمشى ببطء ، ثم وأنا أجرى بسرعة ، وأعجب بى الرجل غاية الإعجاب ، ثم قال لسيدى : سوف يكون هذا الحصان الصغير على ما يرام بعد أن يتم ترويضه .

ولعلكم تعلمون أن ترويض أى حصان ليس بالأمر السهل . . فلا بد من تعليمه وتدريبه على استخدام السرج واللجام . . وكيف يحمل راكبًا يمتطى ظهره . . وكيف يجر عربة خفيفة أو عربة ثقيلة . . وكيف يمشى بالسرعة التى يرغبها الراكب أو قائد العربة . . وكيف يتعلم ألا يصهل أو يرفس أو يعض .

وقد تولى سيدى أمر ترويضى وتدريبى على كل ذلك ، وكان يعطينى بعض الحبوب كلما استجبت لأوامره وأطعته . . ومع ذلك فقد كنت أتألم كثيراً عندما كان سيدى يضع « الشكيمة » فى فمى . . وهذه الشكيمة كما تعرفون مصنوعة من المعدن ، وهى فى سمك الإصبع ، وتوضع بين فكى الحصان فوق لسانه ، وتثبت فى مكانها بأحزمة من الجلد تلف حول الرأس والأذنين وتحت الذقن حتى يصبح من المستحيل التخلص من ذلك الشيء الفظيع . . ومع ذلك فقد تحملت كل هذا العذاب لأنى رأيت أن كل الجياد تتحمل وجود تلك الشكيمة فى أفواهها .

ثم جاء الدور على الحدوات الحديدية التى لا بد أن توضع فى كل قدم من أقدامى . . فأخذنى سيدى إلى الحداد الذى بدأ بتقليم حوافرى ، ثم قام بتسمير الحدوات الحديدية الأربع فى أقدامى . . فشعرت بأن أقدامى أصبحت ثقيلة إلى حد ما ، ولكنى سرعان ما اعتدت عليها .

ثم أعطانى سيدى أجازة لمدة أسبوعين قضيتها فى حقل واسع قريب من خط السكة الحديد حيث تمر عليه القطارات بأقصى سرعة . وفى بداية الأمر كنت أفزع فزعاً شديداً كلما رأيت أو سمعت صوت القطار . . فكنت أجرى بأقصى سرعة بلا هدف . . ولكنى فى نهاية الأمر أصبحت لا أخاف من مرور القطارات بعد أن اعتدت عليها . . بل وأصبحت أضحك كثيراً عندما كنت أرى خيولاً أخرى يصيبها الفزع والذعر عندما كانت ترى قطاراً يمر .

وواصلت أُمى نصائحها لى بأن أحسن التصرف مع سيدى حتى يعاملنى معاملة حسنة . . وقالت لى أن هناك كثيراً من الرجال أغبياء وقساة القلوب

ويسيتون التعامل مع الجياد . . وأصابنى قولها هذا بكثير من الرعب ،
خوفاً من أن أكون فى يوم ما مملوكاً لأحد هؤلاء الرجال المستهترين الأشرار .

● وفى أحد الأيام علمت أن سيدى باعنى إلى السيد « سكوير
جوردون » الذى يعيش فى منطقة « بىرتويك بارك » . . وشعرت بالحزن
لفراق سيدى الذى ربت على ظهرى وقال برقة : وداعاً يا بلاكى . . وأرجو
أن تكون سعيداً مع سيدك الجديد .

كان السيد « سكوير جوردون » يعيش فى بيت واسع كبير ، وبه اسطبل
واسع له نافذة كبيرة تطل على فناء البيت . . وكان الاسطبل نظيفاً وجيد
التهوية . . ولاحظت وجود فرس صغير بجانبى . . كان ممتلىء الجسم ذا
شعر رمادى وله عرف وذيل كثيفان ، ورأس جميل وعينان جريئتان . .
وشعرت بالاطمئنان نحوه ، فتشجعت وسألته : ما اسمك يا عزيزى ؟!

قال بكثير من اللطف : اسمى « ميرى ليجز » . . وأنا فرس جميل كما
ترى . . وأتمتع بحب جميع أهل البيت . . وفى بعض الأحيان أقوم بجري
العربة الصغيرة الخاصة بسيدة البيت . . وفى أحيان أخرى تركب السيدات
الصغيرات على ظهرى . . هل ستعيش معنا فى هذا الاسطبل ؟

هزرت رأسى وقلت : نعم !

فقال « ميرى ليجز » :

.. أهلاً بك . . وأرجو أن تكون حسن الطباع ، فلا ترفس أو تعض !

وعندما انتهى حديثى مع ميرى ليجز على هذا النحو ، رأيت مهرة كبيرة

ذات شعر كستنائى اللون ، ترمقنى بعينين غاضبتين ، فحاولت التحدث إليها ، ولكنها لم تستجب ولم ترد .

وفى فترة بعد الظهر ، أوضح لى ميرى ليجز حكاية هذه المهرة فقال إن اسمها « جينجر » . . وأن السبب فى سوء طباعها هو أن ملاكها السابقين كانوا يعاملونها معاملة قاسية . . ولكنها منذ أن جاءت إلى هنا، أصبحت تلقى معاملة حسنة من السائس « جون » . . ويبدو أنها تحاول تغيير طباعها السيئة .

● لم يكن يغضبنى شىء سوى بقائى محبوسًا بداخل الاسطبل ليل نهار ، بالرغم من انهم كانوا يقدمون لنا طعامًا جيدًا . . إلا انى بدأت أشعر بأنى فقدت حريتى ، فلم أعد أرمح وأجرى كما كنت أفعل كل يوم حينما كنت أعيش فى مزرعة سيدى السابق . . وكان على أن أظل محبوسًا بالاسطبل طوال الأسبوع حتى يأتى يوم الأحد ، فيسمحوا لنا بالخروج من الاسطبل وأن نجرى ونرمح كيفما نشاء .

● وفى أحد أيام الآحاد ، سنحت لى الفرصة لكى أتحدث مع المهرة «جينجر» بينما كنا نقف أنا وهى تحت ظل شجرة يانعة . . وفى بداية الحديث سألتنى جينجر عن حياتى السابقة وعن الكيفية التى روضونى بها . . فحكيت لها كل شىء . .

وعندئذ قالت جينجر :

- كان من الممكن أن أكون مثلك لو كنت قد تلقيت هذه المعاملة الكريمة . . ولكن ظروفى كانت صعبة للغاية .

فسألتها : هل تثقين بى ؟ . . إذن أرجو أن تخبرينى بحكايتك !

وهكذا بدأت « جينجر » حكايتها فقالت إنهم انتزعوها من أمها حينما كانت صغيرة جدًا . . ووضعوها مع بعض الأمهر الصغيرة الأخرى دون أن يكون هناك أحد يرعاهم . . وكان هناك صبي صغير يتسلى بقذف الحصى والأحجار على الجياد الواقفة . .

وعندما أرادوا أن يروضوها قام بذلك بعض الرجال قساة القلوب الذين عاملوها بمنتهى الخشونة والعنف . . وكانوا يجلدونها بالسياط حتى تقرحت جروحها . . وكان ابن السيد الذى اشتراها شابًا غليظ القلب كان يوسعها ضربًا بالكرباج ويعاملها بكل ما كان يستطيعه من عنف وقسوة ، إلى أن اضطرت إلى رفعه حتى وقع على الأرض وفرت هاربة إلى حقول لا تعرفها ولا تعرف أصحابها ، وظلت مختبئة حتى انهكها الجوع وشدة العطش . إلى أن جاء إلى الحقل رجل عجوز طيب ، فأحضر لها بعض الحبوب لتأكل وبعض الماء لتشرب ، ثم قام بتنظيف جروحها . . ثم قام هذا الرجل باختيار مدرب طيب قام بتدريبها وتعليمها .

● وواصلت جينجر حكايتها فقالت إنها بعد أن تم ترويضها ، اشتراها رجل متأنق وصحبها معه إلى المدينة . . ولأن الرجل أراد أن يتبع تلك الموضة السخيفة السائدة فى المدن ، حيث كان أصحاب الجياد يحكمون وضع الشكيمة المؤلمة فى فم الحصان . . وكانت الشكيمة التى وضعت فى فمها تؤلمها بشدة وجرحت لسانها . . كما كان الرجل يشتمها بكلمات بذيئة قاسية

ويلهب ظهرها بالكرباج . . ولكى تدافع جينجر عن نفسها ، أخذت ترفس أى شخص يقترب منها ، وأخيراً هربت عندما سنحت لها فرصة الهرب .

ثم بيعت بعد ذلك لعدة ملاك . . وأخذت تنتقل بين مالك وآخر . . وكان هؤلاء الملاك يتخلصون منها خوفاً من سوء طبعها وقدرتها على الرفس والعض .

وفى النهاية قالت جينجر إنها منذ جاءت لتعيش معنا فى هذا البيت ، شعرت بأن السائس جون والسائس جيمس يعاملانها بكثير من الرقة والعطف ، الأمر الذى جعلها تتخلى عن طباعها السيئة .

● وفى يوم ما جاء إلى القرية المستر « بلومفيلد » ومعه بعض أطفاله الذين كانوا يحبون ركوب « ميرى ليجز » . وفى ذلك اليوم ظل الأطفال يركبونه لعدة ساعات حتى بدأ يشعر بالتعب . . ومع ذلك فقد أخذ الأطفال يضربونه بفروع من الأشجار حتى يستمر . . وعندما ضربه الصبى الذى كان يركبه قام ميرى ليجز بالقائه من فوق ظهره .

وعندما أعاده السائس إلى الاسطبل ، قال ميرى ليجز إنه لقن هؤلاء الأطفال درساً لن ينسوه ، حتى يعرفوا أن الحصان كائن حى له مشاعر ومن الممكن أن يشعر بالتعب وبالغضب . ومع ذلك فإننى نادم على ما فعلت مع الصبى الذى كان يضربنى بفرع الشجرة . . ولن أفعل ذلك مرة أخرى ، حتى لا يعتبرونى سيئ الطباع ويضطروا إلى بيعى . . وربما أجد نفسى

تحت سيطرة بعض الرجال القساة الذين قد يضربونى بالسياط . . لهذا فلن أفعل ذلك مرة أخرى !

● وفى يوم مشمس ، أخرجونا من الاسطبل لنتمتع بدفء الشمس . . وبينما كنت أتجول فى بستان قريب ، شاهدت « أوليفر » وهو حصان عجوز على قدر كبير من الجمال يتميز بكثير من الحكمة والرزانة ، ولكن ذيله كان قصيراً جداً ويبدو كما لو كان قطع فى حادث . . وسنحت لى الفرصة فى أن أسأله عن السبب فى قصر ذيله .

قال أوليفر بحزن : لقد كان ذلك فعلاً مخزياً أثيماً . . فحينما كنت مهراً صغيراً ، أخذونى إلى مكان يقومون فيه بقطع ذيول الخيل ، وقيدونى حتى لا أستطيع الحركة أو المقاومة ، وقطعوا ذيلى بلحمه وعظمه وشعره .

فقلت مندهشاً : هذا أمر فظيع جداً . . ولكن لماذا كانوا يفعلون ذلك ؟

أجاب أوليفر : هو أمر فظيع ومؤلم ، ويعتبر إهانة لأى حصان يتعرض لمثل هذا العمل المؤسف ، فأنت تعلم أننا نستعمل ذيولنا فى هش الذباب الذى يضايقنا وفى طرد الهوام والحشرات الطائرة التى تلدغ جلودنا . . ومع ذلك فقد كان أصحاب الخيول يقطعون ذيولها لأنها الموضه التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ، حيث كانوا يقولون إن الذيول القصيرة تجعل الخيول أجمل شكلاً !

فتساءلت قائلاً : الموضه . . الموضه . . إنى اسمع كثيراً هذه الكلمة ولكنى لا أفهم معناها بالضبط !

فقال أوليفر : الموضه تعنى أن شخصاً ما دارت فى رأسه فكرة ما فنفذهها وهو يظن أن فكرته تجعل الأشياء أكثر جمالاً . . ثم يقوم الآخرون بتقليده . . واعتقد أن الموضه تعتبر من أسوأ الأمور التى ينشغل بها الأدميون . . وكذلك فقد سادت بينهم موضه قطع ذيول الكلاب وقطع آذانها لكى تصبح أكثر جمالاً ! . . تصوروا كيف تفعل الموضه بالناس !

كان جينجر وميرى ليجز بالقرب منا ويستمعان إلى حديثنا . . فقالت جينجر :

- إن هؤلاء الناس الذين يفعلون ذلك أشرار وحمقى !

ولكن ميرى ليجز تدخل فى الحديث قائلاً :

- إذا كان هؤلاء الناس أشراراً وحمقى . . فهناك كثير من البشر طيبون وذوو قلوب رحيمه ويعطفون على الحيوانات ويعاملونها معامله حسنة . . أنظروا مثلاً . . كيف يعاملنا سيدنا والسائسان جون وجيمس . . إن علينا أن نكون شاكرين لذلك .

وهكذا انتهت أحاديثنا ، وبدأنا نأكل بعض ثمرات التفاح التى سقطت من الشجر !

● وفى صباح أحد الأيام ، جاء سيدى وأخذ يربت على رأسى بحنان ، ويبدو أنه كان يريد أن يطلق على إسما مناسباً . . بعد فترة قصيرة استدعى السائسين جون وجيمس وقال لهما : سأسميه « بلاك بيوتى » [أى الجمال الأسود] . . فما رأيكما فى هذا الاسم الجميل !؟

قال جون : انه اسم جميل ومناسب تمامًا يا سيدى !

وفى الحقيقة ، فقد شعرت بالفخر بهذا الاسم الجديد . .

ولأن سيدى كانت لديه مهمة يقوم بها فى المدينة ، فقد أمر السائس جون أن يجهزنى لكى أجز العربى الخفيفة التى سيركبانها للذهاب إلى المدينة .

وما أن شرعنا فى السير حتى بدأت عاصفة عاتية شديدة وانهمرت أمطار غزيرة ، ولكنى مع ذلك واصلت السير بسرعة مناسبة حتى وصلنا إلى جسر خشبى كان علينا أن نعبره . . وهناك أخبرنا حارس الجسر بأن مياه النهر ترتفع بسرعة وعلينا أن نكون حذرين عند عبور الجسر وعند مواصلة السير فى الطرق التى أصبحت غارقة بمياه الأمطار.

وعندما وصلنا إلى المدينة حظيت ببعض الراحة . . وبعد أن انتهى سيدى من إنجاز عمله ، بدأنا رحلة العودة فى وقت متأخر من بعد الظهر.

وكانت العاصفة قد بلغت ذروتها ، وأخذت الرياح تهز الأشجار على جانبى الطريق هزاً عنيفاً يكاد أن يخلعها من جذورها . . وسمعت سيدى يقول لجون : انها عاصفة مفرعة لم أر مثلها فى حياتى . . وأتمنى أن نعود إلى بيتنا سالمين !

وعندما وصلنا إلى الجسر الخشبى ، وقفت خائفاً ولم أتحرك خطوة واحدة . . انزعج سيدى وبدأ يضربنى بالكرباج برفق ولكنى لم أتحرك . . فنزل السائس جون ليسحبنى ولكنى رفضت الحركة . . وفى تلك اللحظة ظهر حارس الجسر وهو يلوح لنا بشعلة يرفعها بيده وقال لنا محذراً ، إن مياه

النهر ارتفعت وجرفت جزءًا كبيرًا من منتصف الجسر . . وهنا أدرك سيدى أن امتناعى عن الحركة أنقذ حياتنا جميعًا . . وقال لجون : لولا بلاك بيوتى لغرقنا كلنا فى مياه النهر .

وواصلنا السير بالرغم من حلول الظلام عبر طريق طويل آخر ، حتى وصلنا إلى مدخل بيتنا سالمين . . وقالت السيدة لزوجها : لم استطع النوم . . كنت قلقة عليكم . . فماذا حدث لكم أثناء تلك العاصفة المريعة ؟ ! قال سيدى : لقد عدنا سالمين بحمد الله . . ولولا « بلاك بيوتى » لكنا جميعًا غرقى فى مياه النهر . .

ولم أسمع المزيد من حديث سيدى مع سيدتى . . فقد أخذنى جون إلى الاسطبل ، وأعد لى فراشًا من القش الجاف ، وقدم لى وجبة شهية من الحبوب .

● وفى أحد أيام شهر ديسمبر ، دخل سيدى إلى الاسطبل ونادى على جيمس وقال له : إن زوج أختى أرسل إلى خطابًا يطلب فيه أن أرشح له سائسًا شابًا وذا خبرة لكى يرعى خيوله . . وإنى أرشحك لشغل تلك الوظيفة . . فما رأيك .

أجاب جيمس : كما ترى يا سيدى . . بالرغم من إنى سأحزن كثيرًا لفراق هذا البيت الكريم . . وفراق زميلى جون . . وفراق الخيول التى تحبنى وأحبها .

وفى تلك الليلة سمعنا حديثًا دار بين جون وجيمس . . وعلمنا إن بعد رحيل جيمس سيحل محله صبى عمره أربعة عشر عامًا ، واسمه « جو »

جرين» . . وقد وصف جون هذا الصبي بأنه ولد ذكى ولديه استعداد ليتعلم المهنة بسهولة .

وفي اليوم التالى وصل « جو جرين » إلى الاسطبل . . وبدأ كل من جون وجيمس فى تعليمه كيف يرفع التبن والقش ، وكيف ينظف الاسطبل ، وكيف يسوس الخيول .

وبعد ثلاثة أيام رحل جيمس . . وشعرنا جميعًا بالحزن على فراقه لدرجة أن ميرى ليجز رفض تناول الطعام لفترة طويلة .

● وفي وقت متأخر من إحدى الليالى بعد رحيل جيمس . . كنت نائمًا . . واستيقظت فجأة على صوت جون وهو يقول لى :

- هيا يا بلاك بيوتى . . ستقوم بمهمة خطيرة . . عليك أن تنجزها بمنتهى السرعة .

وبدون أن يمنحنى فرصة للتفكير ، وضع سرجى ولجامى وقادنى إلى باب البيت حيث رأيت أحد الخدم واقفًا ويده مصباح . وقال الخادم : إن السيدة مريضة جدًا وحياتها فى خطر . . وعلينا أن نقوم باستدعاء الطبيب « الدكتور وايت » فورًا .

وقال جون : والآن يا بلاك بيوتى . . عليك أن تأخذ هذا الخادم وتجرى بسرعة لاحضار الطبيب . . فحياة السيدة متوقفة عليك .

. وطبعًا أخذت أجرى بأقصى ما استطيعه من سرعة ، حتى وصلنا إلى بيت الطبيب فى الثالثة صباحًا . وقال الطبيب بعد أن عرف المطلوب ، إن



حصانه مريض ، وإن عليه أن يركبني لأخذه إلى بيت السيدة . . . وكان الطبيب عجوزاً ولا يجيد ركوب الخيل ، ومع ذلك قمت بتوصيله إلى البيت في الوقت المناسب .

كنت مرهقاً وأشعر بتعب شديد بعد أن أدت هذه المهمة . . . وأدخلني الصبي « جو » إلى الاسطبل ، وأحضر قطعة من القماش ومسح بها العرق الذى يتصبب فوق ظهري وصدرى وسيقانى . . . ولكنه لم يضع بطانية دافئة على ظهري . . . ولم يمض وقت طويل حتى بدأت أشعر بالبرد وأخذت أرتجف وأرتعد . . . وأصبت بآلام شديدة فى كل أعضاء جسمى . . . وسقطت مريضاً لعدة أيام . . . وأحضروا لى طبيب الخيول الذى أعطانى دواء قوياً عدة مرات حتى تحسنت حالتى .

● وبعد مرور ثلاث سنوات، قضيتها سعيداً فى هذا البيت الكريم ، تولد لى شعور بأن أشياء محزنة سوف تحدث . . . فقد كانت السيدة مريضة جداً . . . وكان الطبيب يحضر لزيارتها عدة مرات فى أوقات متقاربة . . . وقرر الطبيب فى نهاية الأمر أن السيدة لا بد أن تنتقل إلى منطقة ذات جو دافئ لبضع سنوات ، ولا بد من نقلها فى أسرع وقت ممكن . . . وهكذا قام السيد باتخاذ كل الإجراءات للرحيل .

وعلمنا أن السيد قد باعنا أنا وجينجر لصديق له . . . أما ميرى ليجز فقد أصبح من نصيب قس القرية .

وعندما حان موعد رحيل السيد والسيدة ساد الحزن علينا جميعاً ، وأخفى جون وجو دموعهما . . . ثم قام جون باقتيادنا إلى بيتنا الجديد ، حيث قابل

مستر يورك . . وأفهمه جون أننا فرسين طيبين مطيعين مادمنا نلقى معاملة حسنة . وطلب منه جون ألا يستعمل الشكيمة وألا يضعها في فم أى من هذين الحصانين .

فقال مستر يورك : أنا أفهم ذلك . . وكذلك المالك الجديد يتفهم هذا الأمر . . ولكن السيدة - بكل أسف - ستصر على استخدام الشكيمة لتساير الموضة الشائعة .

وفي اليوم التالى جاء مالكننا الجديد ليرانا ، وأخبره المستر يورك بما قاله جون عن عدم استخدام الشكيمة مع أى من هذين الفرسين لأنها لم يعتادا عليها . . ويبدو أن المالك قد تفهم ذلك . . ولكنه قال لمستر يورك إن السيدة ستصر على استخدام الشكيمة والزماء الكابح مسايير للموضة . . وأن عليه أن يقوم بتعويد الحصانين عليها .

وعندما جاءت السيدة أمرت مستر يورك بأعداد العربة التى ستخرج بها ، فقام مستر يورك بأعداد اللجام والسرّج ، كما قام بوضع شكيمة في فم كل منا . وطبعًا كانت هذه الشكيمة تؤلمنى ، وتؤلم لسانى ، وتجعلنى غير قادر على رفع رأسى إلى أعلى .

وفي اليوم التالى ، قالت السيدة لمستر يورك : لا بد من إحكام وضع الشكيمة وتضييقها طبقًا للموضة . . فقام بذلك مضطرًا . . وبالتالى فقد ازدادت آلامى فى سيقانى وفى فمى وفى ظهرى ، وبدأت روى المعنوية تنخفض إلى حد كبير . . أما جينجر فقد ازدادت اضطرابًا وأصبحت لا تتحدث إطلاقًا كما لو كانت قد فقدت القدرة على النطق .

● وذات يوم طلبت السيدة من يورك أن يحكم وضع الشكيمة أكثر وأكثر، وأطاع يورك أمر السيدة صاغراً . . وعندما أحكم وضع الشكيمة في فمى أصبح رأسى مشدوداً إلى الوراء في وضع مؤلم لا يحتمل . . وعندما شرع يورك في وضع الشكيمة في فم جينجر ، أصيبت بحالة من الهياج ، وقفزت إلى أعلى فجأة فأصيب يورك في أنفه وكاد أن يسقط على الأرض . . وازداد هياج جينجر فأخذت تشب وترفس وتلقى بنفسها هنا وهناك حتى ارتطمت بعامود العربة وسقطت على الأرض جريحة وبها العديد من الرضوض والكدمات .

أما أنا فقد كان على أن أواصل جر العربة ، بالاشتراك مع حصان آخر لا أعرفه .

وكانوا يضعون الشكيمة في فمى كل يوم حتى كدت أفقد صحتى وطباعى الحسنة . . فقد كانت تلك الشكيمة الحادة تؤلم لسانى وفكى وتجعل تنفسى صعباً للغاية . . وعندما كنت أعود إلى الاسطبل في كل مرة، كنت أشعر بالتعب وبألم شديد في صدرى ورقبتى ، حتى تملكنى اليأس من استمرار الحياة على هذا النحو المؤلم .

● وفي بعض الأحيان كان يورك يغيب عن الاسطبل لمدة يومين أو ثلاثة أيام . . وعندئذ كان يترك الاسطبل في رعاية رجل اسمه «روبين سميث» . . وهو رجل طيب وله خبرة في رعاية الخيل بطريقة سليمة ، ولكنه كان للأسف مدمناً على شرب الخمر حتى يفقد وعيه .

و ذات يوم كلفوا روين بقضاء مهمة فى إحدى القرى القريبة . . فاعتلى
ظهري وذهبنا إلى تلك القرية . . وهناك تركنى روين فى اسطبل صغير
ضيق ، وذهب ليقضى المهمة المكلف بها . . ولاحظ سائس هذا الاسطبل
أن هناك مسباراً مفكوكاً بحدوتى . . وعاد روين فى الساعة التاسعة ليلاً ،
فأخبره السائس بوجود هذا المسبار المفكوك فلم يهتم ، وكان من الواضح أنه
قد شرب كثيراً من الخمر ، وقفز فوق ظهري وبدأنا رحلة العودة فى ظلام
الليل الحالك .

ولم يلاحظ روين أن الحدوة قد انخلعت وبدأت أعرج لأن حافرى كان
يؤلمنى . . ومع ذلك فقد ظل يحشنى على الجرى بخطوات سريعة حتى
تشققت جوانب حافرى وتكسرت وأصبحت أشعر بالآلام لا تحتمل . .
فتعثرت خطاى وسقطت على ركبى الأربع . . وسقط روين بالتالى من فوق
ظهري وارتقى على الأرض وهو يتأوه .

تحاملت على نفسى ووقفت على أقدامى وأخذت أعرج حتى وصلت إلى
جانب الطريق . . وظل روين راقداً على أرض الطريق دون أى حركة . .
وبالرغم من شدة آلامى فقد كان لدى أمل فى انقاذى .

● وقرب منتصف الليل ، سمعت وقع حوافر حصان قادم . . ولا أدرى
كيف تصورت أنها وقع أقدام صديقتى جينجر . . فأخذت أصهل عندما
تأكدت من أنها هى بنفسها وكانت تجر عربة خفيفة يركبها رجلان .

تباطأت العربة ووقفت بالقرب منى ومن روين الراقد على الأرض بلا

جراك . ونزل أحد الرجلين وركع بجوار زوبين وأخذ يفحصه . . وبعد دقيقة أو دقيقتين قال الرجل : أنه ميت . . وتفوح من فمه رائحة الخمر!

ونزل الرجل الثانى ، وأخذ الرجلان يفحصانى أنا الآخر . . فوجدا ركبى الأربعة مجروحة . . ولاحظا حوافر قدمى المشقة والمكسورة وأدركا أنها كانت بلا حدوة :

وبكل شهامة حمل الرجلان جثة زوبين ووضعاهما على العربة . . وربطانى بجوار جينجر وبدأنا رحلة العودة الحزينة إلى البيت .

وعندما وصلت إلى الاسطبل . . قاموا بغسل قدمى الجريحة وضمدوها . . ولفوا قطعاً من القماش الرطب حول ركبى الأربع . وبالرغم من شدة آلامى فقد استلقيت على القش الناعم واستغرقت فى النوم .

وفى صباح اليوم التالى جاء طبيب الخيول وفحص سيقانى وركبى ، وقال انه سيعالجنى إلى أن تلتئم جروحى ، ولكن هذه الجروح ستترك عاهات مستديمة فى ركبى .

● وبعد أن التأمت جروحى ، أخذونى إلى حقل مجاور لأمضى فيه بضعة أيام حتى استريح واستعيد صحتى . . وشعرت بشيء من السعادة ، ولكنى فى الوقت نفسه كنت مهموماً لشعورى بالوحدة . . وكنت أشعر بحنين دائم لصديقتى الحميمة جينجر . وعندما كنت اسمع صوت أى خيول تمر على الطريق المجاور للحقل ، كنت أصهل دون أن يكون لصهيل أى رد .

ومع ذلك ففى يوم ما أحضروا جينجر إلى الحقل لكى تستريح من شدة ما كانت تعانيه من تعب وإرهاق . . . وصهلت فرحًا حين رأيتها . . . ولكنى فوجئت بأنها كانت مكتئبة وحزينة وهزيلة وتكاد أن تكون مدمرة تمامًا . . . وتقدمت جينجر نحوى ، ونظرت إلى بحزن عميق ، وقالت بكلمات متقطعة : أرأيت يا بلاك بيوتى . . . لقد أصبحت الحياة شاقة بالنسبة لنا . . . لقد أصبحنا حطامًا بالرغم من أننا ما زلنا فى عز الشباب !

وبالرغم من كل تلك الأحزان ، فقد سعدت بصحبة جينجر ، وسعدت هى بصحبتى . .

وقعت كل هذه الأحداث فى غيبة السيد والسيدة اللذين كانا يقومان برحلة طويلة . . . وعندما عادا من تلك الرحلة ، جاء السيد ليرانا ويطمئن علينا وكان معه مستر يورك . .

وقد فوجئ السيد عندما رآنا فى تلك الحالة المزرية . . فقال ليورك : إننى أسف جدًا لمصيرهما التعس . . . وعلينا أن نحتفظ بجينجر لعدة شهور حتى نرى ما سوف تكون عليه حالتها . . أما بالنسبة لبلاك بيوتى فإن من الصعب أن نحتفظ به فى الاسطبل وهو يمثل هذه الركب المشوهة . . واقترح يورك أن من الممكن بيع الحصان لصديق له فى مدينة بعيدة .

وهكذا رحلت بالقطار إلى تلك المدينة حيث استلمنى المالك الجديد ، وكان صاحب بعض الخيول والعربات التى يقوم بتأجيرها لمن يرغب فى استئجار عربة ، ولمن يرغب فى ركوب الخيل .

وقبل أن أحضر إلى ذلك المكان ، لم يركبني سوى الأشخاص الذين يجيدون ركوب الخيل . . أما الآن فقد اختلف الأمر ، وركبني كل أنواع البشر . الطيبون الذين كانوا يعاملونني برفق ، وقساء القلوب الذين كانوا يلهبون جسمي بالسياط .

وبعد عدة شهور من هذه المعاناة اليومية القاسية ، اشترايت رجل طيب يجيد ركوب الخيل وكان يعاملني معاملة حسنة ، ولكن السائس الذي كان يعمل عنده كان يسرق طعامي من الحبوب ويبيعها لحسابه حتى أصابني هزال شديد .

وخلال الشهور التالية ، أصبحت انتقل بين مالك وآخر . . وكان أغلب هؤلاء الملاك من أصحاب عربات نقل البضائع أو عربات نقل الركاب . . وكان معظمهم يستغلون الخيل أسوأ استغلال ولا يتيحون لها أى قدر من الراحة .

وذات يوم ، كانت العربية التى أجرها واقفة على جانب الطريق فى انتظار أى زبون يستأجرها ، مرت بجوارى عربية قدرة متهالكة ، تحمل على ظهرها جثة أحد الخيول . . وعندما تأملت فى تلك الجثة ، فوجئت بأنها صديقتى الحميمة جينجر . . فأصابنى حزن شديد لتلك النهاية المفجعة . . ومع ذلك فقد أدركت أن هذه المسكينة قد استراحت أخيراً من كل ما كانت تعانيه من عذاب . . وظل نظرى متعلقاً بالعربة إلى أن اختفت ولا أدرى أين ذهبت .

● أما أنا ، فقد ظللت أعانى أنواعًا كثيرة من العذاب المؤلم . . فقد كان على أن أجر عربات محملة ببضائع ثقيلة . . أصعد بها فوق الطرق المنحدرة في التلال العالية . . تحت لهيب السياط وضربات الكراييج . . وانتقل من مالك ظالم مفترى ، إلى مالك أكثر ظلمًا وافتراءً ، حتى أصابنى المرض ، وبدأت أشعر بأن الحياة أصبحت غير جديرة بالاستمرار . . وفي نهاية الأمر عرضونى للبيع فى سوق الخيول ، وأوقفونى فى المكان المخصص للخيول العواجيز والخيول المرضى .

وكان من ضمن الزبائن الذين فحصونى ، رجل عجوز يبدو انه من المزارعين ، وكان يصحب معه صبيًا صغيرًا اسمه « ويلي » . . وما أن شاهدنى هذا الصبى حتى قال للرجل العجوز : انه حصان جميل يا جدى . . واعتقد انك قادر على شفاؤه من مرضه وأن تعيد إليه شبابه .

وبعد أن فحصنى الرجل العجوز بشكل جيد قال لحفيده : هذا الحصان ليس عجوزًا حتى أعيد إليه شبابه . . إنه يبدو كما لو كان قد تعرض إلى معاملات سيئة . . وهو قابل للشفاء لو عومل معاملة حسنة وتغذى بشكل جيد . . وسوف اشتريه يا ويلي .

وكان ويلي فى تلك الأثناء يربت على رقبتى بعطف وحنان جعلنى أشعر بسعادة غامرة .

وهكذا اشترانى الرجل العجوز وأخذنى إلى مزرعته . . وهناك تولى ويلي رعايتى ، وكان يقدم إلى غذاء من الحبوب كل صباح وكل مساء ، وفى أثناء

النهار كان يأخذنى إلى الحقل حيث كنت آكل بعض الحشائش الخضراء ،
وكان ويلى يعطينى الجزر وهو يربت على رقبتى وجسمى .

وبطبيعة الحال فقد تم شفائى وتحسنت حالتى وعادت الى السعادة التى
كدت أن أفقدها تمامًا .

● وفى أحد أيام فصل الصيف ، لاحظت أن السائس بذل عناية فائقة
وهو ينظفنى ويمشط شعرى ، ويعدنى لجر العربة ، وما أن بدأت السير
حتى سمعت ويلى يقول لجدّه : أنا متأكد يا جدى أن الأنسات سوف
يعجبن ببلاك بيوتى . . وسوف يعاملنه معاملة حسنة لأنه جميل وطيب . .
وأنا متأكد أيضًا أن بلاك بيوتى سيكون سعيدًا فى حياته الجديدة .

وفهمت من هذا الحديث أن حياتى توشك أن تتغير . ووصلنا أخيرًا إلى
بيت صغير تحف به الأشجار . وقام ويلى بدق الجرس فانفتح الباب
وخرجت منه ثلاث أنسات شابات . . وما أن رأينى حتى ابتسمن وبدأ
عليهن الابتهاج .

وقالت إحدى الأنسات بعد أن عرفت ان اسمها « إلين » : يا له من
حصان جميل !

وألقت الأنسات أسئلة كثيرة لكى يعرفن كل شىء عنى . . وقال الجد
العجوز إن هذا الحصان كان قد تعرض فيما مضى إلى معاملة سيئة . . ولكنه
الآن فى حالة ممتازة . : وكل ما يحتاج إليه هو أن يعيش فى بيت يعامل فيه
بحب وعطف .

وقررت الآنسات أن أبقى معهن لفترة تجريبية . . وهنا احتضنتني ويلي
وجده ، وأخذنا يرتبان على ظهري ورقبتى وهما يودعانى .

وجاء سائس شاب ، وسحبني بلطف إلى الاسطبل الملحق بالبيت ،
ولاحظت على الفور انه اسطبل نظيف ومرتب أحسن ترتيب ، وقدم إلى
السائس غذاء جيداً من الحبوب . . ولاحظت أن السائس كان يحملق في
بدهشة حين كنت أتناول طعامى . . ثم قال وهو يرتب على ظهري : إنك
تشبه حصاناً أعرفه جيداً . . كان له شعر أسود . . وكانت له غرة بيضاء في
رأسه وغرة بيضاء أخرى في إحدى أقدامه . . مثلك تماماً . . لا بد أنك
بلاك بيوتى نفسه . . هل تعرفنى . . أنا جو جرین . . هل تذكر ذلك
الصبي الذى كاد أن يتسبب في موتك حين نسي أن يغطيك بالبطانية منذ
سنوات في تلك الليلة ذات البرد القارس ؟ !

واحتضنتني جو جرین بكل عطف وحنان وهو يعبر عن سعادته بعودتى
إليه بعد كل هذه السنوات . .

وهكذا عشت في هذا البيت حياة منتظمة هادئة . . حيث كنت أجر
عربة الآنسات حين يردن الخروج . . وحيث يرعاني جو جرین رعاية فائقة
. . وكان ويلي وجده يحضران بين حين وآخر للاطمئنان على . . وأصبحت
أشعر بأنى أسعد حصان بين الخيول كلها . . !!



للکاتب الانجلیزی :

جورج اوریول

مزرعة الحيوان

ANIMAL FARM

GEORGE ORWELL

مستر « جونس » هو صاحب مزرعة يربى فيها مجموعة كبيرة من الحيوانات . . وفي إحدى الأمسيات قام وهو يترنح بإغلاق حظيرة الدجاج ونسى أن يغلق نوافذها الصغيرة . . وعاد وهو يترنح إلى غرفة نومه ، وألقى بنفسه على السرير بجوار زوجته « مسز جونس » التى كانت مستغرقة فى النوم .

وبعد أن اطمأنت جميع حيوانات المزرعة إلى أن « مستر جونس » قد نام هو الآخر ، بدأوا يتجمعون فى فناء المزرعة لكى يستمعوا إلى تفاصيل الحلم الذى رآه الخنزير « ميجور العجوز » ليلة أمس . . خصوصاً وأن هذا الخنزير له اعتبار كبير لدى جميع حيوانات المزرعة . . فقد كان فى الثانية عشرة من عمره ، واكتسب كثيراً من الحكمة والخبرات الطويلة .

وبدأ حضور الحيوانات واحداً بعد الآخر . . وكان أول من وصل هم الكلاب الثلاثة « بلويل » و « جيسى » و « بينشر » . . ثم جاءت الخنازير وجلست أمام المنصة . . ثم قفزت الدجاجات إلى حواف النوافذ . . وحط الحمام على العوارض الخشبية . . وجاءت الأغنام والأبقار وجلست وراء الخنازير . . ثم وصل الحصان « بوكسر » والفرسة « كلوفر » . . ووصلت

بعدهما العنزة البيضاء « موريل » . . وأخيراً حضرت المهرة « موللى » ثم
الحمار « بنجامين » الذى كان لا يضحك أبداً !

وبعد أن تأكد الخنزير « ميجور العجوز » أن جميع الحيوانات قد حضروا
وأخذوا أماكنهم وأوضاعهم المريحة ، تنحنح وبدأ حديثه قائلاً :

أيها الرفاق . . قبل أن أذكر لكم تفاصيل الحلم الذى رأيته بالأمس . .
أود أن أحدثكم عن طبيعة الحياة التى نعيشها على تلك الأرض . . إن حياتنا
تعيسة . . هذه هى الحقيقة . . إننا نكد ونكدح لصالح الإنسان . . إن
نتاج عملنا يسرقه منا بنو البشر . . إن الإنسان هو عدونا الحقيقى . . إنه لا
يدر اللبن الحليب ولا يضع البيض . . وهو ضعيف لا يمكنه جر المحراث
إلا بمساعدتنا له . . فأنت أيتها الأبقار التى أراها أمامى . . كم من آلاف
جالونات الحليب أخذها منك الإنسان وأفرغها فى جوفه . . وأنت أيتها
الدجاجات كم من آلاف البيضات التى يستولى عليها الإنسان كل صباح
. . وأنت يا « كلوفر » أين ذهبت مهراتك الأربع التى أنجبته . . لقد
باعوها لآخرين .

وبالرغم من هذه الحياة التعيسة التى نعيشها مجبرين ، فانهم سيدبحوننا
بالسكاكين فى نهاية الأمر . . كلنا سندبح وسنواجه هذا الرعب القاتل . .
الأبقار . . والخنزير . . والدجاج . . والأغنام . . !

أليس من الواضح أيها الرفاق أن كل الشرور فى حياتنا سببها الإنسان
وطغيان البشر . . ومع ذلك فإن الحل فى أيدينا . . وعلينا أن نقوم بالثورة

ضد بنى البشر . . ويجب عليكم أن تبلغوا رسالتى هذه إلى من سيأتى
بعدكم من أجيال قادمة .

تذكروا جيدًا أن كل من يمشى على قدمين هو عدو لنا . . وكل من
يمشى على أربع أو له أجنحة فهو صديق لنا . .

أما عن الحلم الذى رأيته فى منامى ليلة الأمس ، فهو حلم غريب ذكرنى
بأيام طفولتى عندما كانت أمى والخنزيرات الأخريات ينشدن أغنية
لأطفالهن الصغار . . ويبدو أن هذه الأغنية كان يغنيها جميع الحيوانات فى
العالم عند بداية ظهور الإنسان على الأرض . والآن سأنشد لكم كلمات
الأغنية بالحانها القديمة . . إن صوتى أجش لأنى عجوز . . لكن عندما
ترددون الأغنية ورائى ، فسوف يمكنكم غناءها بطريقة أفضل . . فهيا
معى :

سوف يأتى اليوم حتمًا . .

لنعيش فى مستقبل سعيد . .

حين نطيح بالإنسان الطاغية . .

وستصبح الأرض كلها ملكًا لنا . .

ولن يلسعنا أحد بالسياط ليَجبرنا على العمل . .

ولن يستولى أحد على بيضنا . . وحليبنا . .

ولن يذبحنا أحد ليأكل لحومنا . .

علينا أن نكدح في سبيل الحرية . .

وعلينا أن نلقن هذا الدرس لأبنائنا . .

حتى نطيح بالإنسان الطاغية .

وهكذا بدأت حيوانات المزرعة تردد كلمات وألحان تلك الأغنية وراء الخنزير « ميجور » . . وكان كل حيوان منها يشترك في الغناء بصوته المميز . . وبلغت بهجة الجميع بالأغنية حدًا جعلهم ينشدونها خمس مرات متتالية . . وساد الصخب جميع أرجاء المزرعة .

وهنا قفز « مستر جونس » من سريره بعد أن ظن أن ثعلبًا يهاجم حيوانات المزرعة ، فأمسك بالبندقية الموضوعة بجانبه . . وأطلق في الهواء ستة أعيرة نارية متتالية ، فانفض اجتماع الحيوانات ، وأسرع كل حيوان إلى المكان المخصص لنومه . .



توفي الخنزير « ميجور العجوز » بعد ثلاثة أيام من إلقاء كلماته التي يحض فيها الحيوانات على الثورة ضد طغيان الإنسان ، وتم دفنه في نهاية المزرعة .

وكان هناك خنزيران ذكيان . . اسم الأول « سنوبول » . . واسم الثاني « نابليون » . . اشتركا مع خنزير ثالث اسمه « سكويلر » في قيادة حيوانات المزرعة . . وكانوا يعقدون اجتماعات سرية كل ليلة بعد أن ينام « مستر جونس » يحضرها جميع الحيوانات . .

وقام هؤلاء الخنازير الثلاثة بتطوير الأفكار الثورية التى وضعها «ميجور العجوز» إلى نظام فكرى متكامل أطلقوا عليه اسم «الحيوانية» .

وكان «مستر جونز» قد أصيب بخسارة مالية كبيرة فى إحدى القضايا . . فشبّطت عزيمته وأصبح كسولاً . . أما الرجال الذين كانوا يعملون عنده فقد كانوا أكثر منه كسلاً . . فامتلأت المزرعة بالأعشاب البرية ، وتعرضت أسوارها للإهمال . . وأصيب جميع الحيوانات بالجوع ، لأن الرجال لم يهتموا بتقديم الغذاء الكافى لتلك الحيوانات .

وفى شهر يونيو ، أصبح البرسيم جاهزاً للحصاد ، ولم يهتم الرجال بتغذية الحيوانات . . وعندما حل المساء . . كانت الحيوانات تعاني الجوع الشديد . . ولم يعد فى استطاعتها الاحتمال أكثر من ذلك . . فقامت إحدى الأبقار بكسر باب مخزن الطعام ، وتبعها جميع الحيوانات الأخرى وصاروا يأكلون ما تحتويه صناديق الخزين من حبوب .

ونتيجة لهذا الصخب والضجيج ، استيقظ «مستر جونز» واصطحب معه أربعة من رجاله يحملون السيّاط وأخذوا يلسعون بها ظهور الحيوانات .

وبالرغم من أن ذلك لم يكن مخططاً من قبل ، اندفعت جميع الحيوانات وانقضت على الرجال الخمسة بكل ما تستطيعه من النطح والرفس . . وقد أذهلت هذه الثورة الفجائية الرجال الذين أصيبوا بالذعر ففروا هارين ، ولاحقتهم الحيوانات حتى خرجوا من المزرعة . . .



وتطلعت « مسز جونس » من نافذة حجرة النوم ، ورأت هروب الرجال من المزرعة ، فسارعت بالهروب هي الأخرى . . هكذا تمت الثورة بنجاح تام ، وأصبحت المزرعة ملكًا خاصًا بالحيوانات التي كانت تعيش فيها !

وفي البداية لم تصدق الحيوانات نجاح ثورتها إلى هذا الحد . . فأخذت تدور حول أرجاء المزرعة حتى تتأكد من عدم وجود أى إنسان مخبئ . . كما قامت بتجميع كل السكاكين والسلاسل وألقت بها فى أعماق البئر . أما سيور اللجام والسياط فقد ألقت بها فى نار أشعلوها فى فناء المزرعة . .

وهكذا دمرت الحيوانات كل شىء يذكرها « بمستر جونس » . . وقام الخنزير « نابليون » بقيادة الحيوانات إلى مخزن الحبوب . . وقدم حصة كبيرة لكل حيوان ، كما قدم قطعتين من البسكويت لكل كلب . . وقام الجميع بإنشاد أغنية الثورة سبع مرات متتالية . . ثم ذهبوا ليناموا وهم فى غاية السرور.

وعندما استيقظوا فى صباح اليوم التالى . . تناولوا طعام الإفطار . . ثم توجهوا إلى القصر الذى كان يعيش فيه « مستر جونس » وعائلته . . وتجولوا فى جميع الحجرات حجرة بعد حجرة وهم يسرون على أطراف أقدامهم حتى لا يفسدوا أو يحطموا أى شىء . . وشاهدوا الفخامة فى الأسرة المفروشة ، والمخدات المحشوة بالريش ، والأرائك والمرايا والسجاجيد . . وعندما وصلوا إلى المطبخ شاهدوا بعض القطع من لحوم الخنازير المحمرة معلقة ، فأنزلوها ودفنوها . . أما برميل البيرة فقط حطمه الحصان « بوكسر » برفسة قوية من حافره .

وفى أعقاب تلك الزيارة ، قام الخنزيران « سنوبول » و « نابليون » بدعوة الحيوانات إلى اجتماع هام اتخذوا فيه قرارات هامة منها قرار بالابقاء على القصر كمتحف ..

وفى أثناء هذا الاجتماع قام « سنوبول » بتعليق لافتة على باب المزرعة كتب عليها « مزرعة الحيوان » .. وقال : لقد قمنا أنا ونابليون بتقسيم مبادئ «الحيوانية» إلى سبع وصايا ستكون هى الدستور الذى يجب أن يلتزم به جميع حيوانات المزرعة .. !

وقام بتعليق لافتة كبيرة فى فناء المزرعة مكتوب عليها بخط واضح نصوص هذه الوصايا وهى :

- ١ - كل ما يسير على قدمين هو عدو .
- ٢ - كل ما يسير على أربع أو له أجنحة فهو صديق .
- ٣ - يحظر على الحيوان ارتداء الملابس .
- ٤ - يحظر على الحيوان النوم فى سرير .
- ٥ - يحظر على الحيوان تعاطى الخمر .
- ٦ - يحظر على الحيوان قتل أى حيوان آخر .
- ٧ - جميع الحيوانات متساوية .

وقبيل نهاية الاجتماع ألقى « سنوبول » خطبة قصيرة قال فيها : والآن أيها

الرفاق علينا أن نذهب معاً لحصاد البرسيم . . وهو عمل قد يستغرق طول النهار . .

وفي تلك اللحظة بدأت البقرات الثلاث في الخوار بصوت مرتفع . . وأخبرت الحيوانات الأخرى بأن حلب اللبن من أثدائها قد توقف منذ أربع وعشرين ساعة . . وأصبحت أثداؤها على وشك الانفجار . وقامت الخنازير فوراً باحضار خمسة « جرادل » وحلبت البقرات حتى امتلأت « الجرادل » بالحليب الدسم . . وتطلعت الحيوانات إلى هذا الحليب . . وتساءل أحدهم : ماذا سيحدث لكل هذا الحليب ؟! . . فأجابت إحدى الدجاجات : كان « جونس » يمزج بعضاً منه في طعامنا !

وهنا تدخل « نابليون » وصاح : لا تهتموا بأمر الحليب . . أيها الرفاق . . هيا إلى حقل البرسيم لنبدأ الحصاد . . إلى الأمام أيها الرفاق !

وانطلقت الحيوانات إلى حقل البرسيم . . وظلوا يحصدون طول النهار . . وعندما عادوا في المساء . . لاحظوا أن الحليب قد اختفى !!



بذلت الحيوانات جهداً عظيماً في حصاد البرسيم وتخزينه . . وكان كل حيوان يعمل بقدر طاقته وحسب امكانياته . . وكان الجميع مقتنعين بأنهم أصبحوا ينتجون الطعام بأنفسهم ولأنفسهم . . وكان الحصان « بوكسر » أكثرهم عملاً اعتماداً على قوة عضلاته وقوة تحمله . . لدرجة أنه عقد اتفاقاً مع ديك شاب ليؤذن لإيقاظه بساعة قبل أي حيوان آخر .

أما الخنازير فلم تكن تشارك الحيوانات الأخرى فى العمل الشاق . . .
واكتفت بالتوجيه والإشراف على الآخرين وقيادتهم أثناء أدائهم للأعمال
المنوطة بهم . . . فكانوا يقولون مثلاً : إلى الأمام أيها الرفاق . . . إلى الخلف أيها
الرفيق . . . وهكذا !

والحقيقة أن جميع الحيوانات كانوا فرحين لأنهم تخلصوا من البشر الذين
كانوا يستغلونهم لمصالحهم الخاصة . . . وفى كل يوم من أيام الأحاد يأخذون
أجازة و يقيمون احتفالاً اسبوعياً يرفعون فيه علم المزرعة وينشدون أغنية
الثورة عدة مرات . وكان علم المزرعة عبارة عن قطعة خضراء من القماش
رسموا عليها حافراً وقرناً . . . كرمز لجمهورية الحيوانات التى ستقام فى
المستقبل بعد أن يطيح الحيوانات فى كل مكان بالجنس البشرى المستغل .

وتعلمت حيوانات المزرعة كيفية التصويت عند اتخاذ القرارات التى كان
يعرض مشروعاتها كل من الخنزيرين « سنوبول ونابليون » . . . وقد لاحظت
الحيوانات أن هذين الخنزيرين ليسا على وفاق فى جميع الأحوال . وكان كل
خنزير منهما يحاول اكتساب المزيد من المؤيدين .

وقد استولت الخنازير على إحدى الحجرات بداخل القصر وحولتها إلى
«مركز قيادة» . . . كما بدأت تتعلم الحدادة والنجارة وبعض الحرف والفنون
الأخرى من الكتب التى وجدتتها فى أحد رفوف المكتبة . . . وشغل «سنوبول»
نفسه بتكوين مجموعات أطلق عليها اسم « لجان الحيوان » . . . مثل « لجنة
انتاج البيض » . . . و « لجنة الصوف الأكثر بياضاً » الخاصة بالأغنام . . . كما
أنشأ بعض الفصول الدراسية لتعليم الحيوانات القراءة والكتابة !

أما « نابليون » فلم يهتم إطلاقاً بتلك اللجان التى أنشأها « سنوبول »
.. وكان يقول دائماً إن تربية الصغار أهم بكثير من تلك اللجان .

وعندما أنجبت الكلبتان « جيسى وبلوبل » تسعة كلاب صغيرة ..
أخذها « نابليون » بعيداً ووضعها فى مكان مرتفع يصعب الوصول إليه .

وقد اتضح فيما بعد لغز اختفاء الحليب الذى كانت تدره الأبقار .. فقد
كان يمزج مع طعام الخنازير .. كما أن التفاحات التى كانت تتساقط من
الأشجار كانت تجمع فوراً لتأكلها الخنازير دون الحيوانات الأخرى .. فساد
التدمر ضد هذه الأوضاع غير العادلة .. لذلك فقد اتفقت الخنازير فيما
بينها على إيفاد الخنزير « سكويلر » لإفهام الحيوانات الأخرى حقيقة الأمر
.. وعقد اجتماعاً قال فيه :

أيها الرفاق .. إياكم أن تظنوا أن الخنازير يحصلون على الحليب والتفاح
لأنهم أنانيون ويريدون التميز عليكم .. لا .. وألف لا .. إن كثيراً من
الخننازير لا تحب الحليب ولا التفاح .. وأنا شخصياً لا أحبهما .. ولكن
هدفنا الوحيد هو المحافظة على صحتنا .. لأننا نحن الخنازير نعمل
بعقولنا .. ونحن ندير هذه المزرعة من أجل مصلحتكم .. ومن أجلكم
أنتم نشرب هذا الحليب ونأكل التفاح .. ولعلكم تعلمون ماذا سيحدث لو
فشلنا فى إدارة المزرعة .. سوف يعود « جونس » ليستولى على المزرعة ويستولى
عليكم .. فهل يرغب أحد منكم فى عودة « جونس » ؟! ..

وبطبيعة الحال فلم يوافق أى حيوان على عودة « جونس » .. وعلى ضوء

هذا الإيضاح ، أصبح جلياً تماماً أهمية أن تكون الخنازير بصحة جيدة . . وأن يكون من حقها الحصول على كل الحليب وعلى كل محصول التفاح !



انتشرت أخبار « مزرعة الحيوان » في معظم أنحاء البلاد المجاورة . . فقد كان كل من « سنوبول ونابليون » يرسلان أسراباً من الحمام للاختلاط بحيوانات المزارع الأخرى وأخبارها بقصة « الثورة » ولتعليمها كلمات وألحان أغنية الثورة . . وقد شاع الخوف بين أصحاب المزارع خشية أن تقوم الحيوانات بالثورة ضدهم !

وكان « مستر جونز » يمضى معظم وقته في حانة « الأسد الأحمر » ببلدة « وليجدون » المجاورة ، وكان يشكو حاله لأصحاب المزارع ويحرضهم على ضرورة مساعدته في إعادة السيطرة على مزرعته حتى لا يكون مصيرهم مثل مصيره .

ويبدو أن أسراب الحمام التي كان يرسلها « سنوبول ونابليون » قد حازت بعض النجاح . . حيث سادت موجة من العصيان من جانب بعض الحيوانات في المزارع الأخرى . . وأخذت هذه الحيوانات تنشد أغنية الثورة بين حين وآخر . ولذلك فقد قرر اثنان من أصحاب المزارع القريبة مساعدة « مستر جونز » في الهجوم لاستعادة مزرعته .

وكان مثل هذا الهجوم أمراً متوقعاً في « مزرعة الحيوان » . . فقد كان

«سنوبول» قد أعد جميع الاستعدادات للدفاع عن المزرعة ، وذلك بعد أن قرأ كتاباً قديماً عن حملات «يوليوس قيصر» كان قد عثر عليه في مكتبة القصر.

وما أن بدأت طلائع الهجوم في الاقتراب من « مزرعة الحيوان » حتى صدرت الأوامر بسرعة وأخذ كل حيوان موقعه في المكان المخصص له ليقوم بالدفاع عن نفسه وعن المزرعة .

وعندما بدأ المهاجمون في الدخول من باب المزرعة بدأ خط الدفاع الأول في عمله ، فأخذ الحمام يطير ذهاباً وإياباً فوق رؤوس المهاجمين . . . واندفعت جماعات من الأوز وأخذت تنقر سيقانهم بشكل مزعج . ونجحت هذه المناورة في خلق الكثير من الفوضى والارتباك بين المهاجمين . . . وعندئذ بدأ خط الدفاع الثانى في عمله . . . وانطلقت على الفور مجموعة من الخراف راحت تنطح المهاجمين من كل جانب .

ومع ذلك فقد واصل المهاجمون هجومهم . . . وتقدموا حتى أصبحوا داخل فناء المزرعة . وهنا بدأ خط الدفاع الرئيسى . . . فاندفعت نحوهم الجياد الثلاثة والأبقار الثلاثة وجميع الخنازير بقيادة « سنوبول » . . . وصوب «مستر جونز» بندقيته نحوه وأطلق رصاصة أصابت « سنوبول » في ظهره بخدوش دامية . . . غير أن الحصان « بوكسر » بدأ يرفع أرجله الخلفية ويضرب بحوافره الحديدية . . . وأصابت ضربته الأولى أحد الفتيان المهاجمين فارتقى على الأرض فاقد النطق . . . وعندما شاهد المهاجمون هذا المنظر ، ألقوا بعصيتهم على الأرض وانتابتهم حالة من الذعر ولاذوا بالفرار .

وانطلقت على أثرهم جميع حيوانات المزرعة ، وأشبعتهم عَصًا ورفسًا ودوسًا . . كل حيوان بطريقته الخاصة . . حتى القطة قفزت من فوق السطح على كتفى أحد المهاجمين وغرزت مخالبها فى عنقه . . وفى خلال دقيقة واحدة أصبحت « مزرعة الحيوان » خالية من أى إنسان !

وبعد أن عادت الحيوانات إلى فناء المزرعة ، وجدت الحصان « بوكسر » واقفًا بجوار الفتى الملقى على الأرض منذ أن رفسه رفسة قوية . . وكان « بوكسر » يشعر بحزن عميق حين قال « لسنوبول » : لقد مات الفتى . . ولم أكن أقصد قتله . . فليست لدى رغبة فى قتل أحد حتى ولو كان من البشر .
قال « سنوبول » : الحرب هى الحرب يا صديقى . .

وعندما اجتمعت الحيوانات للاحتفال بنصرهم المؤزر . . أخذوا ينشدون أغنية الثورة عدة مرات . . وقرروا بالإجماع ابتكار وسام عسكرى أطلقوا عليه « بطل الحيوانات من الدرجة الأولى » . . وابتكروا وسامًا آخر أطلقوا عليه « بطل الحيوانات من الدرجة الثانية » وانعموا به على خروف قد قتل أثناء المعركة .

وعندما عثروا على بندقية « مستر جونز » . . علموا أن هناك مخزونًا من الذخيرة فى إحدى حجرات القصر . . وقرروا وضع هذه البندقية عند أسفل سارية العلم كقطعة مدفعية كما قرروا إطلاقها فى أول ذكرى سنوية للمعركة التى خاضوها دفاعًا عن المزرعة !



فى بداية فصل الشتاء ، أصبحت الفرسة « مولى » تثير كثيراً من المشاكل . . وكانت تمتنع عن العمل بعد أن تقدم أعذاراً غير مقنعة . . وفى يوم ما بينما كانت تسير فى الفناء معجبة بنفسها ، استوقفتها الفرسة « كلوفر » وسألتها : « مولى . . لقد رأيتك هذا الصباح وأنت تتطلعين من فوق السور الذى يفصل مزرعتنا عن المزرعة المجاورة . . ورأيتك وأنت تتحدثين إلى صاحب تلك المزرعة الذى كان يربت على رأسك . . فما معنى ذلك يا مولى . . ؟ !

وصاحت « مولى » قائلة : هذا غير صحيح !

وقالت « كلوفر » : ولكنى رأيت ذلك بعينى !

وكررت « مولى » قولتها : هذا غير صحيح . . ثم انطلقت هاربة نحو الحقل . .

وبعد ثلاثة أيام اختفت « مولى » من المزرعة . . وأفادت الحمامات بأنها رأتها فى المزرعة المجاورة . . ورأت صاحب المزرعة وهو يعطيها بعض قطع السكر فى فمها .

وفى تلك الأيام ازدادت الخلافات بين « سنوبول » و « نابليون » . . فقد اقترح « سنوبول » على الحيوانات التى تقوم بإنشاء طاحونة يمكن تشغيلها لمولد كهربائى يوفر الضوء فى كل الحظائر كما يوفر الدفء أيام الشتاء ، كما يقوم بتشغيل ماكينة حلب كهربائية . . وقام « سنوبول » باقناع الحيوانات

بأن هذه الآلات ستوفر الراحة للحيوانات وستقلل من أعباءهم بحيث لن تحتاج الحيوانات لأكثر من ثلاثة أيام عمل في الأسبوع .

وعلى الفور عارض « نابليون » مشروع هذه الطاحونة بمنتهى القوة ، وقال : إن مهمتنا هي زيادة انتاج الطعام . . وإذا ضيعنا الوقت في انشاء تلك الطاحونة فستموت الحيوانات كلها من الجوع . .

وهكذا انقسمت حيوانات المزرعة إلى حزينين ، واتخذ كل حزب شعاراً خاصاً به . . فقد اتخذ حزب « سنوبول » شعار « صوتوا لسنوبول ولثلاثة أيام عمل في الأسبوع » . . واتخذ حزب « نابليون » شعار « صوتوا لنابليون من أجل المزيد من الطعام » !

ومع ذلك فقد استمر « سنوبول » في وضع الخطط الخاصة بانشاء الطاحونة . . وألقى خطبة صور فيها بعبارات براقية ما ستكون عليه المزرعة حين يرفع عبء العمل عن كاهل الحيوانات . . حيث أن الآلات الكهربائية ستقوم بعمليات حراثة الأرض ، وتمهيد الأرض المحروثة ، وأعمال الحصاد ودرس الحبوب بالاضافة إلى توفير الإضاءة والماء الساخن والبارد . . وهنا لم يعد هناك شك في أن تصويت الحيوانات سيكون في صالحه .

وعلى الفور أطلق « نابليون » صفارة ، فظهرت تسع كلاب ضخمة تعوى عواء مخيفاً وهجمت مباشرة على « سنوبول » الذى وثب من مكانه ولاذ بالفرار . . ولكن الكلاب أخذت تجرى وراءه إلى أن انزلق في حفرة عند السور ، ولم يره أحد بعد ذلك .

احتارت الحيوانات في أمر تلك الكلاب الشرسة وتساءلت من أين جاءت . . ثم انكشف الأمر حين علمت بأنها الكلاب التسعة التي أخذها « نابليون » وقام بتربيتها على الشراسة والتوحش والطاعة لكل أوامره .

وعندما استتب الأمر وأصبح « نابليون » الحاكم الأمر الناهي لمزرعة الحيوان ، أعلن ان الاجتماعات ستتوقف من الآن . . وقال إنها غير ضرورية ومضیعة للوقت . . وأعلن تكوين لجنة مختصة من الخنازير يرأسها هو ، للبت في جميع الأمور المتعلقة بالعمل في المزرعة . وستقوم اللجنة باخبار الحيوانات بما يتقرر . . وأن في إمكان الحيوانات الاجتماع صباح كل أحد لتحية العلم وإنشاد أغنية الثورة ، وتسلم أوامر الأسبوع . . ولكن لن يكون هناك جدال أو نقاش !

وحاولت بعض الحيوانات التذمر احتجاجًا على هذه الأوضاع الجديدة . . ولكن الكلاب نبحت عليها نباحًا عاليًا فسكتت الحيوانات على الفور .

وقد اعتاد « نابليون » الجلوس على منصة عالية وبجواره الخنزير «سكويلر» وخنزير آخر اسمه « مينيموس » كانت له موهبة في تأليف الأغاني ونظم قصائد المديح في « نابليون » ونظام حكمه .

وبعد حوالى أسبوعين من طرد « سنوبول » واختفائه . . أعلن « نابليون » ضرورة انشاء الطاحونة دون أن يعطى أى سبب لتغيير رأيه . . وقام «سكويلر» بإفهام الحيوانات بأن فكرة الطاحونة كانت من أفكار «نابليون» وأن تصميم الطاحونة الذى ادعاه « سنوبول » قد سرق من بين أوراق

«نابليون» . . وهنا تساءلت بعض الحيوانات : ولكن لماذا كان « نابليون » يعارض فكرة إنشاء الطاحونة في بداية الأمر ؟!

فقال « سكويلر » : لقد تظاهر بأنه يعارض الطاحونة كمنافرة للتخلص من « سنوبول » . . وهذا أيها الرفاق ما يسمى بالتكتيك . . التكتيك يا رفاق قد يكون صعباً على أفهامكم . . ولكنه التكتيك أولاً وأخيراً !!



وعلى مدى الأيام والأسابيع والشهور ، ظلت الحيوانات تعمل كالعبيد ، ولكنها كانت تحصل على طعامها المناسب . . كما تضخمت شخصية «نابليون» إلى حد كبير وكثرت أوامره ونواهيه التي كان يصدرها منفرداً . . وكان يعتمد على « سكويلر » لشرح وتبرير هذه الأوامر .

وكانت هناك عدة صعوبات تعترض إنشاء الطاحونة . . منها مشكلة تقطيع الأحجار الكبيرة إلى قطع صغيرة ، وهى عملية شاقة بذلت فيها الحيوانات كثيراً من الجهد . وظهر فى المزرعة شعار جديد هو « نابليون دائماً على حق » . وكان على الحيوانات أن تردده بين حين وآخر ، وفور صدور أى أمر من أوامر « نابليون » .

وفى خلال فصل الصيف ، ظهرت الحاجة الملحة إلى مجموعة من الأشياء الناقصة مثل الزيت والمسامير والخيوط وبسكويت الكلاب ، والحديد الخاص بنعال الجياد . . بالإضافة إلى الحاجة إلى البذور والسماد . . علاوة على الماكينات الخاصة بالطاحونة . . ولم يكن أى حيوان من حيوانات المزرعة يعرف أى طريقة لتدبير هذه الاحتياجات والحصول عليها .

وفى أحد الاجتماعات التى تعقد صباح أيام الأحد ، أعلن « نابليون » انه قرر تنفيذ سياسة جديدة للمزرعة . . حيث تقوم المزرعة بالتعامل التجارى مع المزارع الأخرى المجاورة ، وتبيع منتجاتها فى سوق بلدة « ويلينجدون » المجارة حيث يمكن بيع البيض الذى تنتجه الدجاجات . . وهنا شعرت الحيوانات بالقلق ، لأنها تذكرت التوصيات التى اتخذتها عندما تم طرد «مستر جونز» من المزرعة ، حيث تقرر عدم مزاولة التجارة وعدم التعامل مع البشر.

وعندئذ قال « نابليون » إنه سيأخذ الأمر على عاتقه ، وإنه قد اتفق مع «مستر ويمبر» وهو أحد المحامين الذين يعملون فى بلدة « ويلينجدون » على أن يزور المزرعة صباح كل يوم إثنين ليتلقى أوامره وينفذ طلباته . . وأنهى «نابليون» حديثه بهتاف : « تحيا مزرعة الحيوان » . . وطلب من الحيوانات أن تنشد معاً أغنية الثورة !

وبالفعل بدأ « مستر ويمبر » يحضر إلى المزرعة فى المواعيد المتفق عليها ليتلقى أوامر « نابليون » .

وفى أحد الأيام علمت الحيوانات بأن الخنازير أصبحت تنام على الأسرة بداخل حجرات القصر . . وهو أمر يخالف تمامًا الوصية رقم (٤) التى تقول : « يحظر على الحيوان أن ينام على سرير » . وبدأت الحيوانات فى التذمر، فأسرع « سكويلر » بشرح الأمر وتوضيح السبب فى نوم الخنازير على الأسرة فقال : إن الخنازير تبذل جهداً فى إدارة المزرعة ومن حقها أن تنام على

أسرة تكون غير مفروشة بالملاءات . . واصطحب الحيوانات لقراءة الوصية رقم (٤) حيث وجدوها مكتوبة هكذا : « يحظر على الحيوان أن ينام على سرير له ملاءات » . . وأدرك بعض الحيوانات الأذكاء أن هاتين الكلمتين الأخيرتين قد أضيفتا عمداً إلى نص الوصية .

وفي خلال شهر نوفمبر ، هبت رياح عنيفة جداً فاهتزت مباني المزرعة وطارَت أسقفها . . وسقطت سارية العلم . . كما وقعت مصيبة كبرى . . فقد تحطمت مباني الطاحونة عن آخرها !!

عقد « نابليون » اجتماعاً فورياً وألقى خطبة قال فيها : أيها الرفاق . . هل تعرفون من هو المسئول عن كل هذه المصائب ؟! . . انه عدونا اللدود «سنوبول» الذى حضر ليلاً وحطم الطاحونة . . وإنى على استعداد أيها الرفاق أن أمنح « وسام بطل الحيوانات من الدرجة الثانية » بالإضافة إلى مكيال من التفاح إلى أى حيوان يقبض على هذا العدو البغيض . . وإن أعلن لكم انى أصدرت حكم الاعدام على هذا العدو . . والآن لنهتف جميعاً : « تحيا مزرعة الحيوان » !!



● بالرغم من برودة فصل الشتاء ، بذلت الحيوانات جهوداً مضنية لمحاولة إعادة بناء الطاحونة بشكل أفضل . . وكان « سكويلر » يلقي بين حين وآخر خطاباً ممتازة عن متعة الخدمة العامة وحب العمل . وفي خلال شهر يناير حدث نقص فى كميات الطعام التى كانت تقدم للحيوانات ،

وتم إنقاص حصص الذرة ، كما فسد محصول البطاطس فى المخازن بسبب البرد والجلىد . . وبطبيعة الحال فقد كان لا بد من إخفاء هذه الأخبار عن أصحاب المزارع المجاورة لمزرعة الحيوان ، وقد استغل « نابليون » المستر « ويمبر » فى ترويج أخبار زائفة عن عدم وجود أية مشكلة غذائية فى مزرعة الحيوان .

ومع ذلك فقد كان لابد من تدبير الحبوب اللازمة لغذاء الحيوانات ، وقد قل ظهور « نابليون » خارج القصر . . وعندما ظهر أخيراً ، كانت تحيط بمجموعة الكلاب الشرسة التى تكشر عن أنيابها عند اقتراب أى حيوان . وفى أغلب الأحيان كان « سكويلر » يتولى إبلاغ جميع الحيوانات بالأوامر والقرارات التى يصدرها « نابليون » .

وفى صباح أحد أيام الأحد أعلن « سكويلر » أن « نابليون » قرر توريد أربعمئة بيضة كل أسبوع لتباع فى الأسواق القريبة وتوجيه ثمنها لشراء الحبوب . . وعندما سمعت الدجاجات هذا القرار أطلقت صرخات عالية مدوية . . وتزعمت ثلاث دجاجات سوداء هذا الاحتجاج فأمر « نابليون » باعدامهم فوراً ، وتولت الكلاب هذه المهمة . . كما أمر بتنفيذ حكم الإعدام فى تسع دجاجات أخرى . . أما البيض فقد كان يسلم فى مواعده كل أسبوع .

وفى خلال تلك الفترة ذاعت فى أرجاء المزرعة إشاعات تقول إن « سنوبول » يحضر إلى المزرعة كل ليلة تحت جناح الظلام ، ويقوم بسرقة

الذرة، ويسكب أوعية الحليب، ويهشم البيض، ويحطم أشجار الفاكهة . . وأن أى خطأ يحدث فى المزرعة ينسب فوراً إلى « سنوبول ». وقام «سكويلر» بإلقاء خطبة بليغة ذكر فيها أن « سنوبول » قد باع نفسه لأصحاب المزرعة المجاورة وتحالف معهم على إلحاق الأذى بالمزرعة وبكل ما فيها من حيوانات .

ولكن بعض الحيوانات بدأت تدافع عن « سنوبول » وشجاعته أثناء المعركة التى خاضوها ضد « جونس » ورجاله . . عندئذ أمر «نابليون» بعقد اجتماع فورى فى ساحة المزرعة . . . وظهر وهو يتحلى بميدالية « بطل الحيوانات من الدرجة الأولى » التى منحها لنفسه . . وميدالية « بطل الحيوانات من الدرجة الثانية » . وكانت معه كلابه التسعة وهى تزجر وتنبح نباحاً عالياً أوقع الرعب فى قلوب جميع الحيوانات . . وعلى الفور أصدر «نابليون» أمره بإعدام جميع الحيوانات التى دافعت عن « سنوبول » أو قالت عنه كلمة طيبة .

وبعد انقضاى هذا الاجتماع الدموى ، بدأت الحيوانات فى الانصراف وهى تشد « أغنية الثورة » بطريقة فاترة . . وهنا استوقفها « سكويلر » وأعلن أن « الرفيق نابليون » أصدر قراراً بالغاء هذه الأغنية حيث لم يعد لها أى لزوم . . وقرر بدلاً منها أغنية جديدة من تأليف الخنزير الشاعر «مينيموس» تقول كلماتها :

مزرعة الحيوان . . مزرعة الحيوان . .

لن يصيبك أذى عن طريقى . . !

وتقرر انشاد هذه الأغنية الجديدة فى صباح كل يوم أحد بعد رفع العلم . . ولكن الحيوانات كانت تشعر بأن كلمات الأغنية أو لحنها ليسا فى مستوى أغنية الثورة .

* * *

وتناقشت الحيوانات فيما بينها حول نص الوصية السادسة التى تقول : « يحظر على الحيوان قتل أى حيوان آخر » وتساءلت كيف تم تنفيذ عمليات الاعدام والقتل بالرغم من نص هذه الوصية . وقام « سكويلر » على الفور بتوضيح هذا الأمر ، فاصطحب الحيوانات إلى المنصة الكبية التى كتبت عليها الوصايا السبع وقال لهم : يبدو انكم نسيتم نص هذه الوصية . . فهى تقول بوضوح : « يحظر على الحيوان قتل أى حيوان آخر دون سبب » . . وقد تم تنفيذ اعدام وقتل الحيوانات الخونة الذين تحالفوا مع « سنوبول » . . وهنا أيضا أدرك بعض الحيوانات الأذكاء أن كلمتى « دون سبب » قد أضيفتا عمداً إلى نص الوصية الأصلية .

وبمرور الوقت لم يعد « نابليون » يذكر باسم « الرفيق نابليون » فقط . . بل أصبح يذكر بطريقة رسمية مثل « قائدنا الرفيق نابليون » كما ابتدعت له ألقاب جديدة مثل « والد جميع الحيوانات » . . و « مرعب البشر » . . و « حامى قطيع الخراف » . . و « صديق البط » . . إلخ . .

وكان « سكويلر » فى خطبه يتحدث والدموع تتساقط على خديه . . عن

«حكمة نابليون . . وطيبة قلبه . . وحبه العميق لجميع الحيوانات» . وكثيراً ما كانت تقول إحدى الدجاجات : تحت رعاية قائدنا الحبيب الرفيق نابليون وضعت خمس بيضات في ستة أيام .

كما نظم الخنزير الشاعر « مينيموس » قصيدة رقيقة تحت عنوان «الرفيق نابليون» قال فيها :^١

« يا صديق اليتامى . . يا منعم القوت والغذاء . . كم تنبهر روحى حين أنظر إليك . . وأرى الوداعة فى عينيك . . أيها الرفيق نابليون . . أنت واهب كل ما تحبه كائناتك . . تهبها الطعام المشبع مرتين فى اليوم . . والقش النظيف الذى تنام عليه فى سلام . . بداخل حظائرها . . تنام فى سلام لأنك ترعاها . . أيها الرفيق نابليون . . إن كل خنزير يولد سيكون مخلصاً لك . . وسيهتف باسمك !! » .

وعندما ذاعت إشاعة جديدة بأن المزرعة ستعرض للهجوم من جانب أصحاب المزارع المجاورة ، اتخذت تدابير وقائية لحماية « نابليون » . . حيث قامت أربعة كلاب بحراسة سريه عندما ينام . . كما تم تكليف خنزير صغير اسمه « بينكى » بتذوق طعامه قبل أن يتناوله ، خشية أن يكون الطعام مسموماً !

وفى فصل الخريف ، وبعد مجهود شاق ، أكملت الحيوانات مبنى الطاحونة ، وبقي تركيب الآلات والماكينات . . وقام « نابليون » بتفويض مستر « ويمبر » فى أمر شرائها . . وحتى يمكن تدبير الثمن ، فقد أمر

«نابليون» ببيع كمية من الأخشاب كانت موجودة بالمزرعة إلى صاحب المزرعة المجاورة «مستر فريدريك» . . وكان صاحب مزرعة مجاورة أخرى اسمه «بلكينجتون» قد عرض شراء هذه الأخشاب مقابل ورقة تسمى شيك ، إلا أن «نابليون» رفض هذا العرض ، وباع الأخشاب لمستر «فريدريك» مقابل أوراق نقدية من فئة الخمسة جنيهات . . وكان المبلغ المدفوع كافياً لشراء ماكينات الطاحونة .

ولكن بعد ثلاثة أيام تبين أن النقود التي دفعها «فريدريك» مزورة ولا تساوى شيئاً . . وعندئذ قام «نابليون» باستدعاء جميع الحيوانات فوراً ليخبرهم بهذا الخبر الفظيع ، وبأنه قد أصدر حكماً باعدام هذا المجرم بإلقائه في الماء المغلي حياً بعد القبض عليه . . كما أخبر الحيوانات أيضاً بأن من المحتمل أن يقوم هذا المجرم المسمى «فريدريك» بالهجوم على مزرعة الحيوان في أية لحظة . . ولذلك فقد أمر بتشديد الحراسة على جميع منافذ المزرعة ، واستنفار جميع الحيوانات للدفاع عن المزرعة عند الهجوم المتوقع عليها .

وفي صباح اليوم التالي وقع الهجوم المرتقب . . حيث جاء «فريدريك» ومعه خمسة عشر رجلاً يحملون ست بنادق ، أخذوا يطلقونها صوب الحيوانات فسقط بعضهم قتلى . . وسقط آخرون جرحى . . وفرت بقية الحيوانات مختبئة داخل حظائرها . وراحت ترقب ما سوف يقوم به المهاجمون بعد ذلك . . فرأوا بعض الرجال يحفرون ثقباً في جدار الطاحونة ووضعوها فيه المتفجرات . . وبفعل الانفجار الكبير طارت مباني الطاحونة في الهواء وأصبحت كأن لم تكن !

ويبدو أن نفس الطاحونة بهذا الشكل قد استفز الحيوانات فخرجوا جميعًا من مخابئهم وبدأوا هجومًا شرسًا ضد المهاجمين الرجال ، كما اندفعت الكلاب الشرسة نحو المهاجمين وأشبعتهم عضًا ورعبًا ، كما قامت الجياد برفس المهاجمين بكل قوة وعنق إلى أن لاذوا جميعًا بالفرار طلبًا للنجاة من هذا الهجوم المباغت الشرس ، وخرجوا من المزرعة مهزومين .

لقد انتصرت الحيوانات في نهاية الأمر ، ولكنها كانت متعبة ومرهقة ومثخنة بالجراح . . . وعندما شاهدت جثث قتلاها مسجاة فوق العشب ، سالت دموعها . . . وأخيرًا ظهر « سكويلر » الذي كان مختبئًا طول الوقت وقال بابتهاج وهو يهز ذيله : « إن قائدنا الرفيق نابليون » أمر باطلاق سبع طلقات من البندقية احتفالاً بانتصارنا على الرجال المهاجمين . . . كما أمر باعداد جنازة تليق بالحيوانات الذين قتلوا في المعركة . . . وتخصيص يومين حدادًا عليهم . . . كما أمر بابتداع وسام جديد هو « وسام الراية الخضراء » وقد منحه لنفسه . . . وأمر كذلك بتقديم تفاحة كهدية خاصة لكل حيوان ، مع منح أوقيتين من القمح لكل طائر ، وثلاثة قطع من البسكويت لكل كلب !



كان الحصان « بوكسر » قد أصيب بشق في حافره أثناء دفاعه المجيد في المعركة . . . ولكنه كان يتناسى آلامه ولا يبوح بها لأحد سوى صديقه الفرسة « كلوفر » عندما كانا يستريحان من العمل أثناء المساء . وكانت « كلوفر »

تعالجه بكما دات من الأعشاب التى تعدها بعد مضغها . . وكانت تنصحه
بألا يبذل كل جهده فى الأعمال الشاقة التى يقوم بها ، ولكنه كان يرفض تلك
النصيحة ويقول دائماً إن أمله الوحيد أن يساهم بكل جهده فى إعادة بناء
الطاحونة حتى يراها وهى تبدأ العمل قبل أن يبلغ سن التقاعد فى أواخر
الصيف القادم .

وفى الحقيقة كان العمل أثناء فترة الشتاء شاقاً للغاية ، خصوصاً بعد أن
تم تخفيض حصص الطعام بالنسبة لجميع الحيوانات باستثناء الحصص التى
كانت تصرف للخنازير والكلاب . . وقد احتج بعض الحيوانات على هذا
التمييز . ورفعوا شكواهم إلى « سكويلر » قائلين إن هناك وصية تقول :
« جميع الحيوانات متساوية » . . فرد عليهم بكل بساطة قائلاً إن هذه الوصية
قد عدلت وأصبح نصها : « جميع الحيوانات متساوية . . ولكن بعضها أكثر
مساواة عن الآخرين !! »

وكان « القائد الرفيق نابليون » قد أمر بإقامة مظاهرة لرفع الروح المعنوية
للحيوانات تقام مرة كل أسبوع وذلك للاحتفال بتمجيد العمل والكفاح
والانتصارات التى حققتها مزرعة الحيوان . . وفى هذه المظاهرة تجتمع
الحيوانات فى تشكيل عسكرى فى مقدمته الخنازير ثم الجياد فالأبقار فالخرف
وفى مؤخرته طواير الدجاج . . وبطبيعة الحال فقد كان « القائد الرفيق
نابليون » يسير على رأس هذا التشكيل العسكرى ومن حوله الكلاب
التسعة . . أما الحصان « بوكسر » والفرسة « كلوفر » فكانا يحملان الراية

الخضراء التى تحمل شعار « الحافر والقرن » وشعاراً آخر كتب عليه « يحيا الرفيق نابليون » . . وبعد ذلك يستمع الحيوانات إلى قصائد المديح التى تلقى على شرف « نابليون » . . وإلى إحدى الخطب البليغة التى يلقيها «سكويلر» والتى يؤكد فيها دائماً ان الانتاج الغذائى قد ارتفع بمعدل ٢٠٠٪ أو ٣٠٠٪ أو ٥٠٠٪ حسب الأحوال .

وفى شهر ابريل أعلن « نابليون » تحويل مزرعة الحيوان إلى جمهورية . . وأصبح من الضرورى انتخاب رئيس لهذه الجمهورية . . ولم يكن هناك سوى مرشح وحيد لشغل هذا المنصب وهو « نابليون » الذى تم انتخابه بالتزكية وباجماع تام .

وبعد شفاء حافر « بوكسر » عاود العمل الشاق بجهد أكبر . . ولكنه أصبح ضعيف الجسم مهدود القوى . . ومع ذلك فقد واصل العمل دون كلل إلى أن سقط على الأرض ولم يستطع النهوض . . وهرعت إليه جميع حيوانات المزرعة . . فوجدوه ممدداً لا يقوى على رفع رأسه ، وكانت عيناه تلمعان وجسمه يتصبب عرقاً ، ويسيل من فمه خيط رفيع من الدم . وانزعجت « كلوفر » وطلبت من أحد الحيوانات أن يسرع بإبلاغ «سكويلر» بما حدث .

وجاء « سكويلر » وتعاطف مع « بوكسر » وقال إن « الرفيق نابليون » قد علم ببلاغ الأسف بما حدث لواحد من أخلص العاملين فى المزرعة . . وانه قام بترتيبات إرسال « بوكسر » للعلاج فى المستشفى البيطرى ببلدة

«ويلينجدون» . . وانزعجت الحيوانات عندما سمعت بأن « بوكسر » سيخرج من المزرعة . . وطلبوا من « سكويلر » أن علاجه بداخل المزرعة . . لكن « سكويلر » أقنع الحيوانات بقدرة الطبيب البيطرى فى المستشفى على علاج « بوكسر » وشفائه فى أقل وقت ممكن .

وعندما استعاد « بوكسر » بعض قوته قام متثاقلاً . . ونام على فراش مريح من القش أعدته « كلوفر » بداخل الحظيرة . . وظل راقداً لمدة يومين . . وفى اليوم الثالث وصلت العربى التى ستأخذ «بوكسر» إلى «ويلينجدون» وتزاحمت الحيوانات حول العربى وهى تصيح : وداعاً يا بوكسر . . وداعاً .
ولكن أحد الحيوانات صاح فيهم قائلاً : أيها الأغبياء . . ألا ترون ما هو مكتوب على جوانب هذه العربى ؟! . .

وهنا قام أحد الحيوانات بقراءة الكتابة وقال بانزعاج : « ألفريد سيمونز . . ذابح جياذ . . وصانع غراء . . وتاجر جلود الحيوانات !! » . . ثم صاح قائلاً : إنهم سيأخذون « بوكسر » إلى هذا التاجر الذى سيقوم بذبحه وتقديم لحمه طعاماً للقطط والكلاب . . وسيقوم ببيع جلده !

وعندئذ بدأت الحيوانات فى الصياح والصراخ وأخذت تنادى على «بوكسر» بعد أن قام سائق العربى بغلق الباب عليه : بوكسر . . بوكسر . .
أخرج يا بوكسر ! اخرج بسرعة . . !!

ولكن العربى أسرع بالسير . . بينما كان « بوكسر » يرفس جوانبها بكل

ما كان يستطيعه من قوة . . ولكن وأسفاه . . فقد خرجت العربية من المزرعة منطلقة بأقصى سرعة ، واندفعت مخفية على الطريق . . ولم يظهر « بوكسر » بعد ذلك أبدًا . . !

وبعد نحو ثلاثة أيام ، أعلن « سكويلر » أن « بوكسر » قد توفي في المستشفى بالرغم من علاجه بأكبر قدر من العناية والرعاية . . وذكر أن « الرفيق نابليون » لم ييخل بتكاليف العلاج بالأدوية الغالية ولا بأجر الطبيب البيطرى .

ثم جاء « نابليون » بنفسه وألقى خطبة قصيرة قال فيه انه يشعر بالحزن والأسى لفراق « بوكسر » . . وقال انه لم يكن من الممكن إعادة جثمان « بوكسر » ليدفن في المزرعة . . لذلك فقد أمر بارسال إكليل كبير من أجمل الزهور ليوضع على قبره . . وفي النهاية قام « نابليون » بتذكير الحيوانات بحكمة « بوكسر » التى كان يقول فيها « سأبذل كل جهدى فى العمل » . . والحكمة الأخرى التى كان يقول فيها « نابليون دائماً على حق » . . وأوصى جميع الحيوانات بأن تعمل طبقاً لهاتين الحكمتين تمجيذاً للذكرى « بوكسر » .



ومرت سنوات . . وازدادت أعداد الحيوانات فى المزرعة نتيجة للتوالد . . ومات العديد من الحيوانات التى كانت تعيش فى المزرعة منذ أيام « جونس » وأيام الثورة . . وأصبحت أفكار الثورة مجرد ذكريات تتحدث بها الحيوانات الجديدة . . وترهل جسم « نابليون » وأصبح سميناً للغاية . . وتغيرت

أحوال كثيرة فى طريقة عمل الحيوانات فى المزرعة . خصوصاً بعد أن اكتمل بناء الطاحونة من جديد وتزويدها بالآلات والماكينات اللازمة .

ومن الغريب أن الخنازير تعلمت الوقوف والمشى على قدميها الخلفيتين تقليدًا لبنى البشر . . . واستطاع « نابليون » أن يقيم علاقات ودية مع جميع أصحاب المزارع المجاورة . . . بل وكان يدعوهم للحضور إلى المزرعة ليتفقدوا بأنفسهم أحوال العمل فى المزرعة واستقرار الأمن والنظام بين جميع الحيوانات التى تعيش تحت قيادته .

ومن الغريب أيضًا أنه سمح للخنازير وحدهم بتناول المشروبات الروحية بالرغم من الوصية التى تقول : « يحظر على الحيوانات شرب الخمر » . . . وقد قام « سكويلر » بتبرير هذا الاستثناء بأن الخنازير يبذلون جهودًا كبيرة كل يوم فى أعمال غامضة تستعصى على أفهام بقية الحيوانات الأخرى . . . مثل إعداد « الملفات » و « التقارير » و « محاضر الجلسات » وكتابة « المذكرات » . . . ولذلك فمن حقهم أن يروحوا على أنفسهم بعد هذا العناء .

وفى فترة بعد الظهر فى أحد الأيام ، وصلت إلى المزرعة بعض العربات التى تحمل مجموعة من أصحاب المزارع المجاورة الذين تمت دعوتهم لزيارة المزرعة . . . حيث قام هؤلاء المزارعون بالتجول فى أرجاء المزرعة . . . وأبدوا إعجابهم بطريقة سير العمل . . . كما أبدوا إعجابهم الشديد بالطاحونة وطريقة تشغيل آلاتها وماكيناتها . . . وازداد إعجابهم أكثر وأكثر حين شاهدوا حيوانات المزرعة وهى تقوم بإنشاء طاحونة ثانية .

وقرب المغرب دخل أصحاب المزارع إلى الصلاة الكبرى بالقصر الملحق
بالمزرعة حيث يعيش « نابليون » وجلسوا على مائدة كبيرة مع مجموعة
الخنازير وعقدوا اجتماعًا برئاسة « نابليون » . . وسرعان ما تحول هذا
الاجتماع إلى احتفال صاخب تبودلت فيه كؤوس الخمر بين الخنازير وبين
المزارعين البشر ، كما تبودلت فيه أيضًا بعض الخطب الحماسية الى تعبر عن
الصداقة والود الحميم بين هؤلاء البشر وهؤلاء الخنازير .

وبعد انتهاء الخطب ، بدأوا في لعب « القمار » بأوراق « الكوتشينة » . .
ولكن في خلال فترة قصيرة حدثت ضجة كبيرة اشترك فيها الجميع بعد أن
اكتشفت الخنازير أن البشر يغشون في اللعب . . وازداد الصياح والصراخ
وتحول اللعب إلى شجار يصعب التمييز فيه بين صياح هؤلاء البشر وصياح
هؤلاء الخنازير . . !!



لأديب مصرى قديم مجهول

سسنوحى

● قبل قراءة القصة :

من المؤكد أن هذه القصة كتبت في أوائل عصر الأسرة الثانية عشرة وبداية عصر الدولة الوسطى حوالي عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد . وهى مكتوبة بصيغة المتحدث ، حيث يروى لنا بطلها « سنوحى » ما مر بحياته من أحوال وأحداث منذ أن غادر مصر هارباً إلى أن عاد إليها معزراً مكرماً .

وقد ذاعت هذه القصة وانتشرت منذ كتابتها على مدى مئات السنين بعد أن أصبحت من المقررات الدراسية فى المدارس المصرية القديمة ، وبالتالي فقد ظلت تنسخ وتقرأ - كلها أو بعض فقراتها الهامة - بواسطة تلاميذ المدارس وطلبة العلم ، باعتبارها مثلاً راقياً لأروع ما كتبه الأدباء المصريون القدماء .

وتتميز قصة سنوحى بأنها مزيج جيد من الخيال ووقائع وأحداث تاريخية حدثت بالفعل ، بالإضافة إلى أسلوبها الانشائى البليغ فى وصف الأحداث ووصف الشخصيات المصرية والأجنبية الذين ورد ذكرهم فيها .

وقد قام المؤرخ وعالم الآثار الشهير « جاردنر » بترجمة هذه القصة عن

نصها المكتوب باللغة المصرية القديمة إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩١٥ ، وقال عنها إنها تعد من روائع الأدب الكلاسيكى العالمى ، وتدل على مهارة الأديب المصرى القديم وقدرته الفائقة على الصياغة الأدبية بأسلوب يتميز بركة التعبير عن الأحاسيس الانسانية .

كذلك فقد قام المؤرخ وعالم الآثار الشهير « إرمان » بترجمتها إلى اللغة الألمانية ضمن كتابه الرائع عن « الأدب المصرى القديم » . . كما ترجمت إلى اللغة الفرنسية ، ثم قام بعض النقاد ومؤرخى الأدب بدراسة القصة وتقييمها فى ضوء مفاهيم النقد الأدبى الحديث .

وكما كانت قصة سنوحى محل اهتمام المؤرخين وعلماء الآثار الأجانب . . فقد كانت أيضًا محل إهتمام المصريين القدماء باعتبارها من أحب القصص إلى قلوبهم وأذهانهم ، لما فيها من المغامرات التى قام بها أحد المصريين فى البلاد الأجنبية ، ولما تتضمنه من مثل عليا تحفز المصريين على حب وطنهم الغالى فى الأرض المصرية ، ولما تدعو إليه من تمجيد للمشاعر الوطنية والأخلاقية المصرية الصميمة .

ولهذه الأسباب فقد تفاوت تقييم هذه القصة عندما درسها نقاد ومؤرخو الأدب المحدثون . . فقد صنفها بعضهم ضمن « أدب الرحلات » . . وصنفها آخرون ضمن الأدب السياسى والقصص ذات الطابع الوطنى .

وهناك نصان عربيان لتلك القصة الرائعة . . النص الأول ترجمة قام بها المؤرخ وعالم الآثار الأستاذ الدكتور سليم حسن ، وردت فى الجزء الأول من

كتابه « الأدب المصرى القديم » . . والنص الثانى ترجمة قام بها المؤرخ وعالم الآثار الأستاذ الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف ، وردت فى كتابه « فى الأدب المصرى القديم » . وقد ورد فى هذا الكتاب الأخير تعليق على القصة كتبه المؤرخ وعالم الآثار الأستاذ الدكتور محمد أنور شكرى . . وقد اعتمدنا على هاتين الترجمتين فى تقديم هذا الموجز لقصة « سنوحى » .



أنا « سنوحى » الأمير الوراثى ، ومدير ضياع الملك فى البلاد الآسيوية ، والخدام المحبب لقلب الملك « أمنمحات الأول » ، وخدام الأميرة صاحبة الشئاء العظيم ، زوجة الأمير « سنوسرت » .

وفى السنة الثلاثين ، فى اليوم التاسع من الشهر الثالث من فصل الفيضان صعدت روح الملك « أمنمحات الأول » إلى السماء . . فامتلات القلوب حزناً وأسى . . وأغلق باب القصر الملكى . . وجلس رجال القصر ورؤوسهم على ركبهم ، والناس من حولهم يبكون من شدة الحزن .

وكان جلالته قد أرسل جيشاً بقيادة ابنه البكر « سنوسرت » لتأديب الليبيين فى الصحراء الغربية الذين كانوا يهاجمون تخوم الدلتا لممارسة أعمال السلب والنهب . . وقد انتصر الجيش المصرى عليهم ، وتم أسر الكثيرين منهم ، والاستيلاء على أنواع من المواشى لا حصر لها .

أرسل القصر الملكى مندوبين ليخبروا الأمير « سنوسرت » بالحادث الذى وقع فى البلاط . فلم يتأخر الأمير لحظة ، وانطلق على الفور عائداً إلى القصر

الملكى دون أن يخبر جيشه بشىء . . ثم جاء رسل آخرون ليخبروا أبناء الملك الآخرين المشتركين فى الجيش بالحادث الذى وقع لأبيهم . . وقد سمعت ما قاله هؤلاء الرسل للأمراء لأنى كنت قريباً منهم . . وعندئذ انتابنى خوف شديد وكاد قلبى أن يحترق ، وارتخت ذراعائى وارتعدت جميع أعضاء جسمى . . وأخذت أبحث عن مكان أختبئ فيه (*) .

وكان أن وليت وجهى نحو الجنوب . . وقررت ألا أعود إلى القصر ، خوفاً من حدوث أية فتنة لا أضمن حياتى بعدها . . وعبرت مزارع الجميز، وقضيت النهار . . وعندما استأنفت الرحيل قابلنى رجل قام بتحيتى باحترام شديد ، ومع ذلك فقد خفت منه وواصلت السير . . وعبرت النهر فى زورق بلا مجاديف ولا شراع معتمداً على ريح الغرب إلى أن وصلت إلى منطقة « الجبل الأحمر » . . ومن هناك واصلت السير نحو الشمال إلى أن ظهرت أمامى « قلعة الأمير » التى شيدناها لصدهجمات البدو القادمين من الشمال أو من الشرق . . وهناك اختبأت فى خيلة بين الشجيرات خوفاً من أن يرانى الحراس القائمين بالمراقبة ليل نهار .

وعندما حل ظلام الليل ، واصلت السير فى الصحراء حتى تباشير الفجر . . وعندئذ سقطت على الأرض من شدة الإعياء والتعب والعطش . . وضاق صدرى وصعب تنفسى والتهب حلقى . . فقلت لنفسى :

(*) ربما كان خوف « سنوحى » راجعاً إلى احتمال حدوث شجار بين الأمراء أو احتمال حدوث حرب أهلية ويزج باسمه فى ذلك الشجار أو فى تلك الحرب . . وهذا أمر لم يحدث فى الواقع . فقد تولى العرش « سنوسرت الأول » باعتباره الابن البكر للملك « امنمحات الأول » والوارث الشرعى لعرش البلاد بعد وفاة أبيه .

«هذا هو طعم الموت» . ولكنى استجمعت قواى حين سمعت خوار بعض المواشى . . وشاهدت بعض البدو قادمين من بعيد . . وقد تعرف على شيخ هؤلاء البدو ، لأنه قد قام بزيارة لمصر منذ فترة . . فقدم إلى الماء ولبنًا ، وذهبت معه إلى قبيلته وهناك عاملونى بشفقة واحترام .

ثم واصلت السير أيامًا طويلة ، متنقلًا من بلد إلى بلد حتى وصلت إلى «جبيل» ومنها إلى «قدمى» وقضيت هناك نصف عام . . فقد استقبلنى «ننشى» أمير «رتنو» [فلسطين] وقال لى ستكون مستريحًا وآمنًا معنا . . وهنا ستسمع لغة المصريين بلهجتهم المعروفة . . لقد كان هذا الأمير يعرف قدرى ومنزلتى فى مصر ، وسمع الكثير عن حكمتى . . وقد شهد له بذلك جماعة من المصريين كانوا عنده .

وسألنى الأمير : لماذا تركت مصر وجئت إلى هنا . . هل حدث شىء فى القصر الملكى دفعك إلى ذلك . . ؟!

فقلت له : أبدا . . ولكن عندما سمعت برحيل الملك «أمنمحات» وكنت فى حملة ضد الليبيين . . ارتعدت فرائصى ودفعنى قلبى هائمًا فى الصحراء . . ومع ذلك فلم ينم على أحد أو ذكرنى بسوء . . ولا قيلت فى حقى عبارة لوم . . وأنا لست أدرى ماذا جاء بى إلى هنا . . ربما هو القضاء والقدر . .

وقال الأمير : ولكن كيف تكون حال مصر بعد أن مات هذا الملك الجسور الذى كان مهابًا فى البلاد كلها . . ؟!

قلت على الفور : إن ابنه البكر « سنوسرت » دخل القصر وتولى العرش بعد أبيه . . وهو ملك منقطع النظر ولا يفوقه أحد . . وهو حازم فى كل أمر وصاحب إرادة قوية . . وهو الذى أخضع البلاد الأجنبية ويحرز النصر بشجاعته وساعده القوى ويفر الأعداء من أمامه . . وهو قادر على تحطيم أى عدو مهما كانت قوته . . وهو يقبض على درعه ويدوس الأعداء تحت أقدامه . . وأهل مصر يحبونه أكثر من أنفسهم . . والرجال والنساء يمرون أمام قصره فرحين به . . إنه منحة من الله . . ومن المؤكد انه سيفتح البلاد الجنوبية . . ولكنه إلى الآن لم يلتفت إلى البلاد الشمالية . . وعليك أن تكتب له حتى يعرف اسمك . . فهو يجب أن تكون البلاد المجاورة مسالمة له .

وهكذا عشت فى كنف الأمير الذى أكرم وفادتى ، وجعلنى على رأس أبنائه . . وزوجنى كبرى بناته ، ومنحنى أرضاً واسعة ، وحقولاً شاسعة مزروعة بالتين والأعناب ، وشهدا غزير ، وزيتونها كثير ، والمراعى التى ترح فيها الأغنام وكافة أنواع المواشى . . كما عيننى رئيساً على أحسن قبيلة من قبائل بلاده ، وقائداً لجيشه .

وقضيت سنوات طويلة متمتعاً بحب الناس . . وانجبت أولاداً كثيرين شبوا ونموا وأصبحوا رجالاً أشداء . . وكان الرسل الذين يرسلهم ملك مصر إلى بلاد الشمال ينزلون فى بيتى . . وأعطيت الماء لكل عطشان ، والطعام لكل جوعان ، وكنت استضيف كل من يمر ببابى . . وأرشد التائه أو الضال إلى الطريق الصحيح . . وأحمى أى انسان يتعرض للنهب أو الأذى .

وعندما بدأ البدو يخرجون عن طاعة الأمير ويقاومون رؤساء الصحارى كنت أقود الجيش لتأديبهم وكبح جماحهم .

وذات يوم جاء رجل قوى من فلسطين يريد أن يبارزنى . . وكان هذا الرجل بطلاً منقطع النظير وأخضع كل فلسطين تحت أمره وأقسم بألته على أن يحاربنى ويقضى على ليستولى على كل ممتلكاتى غنيمة له ولقبيلته .

وجاء الأمير ليشاورنى فى أمر هذا الرجل الذى يريد أن يتحدانى . . فقلت له أننى لا أعرف هذا الرجل ولا رأيته من قبل . . ولا كانت بينى وبينه أى صلة أو تعامل . . ولم اقتحم عليه داره . . ولكن يبدو أن الحقد والحسد قد أوغرا صدره وقلبه . . فإذا كان يريد أن يبارزنى فأنا على استعداد لتلك المباراة وليفعل الله ما يريد .

وعندما أقبل الليل ، شددت قوسى وأعددت سهامى وشحذت خنجرى وصقلت أسلحتى . . وعندما لاح ضوء النهار أقبلت فلسطين كلها لترى نتيجة المباراة . . وأقبل جميع أنصارى وقلوبهم تحترق من أجلى . . وكان الرجال والنساء يصيحون قائلين : « أما من رجل شجاع يساعدنى ويحارب معى ! » .

وأقبل على غريمى مستأسداً . . وأنا منتصب القامة فى ثبات . . وبدأ غريمى فى تصويب السهام نحوى . . فتفاديتها ببراعة وطاشت سهامه كلها . . فرفع فأسه وتقدم نحوى يريد أن ينقض على ، ولكنى عاجلته بسهم اخترق عنقه ، فأطلق صرخة عالية ثم انكفاً على وجهه وسقط على الأرض

.. فأجهزت عليه بفأسه ، ووضعت قدمي فوق ظهره وصححت بصيحة النصر .. وإذا بجميع أنصاره يتأوهون ويبيكون .. وحمدت إلهي الذي شد أزرى وساعدني على تحقيق انتصاري .

وتقدم الأمير وأخذني بين ذراعيه معلناً فرحه .. وقال إن من حقي أن استولى على جميع ممتلكات عدوي ، فازدادت ثروتي بممتلكات لا تعد وأغنام لا تحصى .. وهكذا أصبحت غنياً أملك العبيد وبيتاً فخماً ومكانة رفيعة .. لقد فعل ربي ما فعل رحمة بما أضله الهوى ففر إلى بلد غريب .

واعتبرت يوم النصر علامة على رضوان الإله عني .. لقد كنت بالأمس أهيم لاجئاً في الفياق ، وأصبحت اليوم أجده من يتصر لي ويؤازرني .. لقد كنت هارباً أعاني من العطش والجوع والألم .. ولكني الآن أطعم الجيران من زادي .. وكنت أهيم بعيداً عن وطني .. ولكني اليوم أعيش في دار أنيقة واسعة الرحاب جميلة الأثاث .. وقد ارتفع ذكرى وشاعت شهرتي حتى وصلت إلى القصر الملكي ببلادي الحبيبة .

يارب ! .. يا من قدرت على أن أفر هارباً من بلدي .. كن رحيماً بي وأعدني إلى بلدي لكي يدفن جسدي في الأرض التي ولدت فيها .. يارب هيئ لي رؤية بلدي الذي يحن إليه قلبي .. ارحمني يارب !

هل ملك مصر أن يكون رحيماً بي ويعفو عني وأن أعيش في ظل كرمه .. هل يأذن لي برعاية شئون الملكة التي تسكن في قصره لأسمع أوامرها وأوامر بنيتها ..

وعندما وصلت أخبارى وأحوالى إلى مسامع ملك مصر العظيم . . أرسل إلى جلالته هدايا من الفيض الملكى حتى ينشر صدرى . . كما كتب إلى أولاد الملك بما ملأ قلبى بالفرح والسعادة .

وكان أسعد يوم فى حياتى كلها ، يوم أن وصلنى قرار الملك العظيم «سنوسرت الأول» بالعفو عنى والسماح لى بالعودة إلى مصر الحبيبة . . وقد قام الرسول الذى أوفده الملك بقراءة هذا القرار وكان نصه كما يلى : قرار ملكى إلى التابع « سنوحى » . . انظر . . إن قرار الملك هذا قد أرسل إليك ليعلمك بما هو آت : لقد اخترقت الأراضى الأجنبية ، وذهبت إلى فلسطين والأراضى السورية بمشورة قلبك . . فأنت لم تفعل شيئاً تستحق عليه اللوم . . ولم يكن فى قلبى شىء ضدك . . وكذلك الملكة فهى مازالت تذكرى هى وأولادها دون أى سوء . . وليتك تعيش طويلاً على الأشياء الطيبة التى سيمنحونها لك .

تعال ثانية إلى مصر لكى تنال نصيبك بين رجال القصر . . لقد ضيعت شبابك وأصبحت اليوم متقدماً فى السن ، ففكر فى يوم رحيلك إلى الدار الآخرة وذهابك إلى النعيم . . فعندما تحل ساعتك سيحفظ جسدك وتلف بالأكفان . . وسيكون غطاء موميائك من الذهب واللازورد . . وسيوضع تابوتك فوق عربة تجرها الثيران ويمشى أمامك المغنون والنائحات . . وستقدم القرابين أمام قبرك الذى سيقام بجوار مقابر أبناء الملك ومقابر كبار رجال الدولة المشيدة بمقربة من هرم الملك . . وعلى ذلك فلن تموت فى خارج بلدك ، ولن يدفنك الآسيويون ، ولن تكفن بجلد غنم .

كان هذا هو نص القرار الملكي الكريم . . . وعندما انتهى الرسول من قراءته ، انبطحت على بطني ، وأهلت التراب على شعر رأسي ، ومشيت حول معسكري وأخذت أصبح معلناً فرحي وسعادتي . . . وكتبت إلى جلالة الملك ردًا على قراره الكريم قلت فيه : « سلام عليك أيها الملك الطيب صاحب الجلالة . . . وليقع كل ما تشرق عليه الشمس تحت سلطانك . . . إن هروبي لم يكن أمرًا مدبرًا ، ولم يكن في قلبي ولا في ذهني . . . بل ولم أفهم ذلك الشيء الذي دفعني إلى الفرار . . . لقد كان ذلك مثل كابوس حدث في أحلامي . . . فلم يكن هناك أي شيء أخافه . . . ولم يطاردني أي إنسان . . . ولم اسمع أي كلام معيب . . . وكل ما حدث اني أحسست برعدة في جسمي . . . ولم تستطع قدمي أن تحملني ثابتًا . . .

وعندما وصلني عفوك عني . . . أقمت الصلوات لكل آلهة مصر وإلهاتها . . . حمدًا وشكرًا لك ولهم . . . واستأذنت من الرسول الذي حمل إلى قرار عفوك أن أبقى يومًا واحدًا لكي أوصي بأملاكي إلى أولادي . . . وأقمت ابني الأكبر شيخًا على قبيلتي . . . ونقلت إليه ملكية كل أرضي وحقولي وبساتيني وعبيدي وكل أنواع المواشي التي كنت أملكها .

وبعد ذلك توجهت نحو الجنوب قاصدًا بلدي . . . فسلكت طريق «حورس» العظيم حتى وصلت إلى منطقة المستنقعات ، فأوفد قائدها رسولاً إلى القصر الملكي ليعلن وصولي . . . وإذا بجلالة الملك يرسل سفينة محملة بالهدايا لكي أقدمها للبدو الذين رافقوني . . . ثم استأنفت رحيلي حتى وصلت إلى العاصمة .

وفي الصباح الباكر جاء عشرة رجال ليصبحونى إلى القصر . وما أن وصلت إلى بابه حتى صافحت الأرض بجبهتى . . واستقبلنى أبناء الملك بابتهاج عند باب القصر . . وأرشدنى بعض رفاق الملك إلى القاعة الرئيسية بالقصر . . وهناك رأيت جلالته جالسًا على عرش من الذهب فانبطحت على بطنى . . وتزلزلت أعضاء جسمى ، ولم أشعر بها إذا كنت حيًا أو ميتًا .

ثم قال جلالته لأحد رجاله : دعه ينهض ليتحدث إلى .

وحدثنى جلالته بمتهى اللطف قائلاً : ها أنت يا « سنوحى » قد عدت إلى وطنك بعد أن زرعت البلاد الأجنبية أثناء فرارك . . وها أنت قد بلغت الشيخوخة وجئت لتعيش بقية أيامك فى وطنك . . ولكن لا تبقى هكذا صامتًا . . هيا . . تكلم وحدثنى بما يطيب له قلبى وقلبك !

وكنت أخشى العقاب فقلت خائفًا : هأنذا بين يديك يا صاحب الجلالة . . وحياتى ملك لك ، ولتفعل بى ما تشاء !

وهنا أمر جلالته بدخول أولاده وزوجته الملكية وقال لها : انظرى . . ها هو ذا « سنوحى » وقد عاد أسيويًا وكأنه بدوى خالص . . فصاحت الملكة وصاح الأمراء : كأنه ليس « سنوحى » الذى نعرفه يا صاحب الجلالة . . دعنا نحتفل بعودة « سنوحى » إلى مصر بعد أن أصبح شيخًا . . لقد فر من بلده وهجر وطنه خوفًا منك بعد أن امتلأ قلبه رعبًا . . فقال جلالته : لا خوف عليه ولا هو يحزن . . ومن الآن سوف يكون سميرًا لى بين الأشراف ورجال الحاشية . . هيا اذهبوا به إلى قاعة الزينة لتكونوا فى خدمته . . وألبسوه ملابس مصرية فاخرة بدلًا من تلك الملابس البدوية التى يرتديها . .



وأسكنونى فى بيت مثل بيوت أبناء الملك . . وهو بيت مجهز بأثاث فخم
وحمام أنيق ونظيف مزين بالزخارف الجميلة . . وألبسونى ملابس من الكتان
المصرى الفاخر . . وزودونى بالبخور والعطور الثمينة التى تخص الملك
والنبلاء . . وكان الخدم يقومون بأعمالهم فى صمت وكل عناية . . وأزيلت
عن أعضائى آثار سنوات المنفى الكثيرة . . وأزالوا لحيتى فأشرق وجهى . .
ومشطوا شعر رأسى ، ودلّكوا جسمى بأحسن أنواع الزيوت العطرية . .
وأصبحت أنام على سرير مفروش بفراش ناعم . . وتركت الرمال لمن ينامون
عليها فى البلاد الأجنبية .

ثم منحونى داراً أخرى بين الحدائق . . وشيدوا لى مقبرة مبنية بالحجر
الأبيض وسط مقابر أبناء الملك وكبار رجال الدولة القريبة من هرم الملك .
وهأنذا أحظى بما يناله رجال حاشية الملك من عطف واحترام . .
وسأظل متمتعاً بهذا النعيم الدنيوى إلى أن تحين ساعة انتقالى إلى النعيم
الخالد فى مدينة الموتى !



جس دی موباسان

قطعة من الحبل

GUY DE MAUBASSANT

كان اليوم هو يوم السوق في قرية « جودرفيل » الصغيرة . وبطبيعة الحال فقد كانت كل الطرق المؤدية إلى تلك القرية مزدحمة بالفلاحين والفلاحات الراغبين في شراء ما يحتاجونه أو بيع ما يريدون بيعه في السوق . وكانوا جميعًا يسرون في خطى متثاقلة بسبب ما كانوا يعانونه من تعب وإرهاق نتيجة للأعمال الشاقة التي يقومون بها كل يوم .

وها هو أحد الفلاحين يجرب بقرته بحبل طويل . . بينما تسير زوجته خلف البقرة وتحثها على السير بضربها ضربًا هينًا بفرع شجرة رفيع مازال مكسوفًا ببعض الأوراق الخضراء . . كما أن هناك فلاحات أخريات يحملن فوق رؤوسهن أقفاصًا مملوءة بالدجاج أو البط .

وفي سوق قرية جودرفيل مثل جميع الأسواق القروية الأخرى تختلط الحيوانات مع البشر ، وتنبعث في الأنوف روائح البقر ، وتختلط أصوات الرجال والنساء مع أصوات الدواجن والحيوانات .

وها هو فلاح آخر اسمه « هوشكورن » جاء من بلدته القريبة وأخذ طريقه إلى السوق وهو يسير ببطء شديد نتيجة لما يعانيه من آلام الروماتيزم

. . وفى أثناء سيره ، شاهد على الأرض قطعة صغيرة من حبل قديم ، ولأن الفلاح هوشكورن - مثل غيره من فلاحين كثيرين - يرى أن أى شىء يمكن أن يكون نافعا في وقت من الأوقات ، لذلك فقد انحنى بصعوبة والتقط قطعة الحبل الملقاة على الأرض ، وأخذ يلفها ووضعتها في جيبه .

وبينما كان يفعل ذلك شاهد السيد « مالاندين » - وهو صانع سروج للخيل والحمير - وكان واقفاً عند باب محله ، وشاهد هوشكورن وهو يضع لقيته في جيبه . . وكان كل من هوشكورن ومالاندين قد اختلفا في الماضى على شىء بسيط ، فأصبحا يتبادلان العداء دون أن يقوم أى منهما بالصفح عن الطرف الآخر .

واصل هوشكورن سيره المترنح بسبب آلام الروماتيزم في ساقيه ، وهو يشعر بخجل شديد حين تأكد من أن عدوه اللدود قد شاهده وهو يلتقط قطعة الحبل التى كانت ملقاة على الأرض القذرة . . ووصل أخيراً إلى ساحة السوق .

كانت الساحة حافلة بالفلاحين البائعين والمشتريين الذين كانوا يساومون بعضهم بأصوات عالية . . وكان الفلاحون الراغبون في شراء الأبقار يفحصون تلك الأبقار بدقة باحثين عما قد يكون بها من عيوب يحاول البائع إخفاءها . . ولذلك فقد كانوا يذهبون ، ثم يعودون بعد فترة قصيرة وهم مترددين وغير قادرين على اتخاذ القرار الحاسم بالشراء .

وكانت النساء القرويات جالسات على الأرض بعد أن أخرجن

الدجاجات من أقفاصها وربطن أرجلها حتى لا تهرب . . وكانت بائعات الدجاج تستمع إلى مساومات الراغبين في الشراء ، ويرفضن في البداية أى تخفيض فى الأسعار ، ثم يستسلمن فى نهاية الأمر ويوافقن على الثمن الذى يعرضه المشترون .

وبعد انتهاء صخب السوق واقترب الليل ، كان بعض الفلاحين القادمين من بلاد قريبة يقررون المبيت فى الفندق الوحيد بقرية جودرفيل . . وهو فندق ومطعم يملكه رجل اسمه « جوردان » وهو تاجر خيل أيضاً ويعرف جيداً كيف يصنع لنفسه كثيراً من النقود .

وها هم الزبائن وقد جلسوا إلى مائدة العشاء ليتناولوا ما يقدم لهم من طعام ، وكانوا يتحدثون بأصوات عالية عما اشتروه أو باعوه . . وفجأة سمعوا دقات طبلة يدق عليها أحد المنادين . . فسكت الجميع عن الكلام ، وبدأوا ينصتون إلى ما سوف يقوله المنادى من أخبار .

وبعد أن انتهى المنادى من دقاته على الطبلة التى يحملها ، أمسك بورقة صغيرة وبدأ يقرأ ما فيها ، وقال المنادى بصوت مرتفع :

« إعلان لأهالى قرية جودرفيل وإلى كل الحاضرين . . فى هذا الصباح . . فيما بين الساعة التاسعة والساعة العاشرة . . فقدت محفظة من الجلد الأسود . . وبها خمسمائة فرنك وبعض الأوراق . . وعلى من يجدها أن يقوم بتسليمها إلى قاعة مجلس القرية . . وسوف يحصل على عشرين فرنكاً مكافأة له » .

وانصرف المنادى بعد أن انتهى من هذا الإعلان ، وأخذ يدق على الطبله
من جديد ليلفت أنظار وأسماع الآخرين .

وبدأ الرجال الذين انتهوا من تناول عشائهم يشربون فناجين القهوة وهم
يتحدثون في أمر تلك المحفظة . . هل يمكن أن تعود إلى صاحبها أم لا . .
وفجأة جاء إلى الفندق جاويش من الشرطة ، وسأل الرجال المجتمعين :

- هل السيد هوشكورن موجود هنا ؟

فأجاب هوشكورن فوراً :

- نعم . . أنا موجود هنا .

فقال الجاويش :

- أرجو يا سيد هوشكورن أن تصحبني إلى قاعة مجلس القرية . . فإن
العمدة يريد أن يتحدث معك .

اندهش هوشكورن من هذا الأمر . . ومع ذلك فقد تحامل على نفسه
وقام يجر رجله المصابتين بالروماتيزم . . وذهب مع الجاويش . .

كان العمدة جالساً على مقعد وثير ، وهو رجل يعتز بنفسه كثيراً ، ويجب
أن يحدث الناس بلغة فخمة . . وبدأ حديثه مع هوشكورن على النحو
التالى :

- يا سيد هوشكورن . . لقد شوهدت في هذا الصباح وأنت تلتقط
المحفظة ذات الجلد الأسود التى فقدت من صاحبها السيد هولبريك . .
فماذا تقول ؟

أصيب هوشكورن بالهلع وهو يستمع إلى هذا الاتهام الذى وجه إليه دون
أى مبرر . . ولذلك فقد تلعثم وهو يقول :

- أنا ؟! . . أنا التقطت المحفظة . . أنا ؟!

- نعم . . أنت الذى التقطتها !

- أقسم بشرفى . . اننى لا أعلم شيئاً عن موضوع تلك المحفظة .

- لا تقسم . . فهناك من شاهدك وأنت تلتقط المحفظة من الأرض !

- من هذا الذى شاهدنى واتهمنى بتلك التهمة الكاذبة ؟!

- لقد شاهدك السيد مالاندين صانع السروج حين كان واقفاً على باب

محله .

عندئذ احمر وجه هوشكورن من شدة الغضب ، فقد أدرك أن عدوه
اللدود هو الذى دبر له تلك التهمة . . فأخرج قطعة الحبل من جيبه
وعرضها على العمدة وهو يصبح قائلاً :

- إذن فهو الذى رآنى وأنا التقط هذه القطعة من الحبل . . يا له من
شيطان شرير !

هز العمدة رأسه معلناً انه لم يصدق تلك الحكاية وقال :

- يا سيد هوشكورن . . لن تستطيع أن تخدعنى . . إن السيد مالاندين
محل ثقة . . ولا يمكن أن يفرق بين قطعة الحبل والمحفظة .

قال هوشكورن وقد فقد أعصابه تمامًا :

- أقسم بالله . . اننى لم التقط سوى قطعة الحبل هذه . . هذه هى الحقيقة . . كل الحقيقة !

وواصل العمدة اتهامه قائلاً :

- بل لقد شاهدك السيد مالاندين وأنت تبحث فى الأرض عن بعض عملات قد تكون قد سقطت من تلك المحفظة .

وواصل الفلاح هوشكورن دفاعه عن نفسه قائلاً :

- يا سيدى . . لا بد انك تعلم أن هناك بعض الناس يتهمون الآخرين بأكاذيب هم منها أبرياء .

وحتى يحسم العمدة الأمر ، أمر باحضار السيد مالاندين ليواجه هوشكورن وجهاً لوجه . . فكرر مالاندين اتهامه الكاذب . . وتبادل مع هوشكورن كثيراً من اللعنات والألفاظ الموجهة . وأخيراً طلب هوشكورن من العمدة أن يفتشه حتى يتأكد من عدم وجود المحفظة . . وبالفعل فقد تم تفتيشه بدقة ، ولم يجدوا معه المحفظة محل التهمة .

وعندئذ اضطر العمدة إلى إطلاق سراح المتهم ، وقرر انه سيرفع الأمر إلى الجهات العليا لتحقيق فى الموضوع وتقرر ما تراه .

وكانت أخبار تلك الواقعة قد انتشرت فى القرية بسرعة البرق . . وما أن خرج هوشكورن من قاعة مجلس القرية حتى التف حوله جماعة من الناس

يسألونه عن الحكاية وما تم فيها . . فأخذ يشرح لهم كل التفاصيل . .
ولكن الناس لم يصدقوه ، وبدأوا يسخرون منه !

وبينما كان يسير متوجهاً إلى الفندق استوقفه آخرون يسألونه عن الحكاية
. . بل وقام هو باستيقاف كل من يعرفهم ومن لا يعرفهم ليحكى لهم
الحكاية من أولها إلى آخرها ليعلن براءته من تلك التهمة الكاذبة . . ولكن
الجميع أصبحوا لا يصدقونه ويقولون في وجهه :

- يبدو أنك تجيد تلفيق الحكايات . . يا لك من شيطان ماهر عجوزا!

ومع ذلك فقد ظل الفلاح هوشكورن يحكى حكايته لكل من كان
يصادفه في الطريق ، ولكن أحداً لم يعد يصدق أية كلمة مما يقول . . وعندما
وصل إلى الفندق رقد في فراشه ولكنه لم يستطع أن ينام لشدة ما كان
يعانيه من قلق .

وفي اليوم التالى . . فى حوالى الساعة الواحدة ظهراً . . قام فلاح اسمه
ماريو بتسليم المحفظة سليمة إلى صاحبها السيد هولبريك . . وقال هذا
الفلاح انه عثر على تلك المحفظة فى الطريق ، ولكنه لم يستطع أن يستدل
على صاحبها لأنه لا يعرف القراءة . . ولذلك فقد عرض المحفظة على سيده
فأخبره باسم صاحبها .

انتشر هذا الخبر الجديد بسرعة . . وعندما وصل الخبر إلى الفلاح
هوشكورن امتلأ قلبه بالفرح نتيجة لهذه النهاية السعيدة التى تثبت براءته . .
وأخذ يقول لكل من يقابله :



- لقد انكشفت الأكذوبة . . إن أقطع شيء يصيب الإنسان ، أن يتهمه أحد بتهمة كاذبة !

ومن شدة فرحه ، أخذ يحكى الحكاية لكل عابر فى الطريق . . ولكل من يخرج من الكنيسة . . ولكل من يدخل إلى الفندق ، بل وكان يستوقف الغرباء ويحكى لهم القصة بنهايتها السعيدة . . ولكنه بدأ يشعر بالقلق . . لأن الناس كانوا يستمعون إليه دون أن يبدو عليهم أنهم يصدقوا أقواله ، بل وكان يلاحظ أنهم يتهامسون فيما بينهم ببعض الكلمات بعد أن ينصرف . وعندما مر أمام محل مالاندين صانع السروج ، لاحظ أن الرجل يضحك بشهامة .

وعندما استوقف أحد الفلاحين وبدأ يحكى له قصته . . قاطعه الفلاح قائلاً :

- لا تحدثنى عن أكاذيبك . . فأنا أعرفها . . أيها الشيطان الماكر العجوز .

وانصرف الفلاح وهو يضحك .

وعندما وصل إلى الفندق ، جلس إلى مائدة طعام الغداء . . وأخذ يحكى القصة بصوت مرتفع حتى تصل إلى أسماع الجالسين فى المطعم . . وصاح فيه صاحب الفندق قائلاً :

- اسكت أيها الشيطان الماكر . . أنا أعرف ألعيبك الصغيرة . . وقصة قطعة الحبل التى تزعم أنك وجدتتها .

فقال هوشكورن :

- ولكن يا سيدى . . ألم يجدوا المحفظة الضائعة . . وتم تسليمها إلى صاحبها ؟ !

فقال صاحب الفندق :

- اغلق فمك ولا تحدثنا بتلك الخدعة . . إن الرجل الذى أعاد المحفظة إلى صاحبها ليس هو الذى وجدها !

وأخيراً . . فهم الفلاح هوشكورن انه قام بتدبير حيلة بتحريض أحد أصدقائه على إعادة المحفظة إلى صاحبها بعد أن افترض أمره . .

وفى نهاية الأمر عاد هوشكورن إلى منزله وهو يتمزق من شدة معاناته من الظلم الذى حاق به . . ومع ذلك فلم يتوقف عن ترديد حكايته بكل تفاصيلها ، بالرغم من أنه يدرك أن جميع من يستمعوا القصة لا يصدقونها . .

وأصابه إرهاق شديد . . حين أخذ بعض الناس يسألونه أن يحكى حكايته كنكتة يتسلون بها ويضحكون عليها . . وتدهورت صحته ، وتبلبل ذهنه . . وفى أواخر ديسمبر لزم الفراش مريضاً ويائساً . .

وفى أوائل يناير مات . . وكانت آخر كلماته : قطعة صغيرة من الحبل . . كانت السبب فى كل ما حدث !



أنطون تشيكوف

الحرباء(*)

(*) الحرباء [أو الحرباية باللهجة العامية] حيوان صغير يغير من لونه حتى يهرب من خطر دون أن يكتشف أمره .

كان الجاويش أشوميلوف يتفقد أحوال السوق وهو يرتدى عباءة جديدة ،
ويحمل شيئًا تحت إبطه ، ويسير خلفه جندي شرطى أحمر الشعر ويحمل
بعض الفواكه التى أمر الجاويش بمصادرتها .

كان السوق هادئًا ويكاد أن يكون خاليًا من الناس ، بينما كانت أبواب
ونوافذ الدكاكين مفتوحة فى انتظار الزبائن .

وعلى حين فجأة ، سمع الجاويش صوت رجل يصيح : « إمسكوه . .
إمسكوه . . لقد عضنى هذا الكلب اللعين . . هل أصبح مسموحًا الآن
للكلاب أن تعض الناس . . إمسكوه ! » .

واختلط صياح الرجل بنباح كلب يجرى بثلاثة أرجل فقط إذ كانت رجله
الرابعة مفقودة . . وكان الرجل الذى يطارد الكلب يجرى بأقصى سرعة وهو
يرتدى قميصًا أبيض . واستطاع الرجل فى نهاية الأمر أن يرتقى على الأرض
بعد أن أمسك برجل الكلب الخلفية . . وبالتالي فقد ارتفع صياح الرجل
ونباح الكلب فى آن واحد . . وسرعان ما تجمع حول هذا المنظر جمع غفير
من الناس ، وكأن الأرض قد انشقت وأخرجتهم !

اتجه الجاويش أشوميلوف إلى هذا الجمع الصاخب من الناس ليرى ما فى الأمر . . . وتعرف على الفور على الرجل الذى يرتدى القميص الأبيض والذى ظل ممسكًا بالرجل الخلفية للكلب . . . فهو الصائغ خريوكين . . . أما الكلب فقد ظل قابعًا على الأرض ماذًا قدميه الأماميتين وهو يرتعش لشدة ما يعاينه من الخوف والذعر .

وكان خريوكين يرفع يده اليمنى ليرى الناس أن أحد أصابعه يقطر دمًا . . . فسأله الجاويش أشوميلوف : لماذا كنت تصيح . . . وماذا حدث لإصبعك ؟ .

قال خريوكين :

- يا سيدى . . . لقد كنت أسير فى حالى . . . كنت ذاهبًا لكى أجمع بعض الحطب لصاحب المحل الذى أعمل فيه . . . وفجأة ، انقض على هذا الكلب المتوحش اللعين عضنى فى إصبعى . . . وأنت تعلم يا سيدى أنى أعمل بأصابعى . . . ولدى الكثير من الأعمال لكى أقوم بها . . . ولكنى لن أستطيع أن أعمل ربما لمدة أسبوع أو أكثر . . . فكيف يكون ذلك . . . وأنا أعرف يا سيدى انه ليس هناك قانون ينص على عقوبة الحيوانات . . . ولكن إذا سمحنا للكلاب أن تعض الناس فى الطرقات فإن هذا العالم سيصبح غير جدير أن يعيش فيه الإنسان .

ظهرت معالم الجدية على ملامح الجاويش أشوميلوف فقال مصدقًا على كلام خريوكين :



- هذا صحيح .. والآن أريد أن أعرف من هو صاحب هذا الكلب ..
أنا لن أتسامح في هذا الأمر الخطير .. سوف أعلم الناس ألا يتركوا كلابهم
مطلقى السراح لكى يعضوا السائرين فى الطرقات .. لا بد أن أعاقب
صاحب هذا الكلب .. حتى يعلم من أنا !

والتفت الجاويش إلى الشرطى الذى كان يصاحبه وقال :

- الآن يا إيلدرين .. عليك أن تعرف من هو صاحب هذا الكلب
اللعين .. . عليك أن تكتب محضرًا بهذا الحادث .. لا بد من إعدام هذا
الكلب المسعور ..

والتفت الجاويش إلى الجمهور المتجمع حوله وسألهم :

- هل يعرف أحدكم من هو صاحب هذا الكلب؟

فقال أحد الأشخاص :

- يبدو أنه كلب الجنرال إيجالوف!

فقال الجاويش على الفور :

- آه .. الجنرال إيجالوف .. هاه .. إيلدرين .. هيا وساعدنى فى خلع
عباءتى ، فالجو أصبح حارًا .. ويبدو أن السماء ستمطر بعد قليل .

ثم التفت إلى الصائغ خريوكين صاحب الإصبع المجروح وقال :

- أريد أن أفهم كيف استطاع هذا الكلب أن يعض إصبعك كما تقول
.. انه كلب صغير وانت رجل كبير .. فكيف يصل إلى يدك ويعض

إصبعك . . لا بد أنك جرحت نفسك بمسار . . وتدعى أن الكلب عضك
لكى تحصل على بعض المال من صاحبه . . أنا أعرفكم جيدًا أيها الأوغاد !
وقال أحد الأشخاص :

- ربما يكون هذا الشخص المصاب قد وضع سيجارة مشتعلة في وجه
الكلب . . فقام الكلب بعضه !

وهنا قال جندي الشرطة التابع لأشوميلوف :
- اعتقد أن هذا الكلب ليس مملوكًا للجنرال إيجالوف . . فكلاب الجنرال
من نوع مختلف !

فقال الجاويش :
- هل أنت واثق مما تقول ؟

أجاب الشرطي :

- نعم يا سيدى . .

عندئذ قال الجاويش موجهًا كلامه لخريوكين :

- أنا أيضًا كنت أعتقد أن هذا الكلب غير مملوك للجنرال . . فكلاب
الجنرال غالية الثمن . . ولا أدري كيف يحتفظ بعض الناس بمثل هذا
الكلب الحقير . . إن مثل هذا الكلب لو ظهر في مدينة بطرسبرج أو في
مدينة موسكو فسوف يطلقون عليه النار فورًا . . خريوكين . . أنا أعلم أن

هذا الكلب الذى عض إصبعك قد سبب لك ألماً . . . ولذلك فسوف ألقن أصحابه درساً لن ينسوه ! .

ولكن الشرطى إldrين عاد بعد لحظة وقال :

.. - من المحتمل أن يكون هذا الكلب من كلاب الجنرال الذى يمتلك كلاباً كثيرة . . . لقد شاهدت منذ أيام كلباً يشبهه فى فناء بيت الجنرال .

وهنا ارتفع صوت من بين الجمهور وقال :

- فعلاً . . . انه كلب الجنرال !

فقال الجاويش أشوميلوف بحزم :

- يا إldrين . . . ساعدنى على ارتداء العباءة ، فالجو أصبح بارداً . . .
ونخذ هذا الكلب معك واذهب إلى بيت الجنرال . . . وقل لهم إنك وجدته
تائها فى الشارع . . . وأنتك أحضرته لهم لكى يحافظوا عليه حتى لا يضيع
فى الشوارع مرة أخرى . . . وحتى لا يقوم أى شخص أحق بإطفاء سيجارته
فى أنفه .

والتفت الجاويش إلى خريوكين قائلاً :

- وأنت أيها الأحق الغبى . . . اخفض يدك ولا تستعرض إصبعك
الجريح على هذا النجوى كى تستعطف الناس . . . إنها غلطتك وعليك أن
تتحمل نتائجها !

وفجأة ارتفع صوت من بين الجمهور قائلاً :

- ها هو بروخور الذى يعمل طاهياً لدى الجنرال .. فلنسأله .

وسأله الجاويش :

- بروخور .. تقدم قليلاً .. وانظر جيداً إلى هذا الكلب .. وقل لنا هل هو من كلاب الجنرال إيجالوف .

فقال البطاهى بعد أن شاهد الكلب :

- لا .. إن الجنرال لا يمتلك كلاباً من هذا النوع !

عندئذ قال الجاويش :

- لقد انتهى الأمر الآن .. فهو كلب ضال .. ويجب أن يعدم فوراً رمياً بالرصاص !

ولكن طاهى الجنرال أكمل كلامه قائلاً :

- نعم أنه ليس من كلاب الجنرال .. ولكنه مملوك لشقيق الجنرال الذى وصل لبيت الجنرال منذ فترة ..

وهنا رسم الجاويش أشوميلوف ابتسامة عريضة ملأت وجهه وقال للطاهى :

- هل وصل فلاديمير إيفانوفيتش شقيق الجنرال .. ؟ لم أكن أعلم بوصوله .. هل وصل لزيارة شقيقه ؟

قال الطاهى :

- نعم يا سيدى .. لقد جاء لزيارة شقيقه !

فقال الجاويش :

- حسناً .. فهذا الكلب مملوك لشقيق الجنرال كما تقول .. أنا سعيد
بمعرفة ذلك .. هيا .. خذ الكلب معك .. فهو كلب صغير ولطيف ..
ربما يصيبه الضرر عندما عض إصبع هذا الرجل !

وهكذا أخذ الطاهي الكلب .. وبدأ الناس يضحكون على خريوكين
.. والتفت إليه الجاويش مهدداً إياه قائلاً :

- سوف تقع تحت يدي يوماً ما .. وسوف ترى ما سوف أفعله معك !
وتدثر الجاويش بعباءته مرة أخرى .. ومضى في طريقه ليراقب ما يحدث
في السوق !!



وليم شيكسبير

حكاية شتاء

WILLIAM SHAKESPEARE

حكاية شتاء

شخصيات الرواية

- ليونتييس : ملك سيسلى .
- هرميون : زوجة ليونتييس ، ملكة سيسلى
- ماميلوس : ابنها أمير سيسلى الصغير
- برديتا : ابنتها
- كاميللو : لوردات فى البلاط الملكى
- انتيجونس : بمملكة سيسلى
- كليومنس :
- ديون :
- بوليكنسنس : ملك بوهيميا ، وصديق ليونتييس
- فلوريزل : أمير ، ابن الملك بوليكنسنس
- راعى عجوز : الأب المفترض لبرديتا
- بولينا : زوجة اللورد أنتيجونس
- إميليا : وصيفة للملكة هرميون

كانت السعادة ترفرف على القصر الملكى الذى يعيش فيه كل من الملك ليونتيس وزوجته الجميلة الطيبة الملكة هرميون . . وكم كان الملك ليونتيس يود أن تتعرف زوجته على صديق عمره الملك بوليكسنس ، ملك بوهيميا .

كان الملكان ليونتيس وبوليكسنس قد تربيا معًا منذ الصغر، وبعد وفاة أبويهما ، ورث كل منهما عرش أبيه . . فأصبح ليونتيس ملكاً على سيسلى ، وأصبح بوليكسنس ملكاً على بوهيميا ، وانقطعت بينهما سبل اللقاء ، بالرغم من انهما كانا يتبادلان الرسائل والهدايا منذ عدة سنوات .

وبعد مرور كل هذه السنوات قام الملك بوليكسنس بتلبية دعوة صديقه الملك ليونتيس لزيارته فى سيسلى . وطلب ليونتيس من زوجته الملكة هرميون أن تبدى اهتماماً ورعاية خاصة بالضيف العزيز، رفيق صباه وشبابه ، الملك بوليكسنس .

وما أن تم اللقاء بين هذين الصديقين العزيزين ، حتى بدأ حديث الذكريات السعيدة فى سالف الأيام حين كانا طفلين صغيرين يلعبان معًا ، ويذكران دروسهما معًا . وكانت أحاديث تلك الذكريات تسعد الملكة هرميون ، وتسبب لها كثيرًا من البهجة .

وبعد فترة ، بدأ الملك بوليكنسنس يعد نفسه للرحيل عائداً إلى بوهيميا . . فطلب منه صديقه الملك ليونتيس أن يبقى معه لعدة أيام أخرى ، إلا أن بوليكنسنس اعتذر بضرورة الرحيل لكى يرمى شئون مملكته . . فطلب ليونتيس من زوجته هرميون أن تطلب من صديقه أن يمد زيارته لعدة أيام أخرى . . وبالفعل فقد استطاعت هرميون بكلماتها الرقيقة أن تقنع بوليكنسنس بالبقاء لفترة أخرى .

وبالرغم من ثقة الملك ليونتيس فى شرف زوجته وشرف صديقه ، إلا أنه شعر بغيرة شديدة ، وأصبح يشك فى كل تصرف تقوم به هرميون تجاه صديقه بوليكنسنس . . وقد حوله هذا الشك إلى مخلوق شرير ، فدبر خطة للانتقام من كل من زوجته البريئة وصديقه البرئ .

استدعى الملك اللورد كاميللو - وهو أحد اللوردات المقربين إليه - وأخبره بما يشعر به من شكوك نحو كل من زوجته وصديقه ، وطلب من اللورد أن يقوم بدس السم فى الطعام الذى يقدم للملك بوليكنسنس .

ولكن اللورد كاميللو كان رجلاً شريفاً طيباً . . فقام بتحري الأمر إلى أن تأكد تماماً من أن شكوك الملك غير صحيحة على الإطلاق . . وبدلاً من أن يقوم بدس السم لبوليكنسنس ، ذهب إليه وأخبره بما يدبره له الملك ليونتيس ، واتفق معه على الهرب سوياً من سيسلى .

وهكذا تم انقاذ الملك بوليكنسنس بمساعدة اللورد كاميللو ونجح الاثنان معاً فى الوصول سالمين إلى مملكة بوهيميا ، وعاش كاميللو فى البلاط الملكى باعتباره أقرب صديق إلى قلب الملك .

ازدادت غيرة ليونتيس شراينة وضراوة بعد أن علم بنجاح بوليكسنس في الهروب.. . فاندفع متعجلاً إلى غرفة الملكة هرميون، فوجدها جالسة مع طفلها الصغير الأمير ماميليوس.. . فأبعد الطفل عنها، وقام بارسال الملكة إلى السجن! .

كان ماميليوس في ذلك الوقت طفلاً صغيراً، ومع ذلك فقد أدرك أن أباه قد عامل أمه بقسوة شديدة، وأنه لن يستطيع أن يراها مرة ثانية وأصبح محروماً من حبها ورعايتها له، فأصيب بحزن شديد، جعله يفقد رغبته في الطعام وقدرته على النوم، حتى أصبح الجميع يعتقدون أن الطفل الصغير سيموت لا محالة.

كان ليونتيس قد اختار كلا من اللورد كليومنس واللورد ديون - وهما من رجال بلاطه الملكي - لكي يذهبا إلى مدينة دلفي ليسألا الكاهن الأكبر بمعبد أبوللو لكي يتنبأ بما إذا كانت الملكة هرميون مخلصه أم خائنة.. . وأن يعودا إليه بتلك النبوءة.

ولأن الملكة هرميون كانت حاملاً عندما أرسلها زوجها إلى السجن، فقد جاءها المخاض بعد فترة قصيرة، ووضعت طفلة، فازدادت أحزان الملكة لشعورها بأن هذه الطفلة المسكينة ستصبح سجينه مثلها دون أن ترتكب ذنباً.

وكانت للملكة صديقة وفيه مخلصه اسمها بولينا - وهى زوجة اللورد أنتيجوس - وعندما علمت هذه الصديقة بأن الملكة قد وضعت طفلة،

ذهبت إلى السجن ، ولكنها لم تستطع رؤية الملكة ، فقابلت الوصيصة
إميليا التي تقوم بخدمة الملكة في سجنها ، وطلبت منها أن تخبر الملكة
بأن صديقتها الوفية بولينّا تطلب منها أن تعطيها ابنتها الوليدة لكي
تذهب بها إلى أبيها الملك ليونتيس لكي يرق قلبه ويعطف على الطفلة ويعفو
عن أمها .

ووافقت الملكة على أن تعطي ابنتها إلى صديقتها الحميمة بولينّا. لكن تقوم
بهذه المهمة النبيلة . . .

وبالفعل . . قامت هذه المرأة الشجاعة باقتحام مجلس الملك ، ووضعت
طفلة الرضيعة البريئة عند أقدامه . . وألقت كلمة صادقة دفاعًا عن الملكة
البريئة . . الأمر الذي أدى إلى غضب الملك ، فطلب من زوجها اللورد
أنثيجونس أن يأخذ زوجته بعيدًا عن المجلس . . .

وعندما انصرفت بولينّا تركت الطفلة الرضيعة عند أقدام أبيها الملك
اعتقادًا منها أن قلبه سيق عندما ينظر إلى تلك البنت البريئة .

ولكن قلب الملك قد ازداد تحجرًا وقسوة . . فطلب من اللورد أنثيجونس
أن يأخذ هذه الطفلة ، ويحضرها على ظهر سفينة ، ويلقيها على أي
شاطئ مهجور!

وبإصرار شديد أمر الملك بتقديم الملكة السجينة إلى محاكمة علنية أمام
كل لوردات البلاط الملكي . . وعندما انعقدت تلك المحكمة ، وقفت
الملكة السجينة ذليلة وهي تحاول أن تجد الفرصة لاثبات براءتها .

وفى أثناء تلك المحاكمة دخل اللورد كليومنس واللورد ديون ليقدما
للملك ليونتيس رد الكاهن الأكبر بمعبد أبوللو. . فطلب الملك تلاوة هذا
الرد بصوت مرتفع. . وكان الرد يتضمن الكلمات التالية :

« الملكة هرميون بريئة . . والملك بوليكنسنس برئ ولا لوم عليه . .
واللورد كاميللو خادم أمين . . والملك ليونتيس غيور وقاسى القلب . .
وسيعيش بدون وريث لعرشه إلى أن يعثر على الشيء الذى ضاع منه !
وبالرغم من وضوح تلك الكلمات ، إلا أن الملك لم يصدقها . . وقال إنها
كلمات كاذبة دبرها أصدقاء الملكة . . وطلب من اللوردات أن يستمروا فى
إجراءات المحاكمة .

وفجأة ، دخل رجل وأخبر الملك بأن ابنه الأمير ماميليوس عندما سمع
بأن أمه الملكة هرميون سيحكم عليها بالموت بناء على طلب الملك ، فقد
انتابته صدمة مروعة من شدة ما يعانیه من حزن . . وسقط ميتاً !

وعندما سمعت الملكة السجينة هذا الخبر المؤلم ، سقطت هى الأخرى
مغشياً عليها . . كما أن الملك ليونتيس شعر بقدر كبير من الحزن والتعاسة ،
وبدأ يشعر بالعطف على زوجته هرميون . . لذلك فقد طلب من صديقتها
لولينا أن تأخذها وتساعدتها على استعادة صحتها حتى تتجاوز آثار تلك
المحنة التى مرت بها . .

ولكن بعد فترة قصيرة عادت بولينا وأخبرت الملك بأن الملكة هرميون
قد ماتت !

عندئذ شعر الملك بمزيد من الحزن والأسى . . وأدرك أن معاملته القاسية للملكة كانت السبب المباشر لموتها ولموت ابنه الأمير ماميلوس . . وبدأ يشعر أيضًا بأن الملكة كانت بريئة، كما أدرك أن كلمات الكاهن الأكبر بمعبد أبوللو كانت صادقة . . وأنه أصبح بلا وريث للعرش إلا إذا عثر عن الشئ الضائع . . وأدرك أن هذا الشئ الضائع هو ابنته الطفلة البريئة التي ولدتها الملكة قبل موتها .

وهكذا عاد الملك ليونتيس إلى رشده . . ولكنه عاش لعدة سنوات وقلبه يكاد أن يتمزق نتيجة لما يشعر به من حزن عميق وأسى لا يطاق !



كانت السفينة التي تحمل اللورد أنتيجوس والأميرة الطفلة المسكينة قد تعرضت إلى عاصفة بحرية عاتية دفعتها إلى شاطئ مهجور بمملكة بوهيميا التي يحكمها الملك الطيب بوليكنس . . وعلى أرض هذا الشاطئ قام اللورد أنتيجونس بترك الطفلة المسكينة لقدرها . . وبينما كان عائداً إلى السفينة خرج دب مفترس من الغابة القريبة وهجم عليه واقتصره .

وكانت الملكة هرميون قد ألبست طفلتها الرضيعة ملابس فاخرة وزينتها ببعض الحلى والجواهر حتى تبدو في أحلى صورة أمام أبيها الملك ليونتيس . . وقبل أن يتركها اللورد أنتيجونس في هذا المكان الموحش المهجور، قام بتثبيت ورقة على ملابسها كتب عليها اسم برديتا [أى الطفلة الضائعة] وأشار أيضًا إلى أن هذه الطفلة من أصل نبيل ولكنها سيئة الحظ .

وكان أحد رعاة الأغنام يمر بالقرب من هذا المكان المهجور فعثر على
الطفلة المسكينة التى تلبس ملابس فاخرة وتزين بالجواهر . . فحملها إلى
زوجته الطيبة التى قامت برعايتها بكل حنان . . ولأن هذا الراعى كان رجلاً
فقيراً ، فقد قام ببيع بعض الجواهر التى كانت تتحلى بها برديتا واشترى
بثمنها مجموعة كبيرة من الأغنام ، واضطر إلى أن يهجر المنطقة التى كان
يعيش فيها ، ليعيش فى منطقة أخرى حتى لا يعرف أحد كيف حصل على
هذه الثروة . . وقام الراعى الطيب وزوجته الطيبة بالاشراف على تربية هذه
الطفلة على أساس أنها ابنتهما الوحيدة . . وهكذا نشأت الطفلة وهى تعتقد
انها ابنة الراعى وزوجته .

ومرت سنوات عديدة ، وأصبحت برديتا فتاة رائعة الجمال . . وبالرغم
من انها لم تتلق تعليماً إلا أنها كانت تبدو نبيلة المظهر ونبيلة السلوك كما لو
كانت قد تربت فى قصر ملكى .

كان للملك بوليكنسنس ابن واحد بلغ مرحلة الشباب اسمه الأمير
فلوريزل ، وهو وريثه الوحيد للجلوس على عرش بوهيميا .

وفى أحد الأيام ، كان هذا الأمير يقوم بالصيد فى مكان قريب من بيت
الراعى ، وهناك شاهد تلك الفتاة الجميلة برديتا ، فوقع فى غرامها من أول
نظرة ، منبهرًا بجمالها ومظهرها النبيل . . ومنذ ذلك اليوم أخذ الأمير يتردد
على بيت الراعى كل يوم متخفياً فى ملابس عادية ومنتحلاً اسم دوريسلس .

وشعر الملك بوليكنسنس بقلق شديد لخروج ابنه من القصر للذهاب إلى

مكان مجهول . . لذلك فقد طلب من أحد رجاله أن يراقب الأمير ليعرف سر هذا الخروج اليومي المتكرر . وعاد الرجل إلى الملك ليخبره بأن الأمير واقع في غرام مع ابنة أحد الرعاة . فاندesh الملك لدى سماعه ذلك الخبر، وقام باستدعاء صديقه كاميللو ليصحبه في زيارة لبيت الراعى ومشاهدة تلك الفتاة التى وقع الأمير فى حبها .

وتنكر كل من الملك واللورد كاميللو فى ملابس عادية ، وغير كل منهما هياته حتى لا يتعرف عليهما أحد وأخذا طريقهما إلى بيت الراعى . . ولأن الوقت كان عيداً شعبياً ، فقد كان هناك احتفال كبير بهذا العيد، وكانت هناك موائد حافلة بالطعام والشراب . . كما كان هناك فتيان وفتيات كثيرون يمرحون ويرقصون جوار البيت .

أما فلوريزل وبرديتا فقد كانا يجلسان فى هدوء فى ركن قريب ، ويستمتعان بحديث متبادل بينهما . . واقترب الملك من مكانهما حتى يتمكن من الاستماع إلى ما يدور بينهما من حديث . . وقد اندesh الملك عندما سمع الكلمات الرقيقة والأسلوب الراقى الجميل الذى تتحدث به هذه الفتاة الجميلة . . فقال لصديقه كاميللو : بالرغم من أنها من أصل متواضع إلا أنها رقيقة جداً وتبدو كما لو كانت من طبقة النبلاء . . ولا يليق بها أن تعيش فى مثل هذا المكان .

واتجه الملك المتخفى إلى الراعى العجوز وسأله قائلاً : أيها الرجل الطيب . . من هو ذلك الشاب الجالس مع ابنتك ؟ !

فقال الراعى : هو شاب طيب . . اسمه دوريسلس . . وهو يحب ابنتى . . وابنتى تحبه . . ولو تقدم للزواج منها فسوف يفوز بثروة كبيرة من المجوهرات التى حفظتها لها لكى أقدمها فى يوم زفافها إلى من تحب .

وتقدم الملك إلى المكان الذى يجلس فيه ابنه مع برديتا . . وسأله قائلاً : أيها الشاب . . إننا فى العيد نقدم الهدايا لأحبائنا . . فما هى الهدية التى قدمتها لفتاتك فى يوم العيد؟

أجاب فلوريزل وهو لا يعلم أنه يخاطب أباه : إن هديتها محفوظة داخل قلبى . .

وطلب فلوريزل من هذا الرجل الغريب أن يكون شاهداً على وعده بالزواج من حبيبته برديتا . . وعندئذ قام الملك المتكر بالكشف عن شخصيته الحقيقية ، وأبدى غضبه الشديد وهو يؤنب ابنه على إقدامه على الزواج من ابنة راعى أغنام . . وهو أمر لا يليق إطلاقاً لأمر سيصبح ملكاً على بوهيميا . .

ثم قام الملك بتهديد الفتاة المسكينة وأخبرها بأنها إذا قابلت ابنه مرة ثانية فسوف يأمر بقتلها وقتل أبيها الراعى العجوز . . وانصرف الملك بعد هذا التهديد مصطحباً معه صديقه كاميللو وابنهم فلوريزل . . وانخرطت برديتا فى بكاء حزين .

● كان اللورد كاميللو يعلم منذ سنوات طويلة أن ليونتييس ملك سيسلى قد أصبح نادماً على كل ما بدر منه من أفعال بسبب ظنه الخاطيء فى الشك

فى إىلاص زوآة الملكة هرميون ، وهى الأفعال التى أدت إلى وفاتها و وفاة ابنها ماميلوس ، وضياع ابنته الرضية ، بالإضافة إلى نهاية صداقته مع صديق عمره العزيز بوليكنسنس ملك بوهيميا . . ولذلك فقد أصبح اللورد كاميللو يحن إلى الرجوع إلى وطنه فى مملكة سيسلى .

وبالإضافة إلى ذلك فقد طرأت على ذهن اللورد كاميللو فكرة ذكية . . فقد اقترح على كل من فلوريزل وبرديتا أن يذهبا معه إلى سيسلى ، ووعدهما بأن الملك ليونتييس سيقوم بحمايتهما ويبارك زواجهما ، بل وسيقوم بالاتصال بصديقه القديم بوليكنسنس لكى يوافق على هذا الزواج .

وهكذا رحل الجميع إلى مملكة سيسلى ، وأخذوا معهم الراعى العجوز الذى أخذ معه مجموعة المجوهرات الخاصة ببرديتا ومجموعة الملابس التى كانت ترتديها حين عشر عليها عندما كانت طفلة رضية بالإضافة إلى الورقة التى كانت مثبتة بتلك الملابس .



وعندما وصلوا إلى القصر الملكى فى سيسلى ، استقبلهم الملك ليونتييس بترحاب ومودة ، وخص الأمير فلوريزل بكثير من الاحترام والتقدير . . ولكن الملك اندهش بشدة حين رأى برديتا ، فقد شعر على الفور انها شديدة الشبه بالملكة هرميون المتوفاة . . وقال الملك لو أن ابنته الضائعة لو كانت حية حتى الآن لأصبحت فى مثل عمر وجمال هذه الفتاة الرائعة برديتا .

وما أن سمع الراعى العجوز هذا الكلام ، بدأ يتذكر ذلك اليوم الذى
عثر فيه على برديتا حين كانت طفلة رضيعة ملقاة على الشاطئ .

ولحسن الحظ . . كانت المخلصة بولينا موجودة فى هذا اللقاء وسمعت
الراعى العجوز وهو يحكى قصة عشوره على برديتا من أولها إلى آخرها ،
وعرض على الجميع الملابس الفخمة التى كانت ترتديها برديتا حين عثر
عليها . . وتعرفت بولينا على تلك الملابس فى الحال ، وقالت انها نفس
الملابس التى ألبستها الملكة هرميون لابنتها الرضيعة . . ثم قام الراعى بتقديم
الجواهر التى كانت تزين بها الطفلة فتعرفت عليها بولينا فوراً وقالت انها
نفس الجواهر التى زينت بها الملكة هرميون طفلتها . . وهكذا لم يعد هناك
أى شك فى أن برديتا هى نفسها ابنة الملك ليونتيس . .

وقال الراعى العجوز أيضاً إنه عثر على الطفلة الرضيعة بعد أن تركها
انتيجونس على الشاطئ . . كما قال إنه شاهد الدب المفترس وهو يمزق
انتيجونس إرباً إرباً . . فحزنت بولينا عندما عرفت هذا المصير التعس
لزوجها .

ولكن الفرحة العارمة التى شعر بها الجميع بسبب عودة الإبنة الضائعة
لأيها عقدت لسان الملك بسبب ما كان يشعر به من فرحة ممزوجة بالحزن
حين تذكر وفاة الملكة هرميون . . وأخيراً قال لابنته بصوت متهدج : ليت
أمك كانت حية لتشاركنا الفرحة بعودتك وزواجك من الأمير فلوريزل ابن
صديقنا الطبيب بوليكنسنس ملك بوهيميا .

وهنا قالت بولينا للملك ليونتيس إن لديها في بيتها تمثالاً يشبه الملكة هرميون تمامًا . . . وإنها تدعو الجميع لمشاهدة هذا التمثال الجميل . وفرحت برديتا كثيراً لأنها ستشاهد تمثالاً شبيهاً بأمها .

وعندما وصلوا إلى بيت بولينا قامت بإزاحة الستار عن التمثال . . . خرت برديتا أمام تمثال أمها معجبة بما كانت تتمتع به أمها من نبل وجمال . . . أما الملك ليونتيس فقد وقف مبهوراً أمام تمثال زوجته هرميون . . . ولكنه قال لبولينا : إن التمثال يشبهها تمامًا ولكنها تبدو وقد تقدمت في العمر . .

فقالت بولينا : هذا صحيح يا مولاي . . فإن النحات الذى يقام بصنع هذا التمثال جعل الملكة هرميون تبدو فى السن المفروض أن تكون عليه الآن . . . والآن يا مولاي دعنى أسدل الستار على التمثال حتى لا تعتقد يا مولاي أن التمثال حى يتنفس !

فقال الملك على الفور : لا تسدلى الستار يا بولينا . . فإننى أريد أن أقبلها !

وقالت برديتا : لا تسدلى الستار . . انى أريد أن أبقى هنا لأتطلع إلى أمى إلى ما شاء الله .

وهنا قالت بولينا : إن باستطاعتي أن أجعل هذا التمثال يتحرك ويمسك بيدك يا مولاي . . ولكنى أرجو ألا تظن أنى أستعين فى ذلك بقوى شيطانية .



فقال الملك : أرجو أن تفعل ذلك فوراً . . وأرجو أن تجعله يتكلم إذا كان في استطاعتك .

وعلى الفور أمرت بولينا بعزف قطعة موسيقية هادئة . . فتحرك التمثال وأحاط كتفى الملك بذراعيه . . ثم تكلم التمثال مهتئاً الملك بعثوره على ابنته التى كان قد فقد الأمل فى العثور عليها .

وعندئذ أدرك الجميع ان التمثال هو الملكة هرميون نفسها ، وأنها مازالت حية . وهنا اعترفت بولينا بأنها كذبت على الملك حين أخبرته بموت الملكة هرميون ، لأن هذه هى الطريقة الوحيدة لانقاذ حياتها . . ومنذ ذلك الحين والملكة تعيش سرّاً فى بيت بولينا . . إلى أن عثر الملك على ابنته الضائعة برديتا . . فقامت بولينا بتدبير تلك الحيلة الذكية لتلم شمل الأسرة الملكية بعد الفراق طوال تلك السنوات الماضية .

ووسط هذه الفرحة التى شملت جميع الموجودين بهذه النهاية السعيدة ، تقدم الملك ليونتيس والملكة هرميون بوافر الشكر للأمير فلوريزل وباركا حبه العميق لابتنتها برديتا بالرغم من انه كان يظن انها من أصل متواضع . . ووافقا طبعاً على تتويج هذا الحب بزواج الحبيين الأمير والأميرة . . كما قاما أيضاً بتوجيه الشكر للراعى العجوز الذى قام برعاية ابنتها هذه السنوات الطويلة . . كما شكرا أيضاً كلاً من بولينا واللورد كاميللو اللذين كانا يشعران بمنتهى السعادة نتيجة لوفائهما وإخلاصهما حتى تحققت هذه النهاية السعيدة .

غير أن هذه السعادة لم تكتمل تمامًا إلا بدخول بوليكنسنس ملك بوهيميا إلى القصر الملكي في سيسلي . . وكان السبب في وصوله المفاجيء هو انه عندما علم برحيل اللورد كاميللو مصطحبًا معه ابنه فلوريزل وحبيبته ابنة الراعي ، تصور أنهم رحلوا جميعًا إلى مملكة سيسلي باعتبارها الملاذ الآمن لهم . .

وانضم الملك بوليكنسنس إلى هذا الجمع السعيد ، وشاركهم الفرحة باعلانه انه قد سامح صديقه القديم الملك ليونتييس . . وهكذا عادت الصداقة الحميمة بين الصديقين القديمين . . كما أعلن الملك بوليكنسنس موافقته الفورية على زواج ابنه فلوريزل من الأميرة برديتا ابنة صديقه الملك ليونتييس ، والتي ستصبح ملكة سيسلي القادمة باعتبارها الوريثة الشرعية الوحيدة لوالدها .

وهكذا عادت السعادة بعد طول الأحران .



المؤلفون الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب

●● جون ميد فوكنر : JOHN MEADE FALKNER

● كاتب وأديب وشاعر انجليزى ، ولد فى ٨ مايو ١٨٥٨م فى قرية «مانينجفورد بروس - بمقاطعة ويتشاير» بانجلترا . وكان أبوه يعمل قسيسًا بكنيسة القرية ، وكان واسع العلم ولكنه كان غير طموح واكتفى بوظيفته بالكنيسة .

● ومنذ أن بلغ «جون» الخامسة من عمره ، قامت أمه بتلقيه مبادئ وقواعد اللغة اللاتينية . وفى سن السادسة بدأ أبوه بتعليمه مبادئ وقواعد اللغة اليونانية . . وفى فترتى صباه وشبابه فتحت هاتان اللغتان آفاقًا واسعة أمام «جون» الذى أصبح يهوى قراءة الكتب القديمة النادرة واهتم على وجه الخصوص بكتب التاريخ وكتب الأدب .

● وواصل «جون» تعليمه فى عديد من المدارس والكليات الجامعية ، إلى أن تخرج بدرجة متفوقة أهله لأن يعمل باحدى الشركات الصناعية والتجارية الكبرى وظل يتدرج فى وظيفته إلى أن أصبح مديرًا لتلك الشركة ، كما أصبح من كبار رجال الأعمال بفضل موهبته فى الإدارة وخبرته العالية فى أعمال الشركة . وقد أتاحت له وظيفته أن يتنقل بين العديد من الدول الأوروبية ودول أمريكا الجنوبية .

● وفي فترة شبابه أثناء دراسته الجامعية ، كان يهوى ركوب دراجة تجول بها في المناطق الريفية لدراسة تاريخ الكنائس القروية القديمة ، فألف كتابًا عن « تاريخ أوكسفورد شاير » . . كما بدأ في كتابة بعض القصائد الشعرية . .

● وبالرغم من انهماكه في العمل الإداري وفي واجباته كرجل أعمال مرموق ، فقد تغلبت عليه هواية الكتابة الأدبية فألف ثلاث روايات هي « آلة الكمان المفقودة » عام ١٨٩٥ ، و « مون فليت » عام ١٨٩٦ ، و « الغمام » عام ١٩٠٣ . . ثم ألف رواية رابعة ولكنه فقد نسختها الأصلية الوحيدة في القطار الذي كان يركبه يوميًا للذهاب إلى عمله . . وعندما فقد الأمل في العثور عليها رجاء أصدقائه أن يعيد كتابتها مرة أخرى ، ولكنه لم يستطع أن يقوم بهذا العمل .

● وتعتبر رواية « مون فليت » من أبرز وأشهر أعماله الأدبية . ويقارن بعض نقاد الأدب بينها وبين روايات « روبرت لويس ستيفنسون » من ناحية الحبكة والإثارة .

● ومن الطريف أن نذكر هنا أن « جون » حين التحق بمدرسة القرية في دورشستر كان مدير هذه المدرسة شخصًا حازمًا يعامل الطلبة بشيء من الحزم والقسوة . . وكان اسم هذا المدير « راتسي ماشكيو » . . وهو الاسم الذي أطلقه « جون » على أحد الشخصيات في رواية « مون فليت » .

● وقد ساءت صحته « جون ميد فوكنر » في أواخر أيامه . . ومات في ٢٢ يوليو ١٩٣٢ .

JOHN STEINBECK

●● جون شتاينبك :

● أديب أمريكي ولد في مدينة ساليانس بولاية كاليفورنيا في ٢٧ فبراير ١٩٠٢ . . ومات في مدينة نيويورك في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨ .

● فاز بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٢ ، تقديرًا لأعماله الأدبية التي تعتبر من أروع معالم الأدب الأمريكي في القرن العشرين .

● كان قد التحق بجامعة ستانفورد بـ كاليفورنيا من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٢٦ ، ولكنه لم يتمكن من الحصول على الدرجة العلمية الى تؤوله للشهادة الجامعية .

● قبل احترافه الكتابة باشر عدة أعمال للحصول على الدخل الذي يقيم أوده ، فاشتغل عاملاً في صيدلية ، وخفيراً ، وجامعاً للمحاصيل الزراعية ، ومساحاً للأرض . . وقد استفاد كثيراً من مخالطته للطبقة العاملة . . فعرف الكثير من متاعبها ومشاكلها والصعوبات التي تواجهها هذه الطبقة في حياتها . وقد ظهر هذا التأثير في العديد من أعماله القصصية والروائية .

● حازت أغلب أعماله الروائية على شهرة عالمية ، وترجمت إلى عديد من

اللغات ، كما انتجت بعض أعماله الأدبية الشهيرة في أفلام سينمائية ناجحة .
وقد بدأت شهرته في الذيوع والانتشار حين كتب رواية « الكعكة عديمة
الطعم » عام ١٩٣٥ ، و « شقة تورتيللا » عام ١٩٣٥ . . ثم رواية « معركة
مشكوك في نتيجتها » عام ١٩٣٦ . . ثم روايته الشهيرة « رجال وفئران » عام
١٩٣٧ . . وقد تحولت هذه الرواية إلى مسرحية درامية ، ثم انتجت بعد
ذلك في فيلم سينمائي شهير . . ورواية « عناقيد الغضب » عام ١٩٣٩ التي
انتجت هي الأخرى في فيلم سينمائي عام ١٩٤٠ .

● في أثناء الحرب العالمية الثانية [١٩٣٩ - ١٩٤٥] عمل كمراسل
حربي ، كما كتب العديد من القصص والروايات ذات الصبغة الدعائية
ضد النظام النازي ، وأهمها « في مغيب القمر » عام ١٩٤٢ ، وبعد انتهاء
الحرب ، كتب الكثير من الأعمال الروائية ذات الطابع الاجتماعي والانساني
بصفة عامة ، أشهرها رواية « الأتوبيس المتمرد » عام ١٩٤٧ . . ورواية
« اللؤلؤة » عام ١٩٤٧ . . ورواية « شرق عدن » عام ١٩٥٢ .

● قام بكتابة السيناريو أو المعالجة السينمائية للكثير من أعماله الأدبية .
ومن أشهر الأفلام التي كتبها أخذاً عن رواياته « اللؤلؤة » و « شرق عدن »
و« القرية المنسية » والفيلم الشهير « فيفا زاباتا » .

ANNA SEWELL

●● أناسويل :

● ولدت الأديبة الانجليزية « أنا سويل » عام ١٨٢٠م . . وبدأت علاقتها بالأدب منذ فترتي طفولتها وصباها ، فأخذت تقرأ كل ما كانت تصل إليه من كتب وأعمال أدبية تحفل بها المكتبة الضخمة في بيتها . . حيث كانت أمها « ماري سويل » أديبة مشهورة كتبت العديد من الأعمال القصصية والروائية الموجهة للأطفال والشباب . . وكانت كتبها تلقى إقبالا هائلا من جمهور القراء ، تقديرا لما كانت تتضمنه هذه الأعمال الأدبية من مثل عليا ومبادئ دينية وأخلاقية .

● وفي سن الشباب ، بعد أن اكتمل نضجها اللغوي والأدبي بدأت « أنا سويل » - متأثرة بأمها - في كتابة بعض القصص والأعمال الأدبية الخاصة بالأطفال .

● ولأنها كانت معاقة ومصابة بعاهة تسبب لها صعوبة في السير ، فقد كانت تستعمل عربة خفيفة يجرها حصان ، وتقودها بنفسها لقضاء مشاويرها الخاصة ، ولتوصيل والدها إلى مقر عمله كل يوم .

● وفي تلك الفترة الزمنية من القرن التاسع عشر انتشرت في المجتمع

الانجليزى موضة مؤلمة للخيول . . حيث كانوا يقطعون ذيولها ، ويضعون فى أفواهها « شكيمة » معدنية تسمى « الزمام الكابح » كانت تسبب للخيول آلاما شديدة . . وفى تلك الفترة أيضا ظهرت عدة جمعيات للدفاع عن حقوق الحيوان ، وجمعيات أهلية أخرى تنادى بالاصلاح الاجتماعى .

● وقد تأثرت « أنا سويل » بتلك الأفكار ، فكتبت روايتها الرائعة «الجمال الأسود» عرضت فيها مشكلة سوء معاملة البشر للخيول . وبالرغم من أن تلك الرواية تحكى لنا سيرة ذاتية لأحد الخيول ، إلا أنها حافلة بالمعانى الأخلاقية السامية ، والمشاعر الانسانية الرحيمة .

● ومن الغريب أن تلك الرواية قد جذبت أنظار كتاب سيناريوهات الأفلام السينمائية الروائية والتسجيلية فظهرت فى السينما عدة مرات كان آخرها فيلم ناجح للمخرجة « كارولين طومسون » . وقد ظهر هذا الفيلم فى عام ١٩٩٤ م .

● وفى عام ١٨٧٨ م ، توفيت « أنا سويل » وكان عمرها ٥٨ عامًا .

GEORGE ORWELL

●● جورج أورويل :

● جورج أورويل هو اسم الشهرة الذى اتخذها الأديب الإنجليزى «إريك آرثر بلير» الذى ولد عام ١٩٠٣م فى ولاية البنجاب بالهند حيث كان أبوه يعمل موظفًا بسيطًا فى تلك الولاية . . وعادت أسرته إلى بريطانيا عام ١٩١١ حيث التحق بمدرسة إعدادية داخلية ، وتميز بين زملائه من التلاميذ بفقره وبحدة ذكائه .

● وبعد انتهاء دراسته بتلك المدرسة التحق بمدرسة « ايتون » فى الفترة ما بين عامى ١٩١٧ - ١٩٢١ . . وكان الأديب الإنجليزى الشهير « إلدوس هكسلى » واحدًا من أساتذته .

● وفى عام ١٩٢٢ ذهب إلى بورما وعمل فى الشرطة الملكية الهندية . . وهناك بدأ يكتب المقالات النقدية والقصص والروايات التى كان يرسلها للنشر فى الصحف والمجلات البريطانية .

● وفى عام ١٩٢٧ عاد لانجلترا وعاش فى الأحياء الفقيرة بلندن بين الفقراء والشحاذين . . وعاش فترة فى حوارى باريس اشتغل فيها بغسل الصحون فى بعض الفنادق والمطاعم الفرنسية .

● وتوالت بعد ذلك إصداراته من الروايات الأدبية التي حققت له بعض الشهرة .

● وذهب إلى اسبانيا كمراسل صحفى ليكتب عن الحرب الأهلية التي نشبت ضد الشيوعيين الذين كانوا يحاولون قمع مناهضيهم من أعداء الشيوعية . وبالإضافة إلى عمله الصحفى فقد اشترك فى الحرب الدائرة ضد الشيوعيين وأنصار الديكتاتورية ، وأصيب فى تلك الحرب بعاهة مستديمة تركت أثراً على صوته . وتسببت هذه التجربة فى كراهيته للشيوعية والنظم الديكتاتورية ، وقد ظهرت هذه الكراهية المريعة فى معظم أعماله ورواياته الأدبية .

● وتعتبر رواية « مزرعة الحيوان » من القصص الوهمية الخرافية ذات المغزى السياسى ، وتتضمن إسقاطاً وإشارة غير مباشرة إلى الثورة الروسية وتضليلها للفرد وتغريها بالإنسان تحت حكم ستالين . . وإشارة غير مباشرة أخرى إلى النظام الديكتاتورى النازى تحت حكم هتلر . . ولذلك فهى مليئة بالسخرية بالنظم الاستبدادية التى تعمل على إخضاع الفرد للدولة . . وتعتبر هذه الرواية من أهم روايات الهجاء السياسى حين تشير إلى أن الثورة التى تقوم من أجل العدالة الاجتماعية قد تنتهى بالتغيير الوحشى لكل هذه الأفكار الثورية .

● وفى عام ١٩٥٠ مات جورج أورويل فى لندن مريضاً بالسل .

●● عن الأدب والأدباء .. في مصر القديمة :

● كان هناك اعتقاد راسخ لدى المؤرخين الأجانب بأن الحضارة الإغريقية القديمة هي المنبع الأول للحضارات الراقية ، إلى أن تمكن العالم الفرنسى «جان فرانسوا شامبليون» من فك رموز وأسرار الكتابة الهيروغليفية ، وأصبح من السهل الآن معرفة قراءة كل ما كتبه المصريون القدماء على جدران المعابد والمقابر والأهرام والمصاطب والمسلات واللوحات والنصب التذكارية . . وما دونوه أيضًا على آلاف من أوراق البردى من علوم وفنون وآداب .

● وعندئذ أعاد هؤلاء المؤرخون وعلماء الآثار النظر فى مكانة الحضارة الإغريقية بين كل الحضارات القديمة الحديثة . . وأعلنوا الحقيقة التى أصبحت واضحة كالشمس ، وهى أن مصر القديمة هى « أم الحضارات » جميعًا . . فقد تبين لهم بصفة قاطعة أن المصريين القدماء هم أول من ابتدع التعبير الأدبى ، وأن مصر هى المنبع الأول للأدب والأعمال الأدبية الرفيعة المستوى ، وأن الأدب المصرى القديم أقدم من الأدب الإغريقى بما يزيد على خمسة وعشرين قرنًا .

● وبالرغم من أن الأدب المصرى القديم قد نشأ وترعرع فى أحضان الدين والعقائد الدينية القديمة ، إلا أنه تطور وأصبح يتناول شئون الحياة

اليومية العادية للإنسان . . . وتبوأ الأعمال الأدبية مكانة رفيعة في الفكر والحضارة المصرية القديمة . . . وأدرك المصريون القدماء أن الأدب غذاء للأرواح ، وإشباع للنفس الصافية ، وطريقة مثلى للتسامى بالتعبير وعلو معانى الكلام . . . وأصبح جمال الأسلوب وطلاوته فخراً للكاتب المصرى القديم ومحلاً لتقدير ومتعة القراء والمتذوقين .

● وتبين لعلماء المصريات أيضاً أن الأدب المصرى القديم لم يترك موضوعاً للحياة الإنسانية يمكن التعبير عنه أدبياً ، إلا وكان له فيه إنتاج متميز . . . فقسموا الأعمال الأدبية المصرية القديمة حسب موضوعاتها إلى أقسام وتصنيفات عدة هى باختصار :

« القصص والروايات والحواديت الشعبية [ويقول بعض النقاد ومؤرخى الأدب الأجانب إن مصر القديمة تعتبر الموطن الأول للقصص القصيرة] . . . والحكم والمواعظ والتعاليم الأخلاقية والأمثال وآداب السلوك والتأملات الفلسفية . . . والدراسات الأدبية التى تتناول الدعوة إلى الإصلاح السياسى ومعالجة ما تفشى فى المجتمع - فى بعض العصور التاريخية - من مساوئ ونكبات اجتماعية . . . والرسائل الأدبية التى تتناول موضوعات التهانى والوصايا والتمنيات الطيبة والفخر والهجاء [وقد ابتدع الكتاب والأدباء المصريون القدماء فكرة تقسيم الرسالة إلى عنوان ، وصيغة افتتاحية ، وديباجة ، وختام] . . . والمساجلات الأدبية التى تقوم على فكرة الحوار والنقاش المتبادل بالأفكار والمواقف المتعارضة . . . والمسرحيات والتمثيلات والأشعار الدرامية والدينية التى يمثلونها فى الأعياد تمجيداً للآلهة أو للملوك

أو للمواقف الإنسانية الرفيعة أو لوصف بعض مظاهر الكون والطبيعة خصوصًا بالنسبة للشمس وللليل . . . والأناشيد الدينية والشعبية وأغاني الحب وأغاني العمال وأغاني الفلاحين وأغاني الولايم والحفلات والأفراح .

● ومع ذلك ، يشير علماء المصريات إلى أن ما وصل إلينا سليماً من تراث الأدب المصري القديم يعتبر قليلاً للغاية بالنسبة لما يمكن أن يكون القدماء قد تركوه خلال العصور التاريخية التي استمرت على مدى آلاف السنين بدءاً من عصور ما قبل التاريخ وبداية عصر الأسرات حتى عصر الاسكندر الأكبر . . . فقد ضاعت الغالبية العظمى من البرديات التي تتضمن نصوصاً أدبية بفعل عوادي الزمن . . . ويأمل الكثيرون من علماء المصريات في الوصول إلى المزيد من الاكتشافات الأثرية التي مازالت مدفونة في الأراضي المصرية لتعطينا المزيد من المعلومات عن الأدب المصري القديم .

● وإذا كانت أقدم النصوص الأدبية المصرية التي تم العثور عليها يرجع تاريخها إلى العصر العتيق وعصر الدولة القديمة [أى منذ عام ٣٢٠٠ ق . م وما بعده] فليس معنى ذلك أن نشأة الأدب المصري القديم قد بدأت في ذلك العصر بصفة فجائية ودون أن يكون لها جذور تمتد إلى عصور سابقة . . . فمما لا شك فيه أن قدماء المصريين الذين عاشوا في عصور ما قبل التاريخ كانت لهم أعمال أدبية يتداولونها بالرواية والسماع جيلاً بعد جيل إلى أن ابتدع المصريون تسجيل هذه الأعمال الأدبية بعد أن توصلوا إلى فكرة الكتابة بالحروف والرموز الهيروغليفية .

● أما بالنسبة للأعمال الأدبية التي تركها لنا قدماء المصريين في مجال الروايات والقصص القصيرة ، فقد قسمها المؤرخون وعلماء المصريات إلى مجموعات تتناول : قصص الآلهة . . وقصص السحر والمعجزات . . وقصص المغامرات . . وقصص الرحلات . . وقام العلماء ومؤرخو الأدب المحدثون بترجمة هذه القصص والروايات إلى الكثير من لغات العالم . . وعرف الناس في جميع أنحاء الأرض أن الأدب المصر القديم هو أقدم وأجمل الآداب التي تركتها لنا الحضارات القديمة .

●● جى دى موباسان : GUY DE MAUBASSANT

● ١٨٥٠-١٨٩٣ .

- ولد فى أسرة نبيلة فى مقاطعة نورماندى بفرنسا .
- أصيب منذ الصغر بلوثة من الجنون ، ومات مجنوناً تماماً فى إحدى المصححات وهو فى سن الثالثة والأربعين .
- ألف كثيراً من الروايات والقصص القصيرة ، ويعتبره النقاد ومؤرخو الأدب من أشهر كتّاب القصة القصيرة فى فرنسا ، فقد كتب أكثر من ٣٠٠ قصة قصيرة تميزت بالأسلوب البسيط والبراعة الشديدة فى اختيار الموضوع . وتعتبر هذه القصص من النماذج الأدبية التى لم يصل إلى مستواها كاتب فرنسى غيره . . . ومن أشهر هذه القصص : « العقْد » . . و « الميراث » . . و « منزل السيدة تليه » . . و « الأنسة فىفى » . . و « قطعة من الحبل » التى قدمناها فى هذا الكتاب .
- ومن أشهر رواياته المعروفة : « حياة صديق لطيف » ١٨٨٥ . . و « بيير وجان » ١٨٨٨ . . و « قلبنا » ١٨٩٠ .
- ويعتبر « جى دى موباسان » من أكثر الكتاب الفرنسيين الذين ترجمت أعمالهم الأدبية إلى العديد من لغات العالم .

●● أنطون بافلوفتش تشيكوف :

● ١٨٦٠ - ١٩٠٤ .

- من أعظم كتاب المسرح والقصص القصيرة في الأدب الروسى .
- بدأ كتابة قصصه القصيرة حين كان فى السادسة والعشرين من عمره بقصة عنوانها « صلاة الموتى » جذبت أنظار القراء فذاعت شهرته .
- جميع قصصه ومسرحياته كانت تصور الحياة فى روسيا بما كان فيها من أوضاع اجتماعية سيئة .
- من أشهر مسرحياته : « إيفانوف » و « الطائر البحرى » ١٨٩٨ و « الخال فانيا » ١٨٩٩ و « الأخوات الثلاث » ١٩٠١ و « بستان الكرز » ١٩٠٤ .
- ترجمت جميع قصصه ومسرحياته إلى العديد من لغات العالم .
- له أثر عميق فى الأدب العالمى المعاصر .

●● وليم شيكسبير : WILLIAM SHAKESPEARE

● من أعظم الأدباء والشعراء وكتاب المسرح الانجليز . . ولد في ٢٦ أبريل ١٥٦٤ ببلدة « ستراتفورد أبون آفون » بانجلترا . . ومات بنفس البلدة في ٢٣ أبريل ١٦١٦ .

● كان أبوه قد نزع إلى تلك البلدة قادمًا من قرية « سنترفيلد » سعيًا وراء الرزق حيث مارس العمل في الزراعة وعاش حياة بسيطة وفقيرة .

● التحق وليم شيكسبير بالمدرسة الابتدائية بالقرية حيث درس مبادئ اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية ، وهي الدراسة التي مكّنته فيما بعد من التعمق في قراءة كتب التاريخ والأدب الكلاسيكي .

● ولم يتمكن من مواصلة دراسته بسبب اضطراره إلى العمل لمساعدة والده . وعندما بلغ سن الثامنة عشرة تزوج من فتاة قروية من نفس البلدة ، وهي « آن هاثاواي » التي أنجبت له ابنته سوزانا وتوأمين هما هَامْنِت وجوديث .

● ولأنه كان يهوى التمثيل بالإضافة إلى كتابة الشعر ، فقد انتقل إلى لندن سنة ١٥٨٤ حيث التحق بأشهر الفرق المسرحية ، وكتب بعض

المسرحيات ، ونشر أول أعماله الشعرية « فينوس وأدونيس » عام ١٥٩٣ .
وحقق نجاحًا كبيرًا ، واستطاع أن يسدد جميع ديونه ، ويتمتع بفائض
يمكنه من الارتفاع بمستوى معيشته .

● بعد النجاح الذى حققه فى لندن ، عاد إلى بلدته الريفية ستراتفورد
أبون آفون ، وواصل تأليف القصائد الشعرية [حيث اعتبره نقاد ومؤرخو
الأدب انه الشاعر القومى للانجليز] . . كما واصل كتابة المسرحيات
الكوميدية والتاريخية والتراجيدية التى تظهر فيها عبقريته وقدرته الأدبية
الفائقة على تحليل النفس البشرية والتصرفات والمواقف الإنسانية ، وقدرته
المتميزة على الموازنة بين المواقف الضاحكة والمواقف المأساوية المحزنة فى
حياة البشر .

● ترجع أولى المسرحيات التى كتبها إلى فترة التسعينيات من القرن
السادس عشر ، بدءًا بالمسرحيات الكوميدية مثل « ترويض الشرسة » التى
كتبها سنة ١٥٩٣/١٥٩٤ ، والمسرحيات التاريخية التى يتناول فيها حياة
بعض الملوك الانجليز مثل مسرحية « هنرى السادس » التى كتبها سنة
١٥٩٢ . . ومسرحية « ريتشارد الثالث » سنة ١٥٩٢/١٥٩٣ . .
والمسرحيات التراجيدية مثل « روميو وجوليت » سنة ١٥٩٤/١٥٩٥ .
وتدل هذه المسرحيات التى كتبها شيكسبير فى بداية حياته الأدبية على تمكنه
من القدرة على تطويع اللغة الانجليزية للتعبير بها عن الأحداث
والشخصيات فى ضوء المنهج الذى ابتدعه فى التعبير الدرامى .

● أما المسرحيات والأعمال الدرامية التى كتبها شيكسبير فى المرحلة الوسطى من حياته الأدبية فبعضها من الأعمال الكوميدية ، وبعضها الآخر من الأعمال التاريخية التى تناول فيها مواقف أبطاله من الملوك الانجليز والشخصيات الكبرى من غير الانجليز ومن الأحداث التاريخية التى عاصروها .. وأهم هذه المسرحيات « تاجر البندقية » التى كتبها سنة ١٥٩٧/١٥٩٦ .. ومسرحية « ضجيج بلا طحن » سنة ١٥٩٩/١٥٩٨ .. ومسرحية « هنرى الرابع » سنة ١٥٩٩/١٥٩٨ .. ومسرحية « يوليوس قيصر » سنة ١٦٠٠/١٥٩٩ .

● ومع بداية القرن السابع عشر ، كتب شيكسبير أعظم مسرحياته التراجيدية مثل مسرحية « هاملت » التى كتبها سنة ١٦٠١/١٦٠٠ .. ومسرحية « عطيل » سنة ١٦٠٤ / ١٦٠٥ .. ومسرحية « الملك لير » سنة ١٦٠٦/١٦٠٥ .. ومسرحية « ماكبث » سنة ١٦٠٦/١٦٠٥ .

● ومازالت أعمال شيكسبير تحوز إعجاب الناس فى معظم أنحاء العالم ، وترجمت إلى عشرات من اللغات ، مازالت تلقى هذا القبول والنجاح حتى الآن ، سواء بنشرها ككتب مقروءة أو بتقديمها على خشبة المسرح الدرامى والغنائى والراقص [الباليه] أو باخراجها فى أفلام سينمائية ذات شهرة عالمية .

الفهرس

| | |
|-----|--|
| ٩ | مقدمة |
| ٢١ | ١- مون فليت |
| ٧٥ | ٢- عناقيد الغضب |
| ١٣٣ | ٣- الجمال الأسود |
| ١٥٩ | ٤- مزرعة الحيوان |
| ١٩٣ | ٥- سنوحى |
| ٢٠٩ | ٦- قطعة من الحبل |
| ٢٢١ | ٧- الحـرباء |
| ٢٣١ | ٨- حكاية شتاء |
| ٢٤٩ | ● المؤلفون الذين ورد ذكرهم فى هذا الكتاب |

عربية للطباعة والنشر

7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043

هذا الكتاب

يسعد «مكتبة الدار العربية للكتاب» أن تقدم للقراء الكرام من الناشئين والشباب الجزء «الخامس» من سلسلة «روائع الأدب العالمي» . . . في كبسولة» التي يشرف عليها ويحررها بأسلوبه المتميز الأديب الكبير الأستاذ مختار السويفي .

وبفضل من الله ، فقد حققت الأجزاء الأربعة السابقة نجاحًا عظيمًا وإقبالاً هائلاً من الناشئين والشباب ومن القراء الكبار أيضًا ، سواء في مصر أو في « جميع » أنحاء الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه ، الأمر الذي دعانا إلى إصدارها في طبعات أخرى .

ويتضمن الجزء الخامس من هذه السلسلة مجموعة من الأعمال الأدبية الرفيعة المستوى والتي ذاع صيتها في معظم أنحاء العالم ، خلال عشرات بل ومئات السنين . . . وهي :

- مون فليت . . . للأديب والشاعر الانجليزي جون ميد فوكنر
- عناقيد الغضب . . . للأديب الأمريكي الحائز على جائزة نوبل جون شتاينبك .

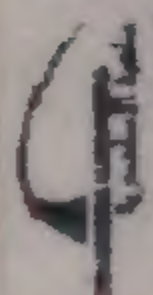
- الجمال الأسود . . . للأديبة الانجليزية آنا سويل
- مزرعة الحيوان . . . للأديب الانجليزي الشهير جورج أورويل
- سنوحى . . . من الأدب المصري الفرعوني القديم .
- قطعة من الحبل . . . للأديب الفرنسي الشهير جى دى موباس
- الحرباء . . . للأديب الروسي العظيم أنطون تشيخوف .
- حكاية شتاء . . . للشاعر والكاتب المسرحي العظيم وليم شكسبير

مع أطيب تمنياتنا بقضاء وقت ممتع مع هذه الأعمال الأدبية الرائعة

Bibliotheca Alexandrina



0421299



الناشر

مكتبة الدار العربية للكتاب